سلسلة المحقق كونراد سير 1

جريمة في الظلام

جريمة في الظلام

تأليف: كارين فوسم

ترجمة: هند عادل

تحرير ومراجعة: شروق طارق

مُراجعةٌ لُغوية: كارم أحمد

الطبعة الأولى: يناير 2022

رقم الإيداع: 2022/2833

لترقيم الدولي: 9789773197377

© جميع الحقوق محفوظة علَى النَّاشر

60 شارع قصر العيني – 11451 – القاهرة – مصر

ت:27921943 (202+) – 27954529 (202+)، ف:27947566 (202+)

www.alarabipublishing.com.eg

تصميم الغلاف: سيد كامل

First puplished as: Evas øye by Karin Fossum Copyright © CAPPELEN DAMM AS 1995.

Special thanks for *James Anderson* for the English translation.

كارين فوسم

جريمة في الظلام

رواية من النرويج

ترجمة: هند عادل

العربي للنشر والتوزيع

“This translation has been published with the financial support of NORLA”.

تمت مراعاة المعايير البيئية في أثناء إعداد هذا الكتاب

We took into consideration the environment while doing this book

بطاقة فهرسة

فوسم، كارين

جريمة في الظلام: رواية/ كارين فوسم، ترجمة هند عادل.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2022.

ص؛ سم.

تدمك: 9789773197377

1- القصص النرويجية

أ- عادل، هند (مترجم)

ب- العنوان 839.823

دليلك إلى عالم "كارين فوسُم" والمحقق "كونراد سيير"

من هي كارين فوسُم؟

تُعرف بـ"ملكة الجريمة" النرويجية.. فهي أشهر من كتب في أدب الجريمة بالنرويج وأكثرهم استمرارية.

كانت سلسلة الجريمة التي بدأت كتابتها في منتصف التسعينيات هي سلسلة "المحقق كونراد سيير"، والتي تُرجمت إلى أكثر من 25 لغة ونالت العديد من الجوائز، منها؛ جائزة "ريفرتون" الأدبية لأفضل رواية جريمة نرويجية في العام نفسه، وجائزة "المفتاح الزجاجي" عام 1997 كأفضل رواية جريمة. وتحولت إلى فيلم سينمائي. وقد فازت روايتها هذه بجائزة "براجي" الأدبية عام 2000، وجائزة "لوس أنجلوس تايمز للغموض والإثارة" عام 2007، كما كانت ضمن القائمة القصيرة لجائزة "الخنجر الذهبي لرابطة كُتَّاب الجريمة" عام 2005.

إن المحقق "سيير" رجل من الطراز القديم، عيبه الوحيد هو السجائر التي يدخنها طوال الليل ويشرب معها وهو يفكر في القضية التي أمامه، وتحت قدمه كلبه المخلص. يقضي وقته مع ابنته وابنها التي تبنته من الصومال، لكن لا شيء يشغل عقله عن القضية التي يعمل عليها. يحمل "سيير" قضاياه على محمل الجد، ولا يتهاون أبدًا في التحقيق فيها لمعرفة

الحقيقة. وسلاحه الوحيد في سعيه للبحث عن الحقيقة ليس مسدسه ولكن إيمانه القوي بالعدالة، والتعاطف العميق، ورغبته في معرفة كيف يفكر العقل الإجرامي. وهو ككلب الصيد، ما إن يلتقط رائحة المتشبه به حتى ينطلق في أثره ولا يتركه إلا بعد أن يعرف سره.

إن سلسلة المحقق "سيير" تحمل الصفات الأساسية المؤسسة لروايات الجريمة الإسكندنافية، فهي تناقش مشاكل اجتماعية مختلفة؛ كما تلعب الطبيعة الإسكندنافية كذلك دورًا هامًا في هذه السلسلة؛ فالجرائم كلها تقع في قرى معزولة تحيط بها الجبال الصغيرة، والغابات، وكلها أماكن تشجع على ارتكاب الجرائم التي ربما لن يكتشفها أحد.

وما نجحت "فوسُم" في تحقيقه في هذه السلسلة هي أنها جمعت كل ما هو مألوف للقارئ في عالم روايات الجريمة؛ مثل الخلافات التي تتطور فجأة إلى أفعال عنف تتحوَّل إلى قتل، ثم التحقيقات التي تلي اكتشاف الجثة، أو ربما حتى اكتشاف شيء كان ينتمي لشخص اختفى فجأة، فتبدأ رحلة التحقيقات التي سنرافق فيها المحقق "كونراد سيير".

كان بيت أطفال،

بيت صغير بإطارات نوافذ حمراء وستائر خفيفة.

توقف على مسافةٍ قصيرة منه وأرهف السمع، لكنه لم يسمع شيئًا إلا لهاث الكلب الواقف بجانبه، وحفيف أشجار التفاح العتيقة. وقف وهلةً وهو يشعر بالعشب الرطب تحت حذائه، ويستمع لدقات قلبه التي اضطربت بعد تلك المطاردة في الحديقة. نظر الكلب إليه وانتظر. سال لعابه من فكه الضخم وظل يشمشم في الظلام بتركيز وأذناه تتحركان بانتباه، لعله يسمع أصواتًا لم يستطع هو سماعها. استدار الرجل ونظر خلفه إلى البيت الكبير. أنواره المضاءة وهالة الدفء والهدوء المحيطة به تدل على أن أحدًا من سكانه لم يسمعه، ولا حتى عندما نبح الكلب. سيارته ما زالت على الطريق، إطاراها الجانبيان فوق الرصيف وبابها مفتوح.

فكَّر بدهشةٍ في أنها قد تكون خائفة من الكلب. فانحنى وأمسك طوقه وسحبه نحو باب البيت اللعبة بخطى بطيئة. بالتأكيد لا يوجد مخرج خلفي في بيت الأطفال الصغير هذا، ولا حتى قفل على الباب. لا بدَّ أنها أدركت هذا بفزعٍ الآن، بل منذ أن حبست نفسها فيه. لا مفر.

لا فرصة لديها في الهرب.

الفصل الأول

كان المركز مبنى من الخرسانة الرمادية، ومكوَّن من سبعة طوابق، مع استدارة خفيفة في تصميمه. وفي الواجهة المطلة على الشارع الرئيسي هناك ساتر من الأشجار لتصد الرياح الباردة القادمة مع الثلوج التي تهب من جهة من النهر. أما الكبائن المبنية سالفًا في الخلف فهي محمية من برودة الشتاء، لكنها تختنق في حرارة الصيف. الواجهة التي تعلو المدخل يزينها تمثال حديث لسيدة العدالة لدى الإغريق"ثيميس"، وهي تمسك ميزانها. لكنها بدت عن بعد، من مخزن "ستاتويل" مثلًا، أكثر شبهًا بساحرة شريرة تركب مكنسة. يحتل قسم الشرطة والسجن آخر ثلاثة طوابق من المبنى، وكذلك المباني الخارجية الملحقة به.

فتح شخصٌ ما الباب بزمجرةٍ عصبية، فوضعت سيدة "برينيجن" إصبعها على الجملة التي توقفت عند قراءتها. إنه المحقق "سيير" برفقة امرأة بدت وكأنها عانت الأهوال. كانت ذقنها مجروحة، ومعطفها وتنورتها مهترئين، وفمها ينزف. في العادة لا تطيل سيدة "برينيجن" النظر إلى أي شيء. لقد عملت موظفة استقبال هنا لسبع عشرة سنة، رأت

فيها الكثير، لكنها اندهشت هذه المرة لدرجة أنها أغلقت الكتاب بقوة. أمسك "سيير" بذراع المرأة وقادها إلى المصعد. سارت معه وهي تحني رأسها، ثم أغلق باب المصعد.

كان وجه "سيير" جامدًا، من المستحيل قراءة أفكاره. جعله هذا يبدو قاسيًا، لكنه في الحقيقة متحفظًا فقط. خلف ملامحه الجامدة تقبع روحه العطوفة. ليس معتادًا الابتسام بود إلا إذا احتاج إلى التقرب من الناس، وقلة من الأشخاص من سمعوا منه مديحًا. أغلق باب مكتبه وأومأ باتجاه الكرسي الوحيد في الغرفة. ثم أخذ بعض المناديل المعلقة فوق الحوض وبللها بالماء الساخن وأعطاها المرأة. مسحت فمها ونظرت حولها. كانت الغرفة شبه فارغة. على الجدران رسوم طفل، وتمثال صغير من الصلصال على المكتب. هذا هو الدليل الوحيد على أنه يملك حياة خاصة خارج هذا المحيط القاسي. من المفترض أن يصوِّر التمثال ضابط شرطة، لكنه متداعٍ وبطنه متدلية وحذاؤه كبير. إنه لا يشبه أبدًا صاحبه المحقق الذي يجلس الآن وينظر إليها بعينين رماديتين جادتين. يوجد جهاز تسجيل، وكمبيوتر من نوع "كومباك" على المكتب. نظرت المرأة إليهما بقلق وأخفت وجهها خلف المناديل. تركها تهدأ وأخذ شريط تسجيل من الدرج وكتب عليه "إيفا ماري ماجنوس". سألها بلطف:

– هل تخافين من الكلاب؟

رفعت وجهها وقالت:

– في الماضي ربما، لكن ليس الآن.

كوَّرت المناديل وواصلت:

– كنت أخاف من كل شيء. أما الآن فلم يعد هناك ما يخيفني على الإطلاق.

الفصل الثاني

اندفع النهر بين الأراضي الريفية قاسمًا البلدة الباردة إلى جانبين رماديين. لقد حل شهر أبريل وما زال الجو شتويًّا. يبدأ النهر بالصخب والزمجرة عند المستشفى في وسط البلدة، وكأن ضجيج المرور والضوضاء على ضفتيه أزعجاه. ظل ينحني ويرتطم، في حين يتقدم بتياراتٍ قوية. يمر بالسينما القديمة، وبمقر حزب العمال، وبالسكة الحديد، وبالميدان المؤدي إلى الصرافة القديمة التي أصبحت الآن أحد فروع "ماكدونالدز"، ومصنع الخمور ذي اللون الوردي والأقدم في البلدة، والسوبرماركت، وجسر الطريق السريع، ومنطقة صناعية ضخمة تضم العديد من شركات السيارات، وأخيرًا الفندق القديم على جانب الطريق. هناك يزفر النهر للمرة الأخيرة قبل أن يصب في البحر.

كان النهار في آخره والشمس بدأت في الغروب. عندها تحول مظهر مصنع الخمور تدريجيًّا من مبنى ضخم كئيب إلى قلعة خيالية تعكس آلاف الأضواء على النهر. تبدو البلدة جميلة فقط في الظلام.

شاهدت "إيفا" الفتاة الصغيرة وهي تجري على ضفة النهر. كانت المسافة بينهما عشرة أمتار، وحرصت على ألا تزيد. كان الجو غائمًا، لذلك كانت البلدة

خالية من المارة. هبَّت رياح خفيفة على النهر المتدفق. ظلت "إيفا" تبحث عن أصحاب كلاب حولها لتتأكد إذا كانت الكلاب مؤمَّنة أم لا. فهي لا تطمئن إلا بعدما تبتعد عنها. لكن هذه المرة لم تجد أيًّا منها. حركت الرياح تنورتها وتسللت تحت سترتها حتى شعرت بالبرد فأحاطت نفسها بذراعيها وهي تسير. أما الصغيرة "إيما" فسارت أمامها وهي تقفز بسعادة لكن بروية لأنها بدينة. طفلة بدينة بفمٍ كبير ووجه مربع. عبثت الرياح بشعرها الأحمر فأخذ يلفح عنقها. والجو الرطب جعله أشعث. لم تكن طفلة جميلة بالتأكيد. لكنها لا تدرك هذه الحقيقة، فأخذت تقفز بلا مبالاة وبإقبال على الحياة لا يملكه إلا طفل. بلغت "إيما" السابعة. تبقى خمسة شهور حتى تبدأ الدراسة. ذات يوم سترى التنمر في عيون الأطفال في الحديقة. ستدرك مظهرها غير الجميل أول مرة. لكنها لن تهتم لو كانت قوية كوالدها، والدها الذي هجرهما من أجل امرأة أخرى. هذا ما كان يشغل بال "إيفا ماجنوس" وهي تسير، بالإضافة إلى ندمها على ترك المعطف في البيت.

تحفظ "إيفا" الطريق عن ظهر قلب، فقد تمشَّيا فيه كثيرًا. "إيما" هي من تصرُّ على هذا، فهي لم ترغب في ترك عادة التمشية بجانب النهر، بعكس "إيفا". بين حين وآخر تقترب الطفلة من حافة النهر لترى شيئًا أثار اهتمامها. راقبتها "إيفا" بعيني صقر خشية أن تسقط في الماء دون وجود من ينقذها. فالنهر يتدفق بقوة، ومياهه شديدة البرودة والطفلة ثقيلة الوزن؛ ارتجفت من هول الفكرة. هذه المرة وجدت الطفلة حجرًا مسطحًا إلى جانب الضفة. فأشارت إلى والدتها ونادتها لتأتي. تبعتها "إيفا". كان الحجر بالكاد يكفي لتجلسا عليه.

– لا يمكننا الجلوس عليه، فهو مبتل؛ سنصاب بالتهاب في المثانة.

– هل هذا خطير؟

– لا، لكنه مؤلم ويحرق. وستدخلين إلى الحمام طوال الوقت.

جلستا بكل الأحوال وشاهدتا دوامات التيار وتابعتا حركة المياه بدهشة. سألت "إيما":

- لماذا توجد تيارات مائية؟
فكرت "إيفا" قليلًا ثم قالت:
- بصراحة لا أعرف. ربما يتعلق الأمر بقاع النهر. يوجد الكثير من الأشياء التي لا أعرفها. ستعرفينها عندما تذهبين إلى المدرسة.
- هذا ما تقولينه كل مرة عندما لا تعرفين إجابة شيء.
- إنها الحقيقة. يمكنكِ سؤال معلمتكِ. المعلمون يعرفون أكثر مني بكثير.
- لا أظن هذا.
طافت علبة بلاستيكية بالقرب منهما بسرعة.
- أريدها! يجب أن تمسكيها لي!
- لا، اتركيها. إنها قمامة. أشعر بالبرد يا "إيما". ألا يمكننا العودة إلى البيت الآن؟
- بعد قليل.
وضعت"إيما" شعرها خلف أذنيها وأراحت ذقنها على ركبتيها. لكن شعرها كان أشعث فعاد أمام وجهها مجددًا.
أشارت إلى النهر وسألت:
- هل النهر عميق؟
ردت "إيفا" بهدوء:
- لا. ثمانية أو تسعة أمتار على ما أظن.
- هذا عميق جدًّا.
- لا، ليس كذلك. أعمق مكان في العالم يقع في المحيط الهادئ، اسمه "خندق ماريانا". إنه هوة سحيقة بعمق أحد عشر ألف متر. هذا ما أصفه بالعميق جدًّا.
- ما كنت لأذهب للسباحة هناك. أنتِ تعرفين كل شيء يا أمي. لا أظن أن المعلمين يعرفون كل هذا. أريد حقيبة وردية.
ردت "إيفا" وهي ترتجف من البرد:

- إنها جميلة لكنها ستتسخ بسهولة. أظن أن الحقائب الجلدية البنية لطيفة. هل رأيتها؟ مثل حقائب الأولاد الكبار.

- أنا لست كبيرة. سوف أبدأ الدراسة للتو.

- نعم، لكنكِ ستكبرين. ولا يمكنكِ الحصول على حقيبة جديدة كل عام.

- لكننا نملك المزيد من المال الآن، أليس كذلك؟

لم تجب "إيفا". جعلها السؤال تدير وجهها إلى الخلف بشدة. إنها عادة اكتسبتها مع الوقت. وجدت "إيما" عصا فأخذتها ووضعت طرفها في الماء.

- لماذا توجد رغوة في الماء؟ رغوة صفراء مقززة.

أخذت تلعب بالعصا في الرغوة وأضافت:

- هل أسأل في المدرسة أيضًا؟

ظلت "إيفا" صامتة. أسندت ذقنها إلى ركبتيها وشردت بعيدًا. لم تعد "إيما" مركز تفكيرها الآن. أعاد النهر إليها الذكريات. برز لها وجه تحت سطح الماء الداكن. وجه مستدير بعينين ضيقتين وحواجب سوداء.

"استلقي على السرير يا إيفا".

"ماذا"؟

"افعلي ما أقول. استلقي على السرير".

فجأة أخرجتها "إيما" من ذكرياتها وسألت:

- هل يمكننا الذهاب إلى "ماكدونالدز"؟

- ماذا؟ نعم، لمَ لا. سنذهب إلى "ماكدونالدز". على الأقل الجو دافئ هناك.

نهضت وهي مشتتة إلى حدٍّ ما وأمسكت ذراع الطفلة. هزت رأسها ونظرت إلى النهر. اختفى الوجه الآن، لكنها تعرف أنه سيعود ليؤرق أيامها. عادتا إلى الطريق وسارتا ببطءٍ نحو البلدة. لم تقابلا مخلوقًا واحدًا.

شعرت "إيفا" بالأفكار تعصف بعقلها وتذكرها بما ترغب أن تنساه. استدعى هدير النهر مجموعة من الصور لذاكرتها. لقد انتظرت بصبر حتى تختفي وتتركها في سلام، انتظرت حتى مر الوقت، وتحولت الأيام إلى ستة أشهر.

- هل يمكنني الحصول على وجبة الأطفال مع لعبة؟ ثمنها سبعة وثلاثون كرونة. تنقصني شخصية علاء الدين.

- نعم.

- ماذا ستطلبين يا أمي؟ دجاج؟

- لا أعرف بعد.

نظرت إلى المياه الداكنة مجددًا، أصابتها فكرة الأكل بالغثيان. لم تكن مهتمة بالطعام. راقبت مستوى الماء وهو يعلو ويهبط تحت الرغوة الصفراء القذرة.

- مع المزيد من المال، يمكننا أن نتناول كل ما نريد، أليس كذلك يا أمي؟

ظلت "إيفا" صامتة. توقفت فجأة ودققت النظر حين لمحت شيئًا شاحبًا تحت سطح الماء مباشرةً. إنه جسد يتهادى مع التيار القوي الذي يدفعه إلى الضفة. انشغلت بالمنظر إلى درجة أنها نسيت الفتاة الصغيرة التي ترى أفضل بكثير من أمها.

صاحت "إيما" بذهول:

- إنه رجل!

لوهلة تحجرتا مكانهما بارتباك بينما تنظران إلى الجثة المتحللة المتعفنة وهي تطفو وسط الصخور. كان وجهه للأسفل. لاحظتا أن شعره خفيف ولمحتا بقعةً صلعاء. كانت "إيفا" في حالة ذهولٍ تام، وظلت أصابعها تعبث بسترتها من التوتر. نظرت إلى الجثة الشاحبة بشعرها الأشقر ولم تتذكر رؤية هذا الرجل في البلدة من قبل. لكن حذاءه الرياضي الأزرق والأبيض بدا مألوفًا.

كررت "إيما" بصوتٍ خافت:

- إنه رجل.

أرادت "إيفا" أن تصرخ، لكن الصرخة اختنقت في حلقها.

- إنه غريق. الرجل المسكين. لقد غرق يا "إيما"!

- لماذا يبدو قبيحًا؟ يبدو رخوًا مثل الجيلي!

تلعثمت وهي ترد:

- لأنه.. لأنه مات منذ فترة.

عضت شفتيها بقوةٍ أدمتها حتى أشعرها طعم الدم بالغثيان.

- هل نخرجه؟

- لا! لا تكوني سخيفة! الشرطة ستفعل ذلك.

- هل ستتصلين بهم؟

وضعت "إيفا" ذراعها على كتف الطفلة البدينة وسارت معها وهي تترنح. نظرت خلفها بسرعة وكأنها تتوقع هجمة مفاجئة لكن لا تعرف من أين. هناك تليفون عام في طريق الجسر. سحبت الطفلة خلفها وبحثت في جيب تنورتها على عملات معدنية. وجدت عملة بخمسة كرونة. طافت صورة الجثة المتحللة أمامها مثل نذير شؤم يحذرها مما هو قادم. لقد استطاعت أن تهدأ بعد فترةٍ طويلة، فالوقت يخفف من كل شيء حتى الكوابيس. لكن الآن عاد قلبها يرتجف مجددًا. كانت "إيما" صامتة. تبعت والدتها والخوف بادٍ في عينيها الرماديتين ثم توقفت.

- انتظري هنا. سأتصل بالشرطة وأخبرهم أن يأتوا ليأخذوا الجثة. لا تتحركي!

- سننتظرهم، صحيح؟

- لا، بالتأكيد لن ننتظر.

دخلت كابينة التليفون وهي تحاول السيطرة على ذعرها. هاجمها شلال من الأفكار، لكنها نفضتها واحدة تلو الأخرى. ثم اتخذت قرارًا

سريعًا. كانت يدها متعرقة. دفعت العملة المعدنية في الفتحة بصعوبة، واتصلت برقمٍ بسرعة. أجاب والدها بصوتٍ ناعس. همست قائلة:

- إنه أنا، "إيفا". هل أيقظتك؟

- نعم، لكنكِ اتصلتِ في الوقت المناسب. لو انتظرت قليلًا لكنت دخلت في نومٍ عميق. هل توجد مشكلة؟ تبدين متوترة. أسمع ذلك في صوتكِ. أعرفكِ جيدًا.

كان صوته جافًا وأجش، لكن ما زال به نبرة اهتمام لطالما أحبتها. أعادها صوته الحاد للواقع بسرعة.

- لا، لا مشكلة. أنا و"إيما" خرجنا لتناول الطعام ووجدنا كابينة التليفون هذه.

- دعيني أتحدث معها إذًا!

- إنها تقف على ضفة النهر.

راقبت عداد المكالمة وهو يلتهم الثواني. ألقت نظرة سريعة على "إيما" الواقفة خارج الكابينة وتضغط وجهها على الزجاج. كانت أنفها مسطحة مثل المارشميلو. هل تسمع ما تقوله يا ترى؟

- لا أملك عملات كافية الآن. سنأتي لزيارتك قريبًا إن أحببت.

سألها بريبة:

- لماذا تهمسين هكذا؟

قالت بصوتٍ أعلى قليلًا:

- هل أهمس حقًّا؟

- عانقي الطفلة من أجلي. لديَّ هدية لها حين تأتي.

- ما هي؟

- حقيبة مدرسية. ستحتاج حقيبة للمدرسة في الخريف، صحيح؟ فكرت في توفير بعض المصاريف عليكِ. أعلم أن أموركِ لا تسير على ما يرام.

آهٍ لو يعرف. قالت:

- هذا لطفٌ منك يا أبي. لكنها تريد شيئًا محددًا. هل يمكننا تبديلها؟
- نعم، طبعًا. لكنني اشتريت الحقيبة التي رشحوها لي. حقيبة جلد وردية.
أجبرت "إيفا" صوتها أن يبدو طبيعيًا، وقالت:
- عليَّ الذهاب يا أبي. فالوقت ينفد مني. اعتن بنفسك.
سمعت تكة ثم انتهت المكالمة، لقد توقف العداد.
نظرت "إيما" إليها بترقب وسألت:
- هل سيأتون؟
- نعم، سيرسلون سيارة شرطة. هيا، لنذهب ونأكل. سيتصلون بنا لو أرادوا التحدث معنا. لكن لا أظنهم سيحتاجون إلى ذلك. ليس الآن على الأقل، ربما لاحقًا. عندها سيتصلون. على كل حال، لا علاقة لنا بكل هذا.
كانت تتحدث بفزعٍ وهي تلهث.
- ألا يمكننا انتظارَ وصولهم؟ أرجوكِ؟
هزت "إيفا" رأسها نفيًا. عبرت الشارع مع الفتاة الصغيرة، بينما جثة الرجل ملقاة على الضفة. بدا مظهرهما متناقضًا بشدة بينما تسيران في البلدة. "إيفا" طويلة ونحيلة بكتفين هزيلين وشعر طويل وداكن. أما "إيما" فبدينة وعريضة وركبتاها ملتصقتان ببعضهما وتتهادى قليلًا في السير. شعرت الاثنتان بالبرد، فالبخار الصادر من الماء المثلج يؤثر في مناخ البلدة. قالت "إيفا" لنفسها أن هذه البلدة غير متناغمة على الإطلاق، وكأن انقسامها إلى نصفين يحرمها من السعادة. فكل جانب يحاول فرض سيطرته. النصف الشمالي يضم الكنيسة والسينما وأغلى المتاجر، أما الجنوبي فيضم السكة الحديدية والمتاجر الرخيصة والبارات ومحلات بيع الخمور. العنصر الأخير هو المهم لأنه يضمن حركة مستمرة بين جانبي المدينة عبر الجسر.
- لماذا غرق هذا الرجل يا أمي؟
نظرت "إيما" إلى وجهها في انتظار إجابة.

- لا أعرف. ربما كان سكرانًا وسقط في النهر.

- وربما كان يصطاد وسقط من قاربه. كان عليه ارتداء سترة نجاة. هل كان عجوزًا يا أمي؟

- ليس تمامًا. إنه بعمر والدكِ تقريبًا.

قالت "إيما" بارتياح:

- على الأقل أبي يمكنه السباحة.

وصلتا إلى الباب الأخضر لمطعم "ماكدونالدز"، فدفعت "إيما" الباب بكل قوتها وفتحته. جذبتها رائحة البرجر والبطاطس، وفتحت شهيتها أكثر. تجاهلتا جثة الرجل في النهر، وتجاهلتا كل مشكلات الحياة. المهم الآن أن "إيما" جائعة وتريد لعبة علاء الدين.قالت "إيفا":

- ابحثي لنا عن طاولة، وسأطلب الطعام.

تقدم الطابور. نظرت بشرود إلى الشباب الواقفين خلف طاولة الطلبات، بقبعاتهم الحمراء وقمصانهم الحمراء قصيرة الأكمام. إنهم يعملون بسرعةٍ كبيرة. اخترقت أنفها سحابة الدخان التي تحمل روائح الدهون واللحم المحمر والجبن الذائب والتوابل المختلفة. لكن لم يبد الموظفون عابئين بالدخان الكثيف، بل ظلوا يتحركون بحماس مثل عاملات النمل الأحمر، ويبتسمون لبعضهم بتفاؤل مع كل طلبٍ يأخذونه. شاهدت حركات أيديهم وأرجلهم الرشيقة. هذا لا يشبه إيقاع عملها أبدًا. فهي تقف في وسط المرسم معظم الوقت وهي تشبك ذراعيها وتعاين لوحةً زيتية بنظرةٍ عابسة أو متفحصة. في أفضل الأحوال كانت تنظر بعدائية وتواصل النقد بكل حدة وثقة. وكل فترة طويلة تتمكن من بيع لوحة. قالت للموظفة:

- أريد وجبة أطفال من فضلك.

ثم أضافت:

- وأيضًا قطع دجاج "ناجتس" واثنين من الصودا. هل يمكن أن تضعي لعبة علاء الدين؟ فهي ما تنقصها.

ذهبت الفتاة لتنفيذ طلبها ويداها تتحركان بسرعة البرق. مدتَّ "إيما" رأسها لتتابع أمها بعينيها حتى رأتها قادمة وهي تحمل صينية الطعام. بدأت ركبتا "إيفا" ترتجفان وجلست إلى الطاولة بتثاقل وهي تنظر بتعجبٍ للطفلة التي تفتح علبة الوجبة بلهفة بحثًا عن لعبتها. ثم ثارت بفرحة:

- حصلت على علاء الدين يا أمي!

رفعت اللعبة عاليًا لتريها للمطعم كله. نظروا إليها جميعًا، فأخفت "إيفا" وجهها بيديها وبكت.

تفاجأت "إيما" وقالت بجدية مفاجئة وهي تخفي اللعبة تحت الطاولة:

- هل أنتِ مريضة؟

- لا، بصراحة، لست متأكدة. سأكون بخير.

- هل أنتِ منزعجة بسبب الرجل الميت؟

ردت ببساطة:

- نعم. أنا منزعجة بسبب الرجل الميت. لكننا لن نتحدث عنه مجددًا. إياكِ يا "إيما"! ليس مع أي شخص! لن يسبب لنا هذا سوى الحزن.

- هل كان له أولاد يا ترى؟

مسحت "إيفا" وجهها بيديها. لم تعد واثقة من المستقبل. نظرت إلى قطع الدجاج المقلية الدسمة بلونها البني، وعلمت أنها لن تستطيع تناولها. دارت بعض الصور في عقلها بسرعةٍ مجددًا، ثم قالت:

- نعم، على الأرجح لديه أولاد.

الفصل الثالث

خرجت امرأة مسنة لتتمشى مع كلبها. وفجأة لمحت بين الحجارة الحذاء الأزرق والأبيض. اتصلت بالشرطة من كابينة التليفون العمومي القريبة من الجسر، كما فعلت "إيفا" تمامًا. عندما وصلت الشرطة، كانت المرأة تقف عند الجسر مرتبكة وظهرها للجثة. الضابط "كارلسين" هو أول من خرج من السيارة. ابتسم بتهذيبٍ للمرأة عندما رآها، ونظر بتساؤلٍ إلى كلبها. فقالت:

– إنه صيني، من فصيلة "الكلب الصيني المُتوَّج" الصلعاء.

إنه مخلوق عجيب بحق. صغير ومجعد ولون جلده الوردي ظاهر. لديه فقط فرو أصفر كثيف وقذر على رأسه. فيما عدا ذلك فهو أصلع تمامًا. سألها الضابط بلطف:

– ما اسمه؟

– "آدم".

أومأ وابتسم وهو ينحني على صندوق السيارة ليخرج معداته. عانى رجال الشرطة لينتشلوا جثة الرجل حتى استطاعوا أخيرًا وضعها على غطاء مشمع سميك. لم يكن رجلًا ضخمًا، لكنه بدا كذلك بعد بقاء الجثة في الماء لفترة. تراجعت المرأة صاحبة الكلب قليلًا. عمل رجال الشرطة بسرعةٍ ودقة. التقط المصور صورًا، انحنى طبيب شرعي بجانب الجثة وكتب ملاحظات. معظم أسباب الوفاة بسيطة، ولم يتوقعوا شيئًا غريبًا. ربما كان مخمورًا

وسقط في الماء. هناك الكثير من أمثاله يتجمعون تحت الجسر وفي الطرقات ليلًا. صاحب الجثة ذكر بين العشرين والأربعين من عمره، نحيل لكن ببطن كبيرة، أشقر، ليس فارع الطول. ارتدى "كارلسين" قفازًا مطاطيًا في يده اليمنى ورفع ملابس الجثة بحذر.قال باختصار:

- هناك العديد من الطعنات. لنقلبه.

حل الصمت إلا من صوت ارتداء وخلع القفازات المطاطية، وصوت الكاميرات، وأنفاس الضباط، واحتكاك الغطاء المشمع بينما يفردونه بجانب الجثة.

تمتم "كارلسين":

- أتساءل هل حقًّا عثرنا على جثة "إينارسون" أخيرًا؟

اختفت محفظة الرجل، هذا لو كان معه واحدة من البداية أصلًا. لكن ساعته ما زالت موجودة، وهي مليئة بالإمكانيات. مثل توقيت نيويورك وطوكيو ولندن. غاص سوارها الأسود في معصم الجثة المنتفخ، لا بدَّ أنها ظلت في الماء فترةً طويلة. على الأرجح حملها التيار من مسافةٍ بعيدة، لهذا لن يفيدهم مكان العثور عليها بشيء. ومع ذلك تحققوا وفحصوا الضفة علهم يجدون آثار أقدام مثلًا. لكن لم يجدوا إلا علبة معدنية فارغة من سائل ما غير قابل للتجمد وعلبة سجائر. اجتمع عددٌ من الناس في الطريق، معظمهم من الشباب الذين يحاولون رؤية الجثة التي على الغطاء المشمع. بدأت في مرحلة التحلل فعلًا. أخذ الجلد يتساقط عنها، خاصةً عند اليدين، وكأنه يرتدي قفازًا واسعًا عليه. اختفى اللون من جسده. أصبحت عيناه شفافتين وباهتتين بعدما كانتا خضراوين. تساقطت خصلات شعره. انتفخ وجهه حتى بات تمييز ملامحه صعبًا. تجمعت مخلوقات النهر من جراد البحر وحشرات وأسماك في جثته. أما الطعنات الحمراء فكان لونها متناقضًا جدًّا مع لحمه الشاحب. قال أحد الفتيان المجتمعين في الطريق:

- كنت أصطاد هنا.

لم يرَ جثة في سنوات حياته السبعة عشر. لم يكن يؤمن بالموت أو بالرب لأنه لم ير أيًا منهما. أخذ يخفي وجهه في سترته وهو يرتجف. من الآن فصاعدًا لن يستبعد حدوث أي شيء.

انتهى تقرير الطب الشرعي بعد أسبوعين. دعا المحقق "كونراد سيير" خمس أفراد لغرفة اجتماعات موجودة في أحد المباني الملحقة بالمركز. لقد تم بناؤها مؤخرًا من مواد معدة مسبقًا، بسبب نقص المساحة في المبنى الرئيسي. وهكذا وضعوا فيها مجموعة من المكاتب المخفية عن عيون العامة، إلا من التعساء الذين قبضت عليهم الشرطة. حصلوا على بعض المعلومات، مثل هوية الرجل. كان هذا سهلًا لأن اسم "يوران" كان محفورًا على خاتم زفافه. هناك ملف من أكتوبر الماضي يحمل بيانات عن المفقود "إيجيل إينارسون". عمره ثمانية وثلاثون سنة، يسكن في "روزينكرانتزجايت"، عقار رقم 16. شوهد آخر مرة في الساعة التاسعة مساء الرابع من أكتوبر. ترك وراءه زوجة وابنًا بعمر ست سنوات. كان الملف خفيفًا في البداية، لكن سرعان ما ملأته الأوراق وأثقلته الصور الفوتوغرافية الجديدة. ولم تكن صورًا جميلة. استجوبت الشرطة عدة أشخاص منذ اختفائه، مثل زوجته وزملائه في العمل ومعارفه وأصدقائه وجيرانه. لم يكن لديهم ما يقولونه عنه. مجرد رجل أبيض بلا أعداء، على حد علمهم على الأقل. كان يعمل في وظيفةٍ عادية في مصنعٍ للخمور، ويتناول العشاء في بيته كل يوم، ويقضي معظم وقت فراغه في المرآب ليصلح سيارته العزيزة أو مع أصدقائه في البار في جنوب المدينة. اسم البار "كينجز أرمز". ربما كان "إينار" مسكينًا راح ضحية مدمن شرير طمع في ماله ورآه هدفًا سهلًا وسط البرد والرياح. إما هذا أو أن لديه سرًا ما. ربما كان مديونًا.

نظر "سيير" إلى التقرير ودلك عنقه. لطالما انبهر بقدرة أطباء التشريح على التعامل مع الجثث المتعفنة، وتجميع الجلد والشعر والعظام والعضلات، واستعادة شكل الجثة لمعرفة العمر والوزن والصفات

الجسدية والحالة الصحية، والعمليات الجراحية التي مر بها صاحب الجثة وحالة الأسنان والصفات الوراثية. قال بصوتٍ مسموع:

- هناك بقايا جبن ولحم وبابريكا وبصل في معدته. يبدو أنه أكل بيتزا.

- هل يمكنهم أن يكونوا بهذه الثقة بعد مرور ستة أشهرٍ على الوفاة؟

- نعم، طبعًا. طالما أن السمك لم يلتهم كل شيء. هذا يحدث أحيانًا.

كان "سيير" رجلًا صلبًا، في التاسعة والأربعين من عمره. تغير لون ساعديه لأنه يشمر أكمام قميصه، فتظهر العروق والأوتار تحت الجلد، ويبدو ذراعه مثل جذع شجرة. وجهه مشدود وملامحه حادة إلى حدٍّ ما. كتفاه مستقيمتان وعريضتان. يبدو مثل شخصٍ مرَّ بالكثير، لكنه أيضًا تحمل الكثير. شعره مدبب وقصير، ولونه رمادي أقرب إلى الفضي الداكن. عيناه واسعتان وصافيتان، ولونهما رمادي لامع. هكذا وصفته زوجته "إليز" ذات مرةٍ منذ سنوات. وقد أعجبه وصفها.

كان "كارلسين" أصغر منه بعشر سنوات، وأقل منه حجمًا. في أول وهلة قد يبدو من الأشخاص المبالغين في الاهتمام بمظهرهم، دون أن تكون لهم أهمية أو هيبة، خاصةً بشاربه المشذب وشعره الكثيف المصفف بعناية.

أما "جوران سوت" - الأكثر نشاطًا بينهم - فكان يحاول أن يفتح كيسًا من حلوى الجيلي دون أن يصدر صوتًا. "سوت" لديه شعر كثيف ومموج، وجسد متناسق مفتول العضلات، وبشرة نضرة. كل جزء من جسده على حدة يعتبر مسرَّة للناظرين، أما كل الأجزاء مجتمعة تبدو كومة من العضلات المبالغ فيها. لكنه غير مدرك لهذا الأمر المضحك. جلس رئيس المحققين "هولتهيمان" بالقرب من الباب، متحفظًا وجادًّا كالعادة. جلست خلفه ضابطة بشعرٍ قصير جميل. أما عند النافذة، جلس "جايكوب سكاري" وهو يستند بذراعه إلى الإطار. سأل "سيير":

- كيف الحال مع السيدة "إينارسون"؟

كان يهتم بشأن الناس، وكان يعلم أن لديها ابنًا.

هز "كارلسين" رأسه وقال:

- إنها مرتبكة قليلًا. سألت إن كان يمكنها الحصول على قيمة التأمين على الحياة على الأقل، ثم انهارت بالبكاء، لأن أول ما فكرت فيه في هذه الظروف هو المال.

- لماذا لم تحصل على قيمة التأمين؟

- لم تكن لدينا جثة.

- سأتحدث في هذا الأمر مع شخصٍ مسؤول. كيف كانا يعيشان طوال الستة أشهر الأخيرة؟

- على الإعانة الاجتماعية.

هز "سيير" رأسه وتصفح التقرير، في حين وضع "سوت" حبة جيلي خضراء في فمه ومد ساقيه. قال "سيير":

- وجدنا السيارة في مكب النفايات العام. بحثنا في القمامة أيامًا. في الواقع لقد تعرض للقتل في مكان مختلف تمامًا، ربما في النهر. ثم ركب القاتل السيارة وقادها إلى مكب النفايات. من الغريب أن "إينارسون" ظلَّ في النهر ستة أشهر ولم يظهر قبل الآن. بالتأكيد أن القاتل تمنى ألا يظهر أبدًا. لا بدَّ أنه يعيد حساباته الآن وهو يواجه تلك الصدمة.

تساءل "كارلسين":

- هل علقت الجثة بشيءٍ مثلًا؟

- لا أعرف. هذا غريب. لا يحتوي قاع النهر إلا على الحصى. لقد جُرِفَ منذ مدةٍ قصيرةٍ لتنظيفه. ربما طافت جثته نحو الضفة وعلقت بشيءٍ هناك. نتوقع أن ظهوره كان بسبب هذا على كل حال.

قال "كارلسين":

– تم تنظيف سيارته بعمق من الداخل. ولوحة العداد لُمِّعَتْ. لا توجد بها بقعة واحدة. لقد خرج بها ليبيعها.

قال "سيير":

– وزوجته لا تعلم من قد يكون المشتري.

– إنها لا تعرف شيئًا على الإطلاق. يبدو أن هذا كان أمرًا معتادًا في تلك الأسرة.

– ألم يتصل أحد ليسأل عنه؟

– لا. لقد أخبرها فجأة أنه وجد من يشتري السيارة. أما هي فاندهشت لأنه تعب كثيرًا حتى ادخر ثمنها، وظلَّ أشهرًا يصلحها ويعتني بها كما لو كانت ابنته.

قال "سيير" وهو ينهض:

– ربما كان في حاجةٍ إلى المال.

ثم بدأ يسير في الغرفة وهو يقول:

– يجب أن نجد المشتري. أتساءل ماذا حدث بينهما. وفقًا لأقوال زوجته، كانت معه مائة كرونة في محفظته. علينا البحث في سيارته مجددًا. شخصٌ ما جلس فيها وقادها عدة كيلومترات، إنه القاتل. بالتأكيد ترك فيها شيئًا سهوًا!

قال "كارلسين":

– لكن السيارة بيعت.

– كنت أعرف أن هذا سيحدث!

قال "سكاري"، الرجل ذو الشعر المموج:

– معاينة سيارة في التاسعة مساءً يعتبر وقتًا متأخرًا جدًّا. يكون الظلام حالكًا جدًّا بحلول التاسعة في ليالي أكتوبر. لو أنني سأشتري سيارة، سأودُّ رؤيتها في وضح النهار. ربما كانت خطة مدبرة. خدعة مثلًا.

قال "سيير" وهو يحك ذقنه بأظافره المقصوصة بعناية:

- نعم. إن أردت اختبار سيارة، ستقودها خارج المدينة، بعيدًا عن الناس. لو أنه طُعِنَ في الرابع من أكتوبر، فمعناه أنه ظل في النهر ستة أشهر. هل تتطابق هذه المدة مع حالة الجثة؟

قال "كارسلين":

- الأطباء الشرعيون ليسوا واثقين. يقولون إنه من الصعب تحديد المدة. قال "سنوراسون" إنهم ذات مرة وجدوا جثة امرأة تُوفِّيت منذ سبع سنوات، ومع ذلك بدت جثتها سليمة تمامًا! كانت المياه باردة جدًّا، وهي بيئة ممتازة لحفظ الجثث. لكن يمكننا الافتراض أن الجريمة حدثت في الرابع من أكتوبر. بالنظر إلى التقرير، لا بدَّ أن الفاعل شخص قوي.

- لننظر إلى آثار الطعنات.

اختار صورة من الملف وذهب إلى السبورة وعلقها. تُظهِر الصورة ظهر "إينارسون" ومؤخرته بعد أن غُسِلَتْ الجثة تمامًا حتى ظهرت آثار الطعنات مثل الأخاديد.

- تبدو غريبة فعلًا. خمس عشرة طعنة. نصفها في أسفل ظهره ومؤخرته وبطنه، والباقي في جانب الضحية الأيمن فوق الفخذ مباشرةً. وُجِّهَتْ الطعنات بقوةٍ كبيرة من أعلى إلى أسفل، والفاعل أيمن. نصل السكين طويل ورفيع، رفيع جدًّا في الواقع. ربما كان سكين صيد. يا لها من طريقة غريبة لمهاجمة رجل. لكنك تتذكر شكل السيارة، صحيح؟

ثم نهض فجأة وجذب "سوت" من كرسيه، فسقط كيس الحلوى منه على الأرض. قال "سيير":

- أحتاج إلى من يمثل معي دور الضحية.

دفع الضابط إلى المكتب ووقف خلفه ثم أخذ المسطرة البلاستيكية، وقال:

- سيؤدي المكتب دور سيارة "إينارسون".

دفع "سيير" الضابط الشاب لينحني على المكتب، حتى وصلت ذقنه إلى الحافة الأخرى. ثم قال:

- من المفترض أن غطاء السيارة مفتوح لأنهما يفحصان المحرك. دفع القاتل الضحية إلى المحرك بيده اليسرى، ثم طعنه بيده اليمنى خمس عشرة طعنة. خمس عشرة!

أمسك المسطرة وطعن "سوت" في مؤخرته وهو يعد.

- واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة.

ثم حرك يده وطعنه في جانبه. تحرك "سوت" قليلًا وكأنه يشعر بالدغدغة.

- خمسة، ستة، سبعة.

ثم...

- لا!!!!

كان على وشك أن يطعنه أسفل بطنه مباشرةً، ففزع "سوت" ونهض وهو يغلق ساقيه. توقف "سيير" ودفع ضحيته برفق ليعيده إلى كرسيه وهو يكافح ليمنع ابتسامته.

- إنها طعنات كثيرة بالسكين. خمس عشرة طعنة ستنتج عنها كمية ضخمة من الدماء بالتأكيد. لا بدَّ أن الدم تناثر في كل مكان. على ملابس القاتل، ووجهه، ويديه، والسيارة، والأرض. لا فائدة من نقله للسيارة.

قال "كارلسين":

- بأي حال، لا بدَّ أن الجريمة وقعت بسبب اندفاعٍ لحظي. أسلوب القتل ليس عاديًّا. بالتأكيد حدث خلافٌ بينهما.

قال "سكاري" بسخرية:

- ربما لم يتفقا على السعر.

قال "سيير":

– عادةً من يَقتل بالسكين يُصاب بصدمةٍ عنيفة. فالأمر أصعب مما يتصور. لكن لنفترض أنها جريمة مدبرة، وأن الفاعل انتظر اللحظة المناسبة ليسحب السكين. لنقل مثلًا في حين يعطيه "إينارسون" ظهره وينحني على المحرك.

ضاقت عيناه وكأنما يستحضر المشهد في عقله.

– اضطر القاتل إلى طعنه من الخلف، لذلك لم يستطع قتله بضربةٍ واحدة، لأنه من الصعب الوصول إلى الأعضاء الحيوية من الخلف. وربما استغرق الأمر عدة طعنات قبل أن ينهار جسد "إينارسون" على الأرض أخيرًا. لا بدَّ أنها كانت تجربة مخيفة للقاتل نفسه، ظل يطعن ويطعن وضحيته تواصل الصراخ. بالتأكيد فزع ولم يستطع التوقف. هذا ما حدث. في خياله ظنَّ أنه سيضرب مرة أو مرتين، لكن كم مرة اكتفى أي قاتل في العدد الصغير من جرائم القتل بالسكين التي تعاملنا معها؟ أتذكر قضية ضمت سبع عشرة طعنة، وأخرى كانت ثلاثة وثلاثين.

– لكنَّ القاتل والضحية كانا يعرفان بعضهما. هل نتفق على هذا؟

جلس "سيير" ووضع المسطرة في الدرج وقال:

– نعم، بالتأكيد كانا يعرفان بعضهما. علينا العودة إلى البداية. يجب أن نعرف من أراد شراء السيارة. استخدما قائمة الأشخاص الذين حققنا معهم في شهر أكتوبر، وابدآ من أعلاها. قد يكون أحد زملائه.

نظر "سوت" إليه بشكٍّ وقال:

– الأشخاص أنفسهم؟ هل سنوجه الأسئلة نفسها إلى الأشخاص أنفسهم مجددًا؟

رفع "سيير" حاجبه وقال:

– ماذا تعني؟

– أعني أنه يجدر بنا البحث عن أشخاص جدد. فالإجابات لن تتغير، لأنه لم يتغير شيء منذ آخر مرة.

– حقًّا؟ ربما لم تكن منتبهًا لكلامي، لكننا وجدنا جثة الضحية عالقة في النهر، وأنت تقول إنه لم يتغير شيء؟

منع نفسه بصعوبة من الرد بتحدٍّ وقال:

- أعني أننا لن نحصل على إجاباتٍ مختلفة لهذا السبب فقط.

كتم "سيير" نبرة تحدٍّ أشد وقال:

- سنرى بهذا الشأن، أليس كذلك؟

أغلق "كارلسين" ملف القضية بصوتٍ مسموع.

أعاد "سيير" ملف "إينارسون" مكانه إلى خزانة الملفات إلى جانب ملف "دوربان"، وقال في عقله "فليؤنسا بعضهما". "مايا دوربان" و"إيجيل إينارسون". كلاهما ميت، والسبب مجهول. جلس في كرسيه وأرجع ظهره إلى الخلف ومد ساقيه الطويلتين إلى المكتب. دلَّك ظهره ثم أخرج محفظته. أخرج منها صورة حفيده "ماتيوس" المحشورة بين رخصة القيادة ورخصة القفز الحر. لقد أتم عامه الرابع. بدأ يتعلم عن السيارات، وخاض شجاره الأول فعلًا وخسره بكل أسف. تفاجأ كثيرًا حين ذهب إلى مطار "فورنيبو" ليصطحب ابنته "إنجريد" وزوجها "إريك" اللذين كانا في الصومال لثلاثة أعوام. فهي ممرضة وهو طبيب في الصليب الأحمر. كانت واقفة أعلى سلم الطائرة، تأثير الشمس واضح في بشرتها وشعرها. وهلةً شعر أنه يرى "إليز" في لقائهما الأول. كانت تحمل طفلًا صغيرًا بين ذراعيها. في ذلك الوقت كان في شهره الرابع، بشرته بنية كالشوكولاتة، وشعره مجعد، أما عيناه فلم يرَ أدكن منهما. قال لنفسه إن الصوماليين عرقٌ جميل. تأمل الصورة قليلًا قبل أن يعيدها. ساد الهدوء في المباني الملحقة ومعظم المبنى الرئيسي. مدَّ إصبعيه في كم قميصه وحكَّ مرفقه. تقشر الجلد وظهرت تحته طبقة جديدة وردية سرعان ما تقشرت هي الأخرى. أخذ سترته المعلقة على ظهر كرسيه وأغلق المكتب. ذهب في زيارةٍ سريعة إلى السيدة "برينيجن" في الاستقبال. تركت كتابها فورًا. بالتأكيد وصلت إلى مشهدٍ رومانسي وأرادت الاحتفاظ به حتى تقرأه في السرير. تبادلا كلماتٍ قليلة ثم أومأ لها وذهب إلى "روزينكرانتزجايت" ليزور أرملة "إينارسون".

الفصل الرابع

ألقى نظرة سريعة على نفسه في المرآة، ومرَّر أصابعه في شعره. لم يكن لديه وقت لتحسين مظهره. في الواقع فعل ذلك من باب العادة وليس الاهتمام الفعلي بمظهره.

يستغل "سيير" كل فرصة للخروج من المكتب. يقود ببطء في وسط المدينة. دائمًا يقود ببطء، لأن سيارته قديمة ومتهالكة. إنها "بيجو" زرقاء كبيرة، ولم يكن لديه أي سبب ليغيرها. عندما تغطي الثلوج الطرقات، تشعر وكأنك تقود زلاجة.

سرعان ما وجد نفسه يمرُّ بمنازل ملونة، كل منها يضم أربع عائلات. اصطفَّت المنازل على يمينه بألوانها الوردي والأصفر والأخضر. كانت الشمس تسطع عليها فتضيء بألوانٍ جميلة وكأنها تدعوك إلى زيارتها. بُنِيَتْ هذه المنازل في الخمسينيات، ولها مظهر عريق تفتقر إليه المنازل الحديثة. الأشجار تنمو بشدةٍ هنا، فتربة الحدائق خصبة، أو على الأقل تكون كذلك في الربيع. لكن ما زال الجو باردًا، فالربيع تأخَّر. تعرضت النباتات للجوٍّ جاف لمدةً طويلةً، وفي المجاري المائية كتلٌ ثلجية قذرة مكدسة. بحث بعينيه عن البيت رقم 16، وميَّز البيت الأخضر المحافظ عليه جيدًا لحظةَ أن رآه. كان المدخل فوضى من ألعاب الدراجات

والشاحنات وكل الألعاب البلاستيكية التي أحضرها الأطفال من داخل المنزل بعشوائية. يبدو أنهم يفتقدون اللعب على الأسفلت بعد شتاءٍ طويل غطى الأرض بالثلوج. ركن سيارته وضرب الجرس.

بعد بضع ثوانٍ فتحت الأرملة الباب ومعها طفل صغير يتشبث بتنورتها. قال وهو يومئ برأسه تحيةً:

- سيدة "إينارسون"، هل يمكنني الدخول؟

أومأت "يوران إينارسون" بترددٍ وعلى مضض إلى حدٍّ ما، لكن لم يكن لديها الكثير من الناس لتتحدث إليهم على كل حال. كان يقف بالقرب منها حتى أمكنها أن تشمَّ رائحته. إنها مزيج من جلد سترته وكولونيا ما بعد الحلاقة خفيفة. قالت بريبة:

- لا أعرف شيئًا أكثر مما أخبرتكم في الخريف الماضي فعلًا. ما عدا تأكُّدي من وفاته. كنت أتوقع هذا طبعًا. أعني بسبب مظهر السيارة.

وضعت ذراعها حول كتف الطفل وكأنها تحميه وتحمي نفسها.

- لكننا وجدناه الآن يا سيدة "إينارسون". لذلك الأمور اختلفت قليلًا، صحيح؟

صمت وانتظر. هزَّت رأسها حائرةً وقالت:

- لا بدَّ أن الفاعل مجرد مخبول طمع في ماله. لقد اختفت محفظته. أنت تعلم ذلك. على الرغم من أنه لم يكن يملك إلا مائة كرونة فقط. لكن أصبح الناس يقتلون طمعًا في بعض النقود التافهة هذه الأيام.

- أعدكِ أنني لن آخذ من وقتكِ كثيرًا.

استسلمت وسمحت له بالدخول. وقف "سيير" في الممر المؤدي إلى غرفة المعيشة ونظر حوله. دائمًا ما يشعر بالرهبة حين يلاحظ مدى تشابه الناس فيما يخص ترتيبهم غرفَ المعيشة. الترتيب نفسه في كل البيوت. تماثل كامل، مع بقاء التليفزيون والفيديو مركزًا يتوجه نحوه باقي الأثاث. هذه هي

الغرفة التي تجتمع فيها العائلة لتشعر بالدفء الأسري. تضع السيدة "إينارسون" في الغرفة أريكة جلدية وردية وسجادة بيضاء وطاولة. إنها غرفة أنثوية تمامًا. لقد عاشت وحدها ستة أشهر. ربما أمضت الوقت في إزالة كل أثر ذكوري منها، هذا لو كان موجودًا من الأساس. لم يرَ منها أي شعور بالفقدان أو الحب تجاه الرجل الذي وجدوا جثته في النهر الداكن، وقد كانت رمادية وبالية مثل إسفنجة قديمة. كل قلقها كان حول مسائل عملية، مثل من أين ستعيش الآن، وكيف يمكنها الخروج للبحث عن رجلٍ آخر وهي لا تملك مالًا لتأجير جليسة أطفال. شعر بالإحباط من هذه الأفكار، فنظر إلى صورة الزفاف المعلقة فوق الأريكة. تضم نسخة شابة من "يوران" بشعرٍ مصبوغ، وإلى جانبها "إيجيل إينارسون"، نحيل وحليق الوجه إلا من شاربٍ رفيع. بدا مبالغًا في التأنق وكأنه مرشح للانضمام إلى الكنيسة. بذلا جهدهما في اتخاذ وضعية مناسبة للتصوير أمام المصور البسيط. لكنهما فعلا ذلك بدافع الاهتمام بمظهرهما وليس ببعضهما. قالت بتردد:

- لديَّ بعض القهوة، هل تريد؟

قَبِلَ عرضها. أراد أن يتشبث بأي شيء، حتى إن كان مجرد كوب. دخل الولد إلى المطبخ خلف أمه، لكنه اختلس النظر إليه بصمت من خلف الباب. كان نحيلًا، وعلى أنفه بعض النمش، وشعره طويل ويسقط على عينيه طوال الوقت. بعد بضعة سنوات سيشبه والده في صورة الزفاف.

حثه "سيير":

- ذكرني باسمك.

تردد الولد قليلًا ثم دار بكعب حذائه على الأرضية، وقال وهو يبتسم بخجل:

- "يان هنري".

أومأ "سيير" وقال:

- "يان هنري"، نعم. هل يمكنني أن أسألك سؤالًا يا "يان هنري"؟ هل تجمع دبابيس الزينة؟

أومأ الولد وقال:

- لديَّ أربعة وعشرون. أثبتها جميعًا في قبعة رعاة البقر الخاصة بي.

ابتسم "سيير" وقال:

- أحضرها إذًا. سأعطيك دبوسًا ليس لديك مثله بالتأكيد.

أسرع الولد إلى غرفته، ثم عاد مرتديًا قبعةً كبيرة. كانت كبيرة جدًّا، وخلعها باحترامٍ شديد وهو يقول:

- أطراف الدبابيس تخز بشدة من الداخل، لذلك من الصعب ارتداء القبعة.

قال "سيير":

- انظر، إنه دبوس شرطة. حصلت عليه من سيدة "برينيجن" من مركز الشرطة. ليس سيئًا، صحيح؟

أومأ الولد وبحث عن مكانٍ خالٍ في قبعة الشرف ليثبت الدبوس الذهبي الصغير. ثم عقد العزم وخلع دبوسًا قديمًا ليضع دبوس الشرطة في منتصف القبعة في الأمام. عندها دخلت والدته وابتسمت. ثم قالت ببساطة:

- هيا اذهب إلى غرفتك، عليَّ التحدث مع الضيف.

ارتدى القبعة مجددًا وغادر.

شرب "سيير" القهوة وشاهد السيدة "إينارسون" وهي تضع قطعتي سكر في كوبها بحرص حتى لا تسكب القهوة. لقد خلعت خاتمها. بدت المنابت البنية لشعرها الأشقر المصبوغ واضحة. كانت تضع الكثير من مساحيق التجميل حول عينيها، فبدا مظهرها قاسيًا إلى حدٍّ ما. في الحقيقة إنها امرأة جميلة ورقيقة وضئيلة. هي نفسها قد لا تعرف ذلك. على الأرجح هي غير راضية عن شكلها مثل معظم النساء. لكنه استدرك في تفكيره بسرعةٍ وقال "ما عدا إليز".

- ما زلنا نبحث عن المشتري يا سيدة "إينارسون". لسببٍ ما أراد زوجكِ بيع سيارته فجأة، على الرغم من عدم مناقشة الموضوع معكِ. لقد ذهب ليعرضها على شخصٍ ما ولم يعد. ربما أُعجِب شخص ما بها وأوقفه في وسط الطريق. ربما أراد شخصٌ ما هذا النوع بالذات وتواصل معه. أو ربما شخصٌ ما خرج للنيل منه شخصيًّا ولم يهتم بالسيارة، بل استخدمها لاستدراجه خارج المنزل وحسب، فأقنعه ببيعها. ألا تعرفين أكان قد مرَّ بأزمةٍ مالية أم لا؟

هزَّت رأسها وهي تذوِّب قطعة سكر في القهوة، وقالت:

- لقد سألتني ذلك من قبل. لا، لم يكن يعاني أزماتٍ مالية. أعني أن الوضع لم يكن بهذا السوء. لكن الجميع يحتاج إلى مال باستمرار. نحن لسنا أثرياء، والوضع أسوأ الآن. لا أستطيع إيجاد حضانة للولد، وأُصاب بصداعٍ نصفي.

دلَّكتْ جانبيْ رأسها برفق لتوضح له أن يعاملها برفق وإلا قد يهاجمها الصداع في أي لحظة. أضافت:

- ليس سهلًا العمل مع هذا الألم، خاصةً مع طفل.

أومأ بتعاطفٍ وقال:

- ألم تعرفي على الأقل إن كان يقامر أو يأخذ قروضًا أو يستدين مالًا ثم واجه مشكلة في السداد؟

- لم يكن مديونًا. لم يكن ذكيًّا لكنه لم يكن غبيًّا أيضًا. كان يصرف ماله على السيارة فقط، وأحيانًا في البار. كان متهورًا، لكنه لم يكن جريئًا كفاية ليتورط في شيءٍ غير قانوني. هذا ما أظنه على الأقل. نحن متزوجان منذ ثمانية أعوام، لذلك أظن أنني أعرفه بما فيه الكفاية. لكن لا أستطيع الجلوس هنا والتحدث بالسوء عن "إيجيل"، حتى لو كان ميتًا.

أخذت نفسًا عميقًا ثم سكتت.

- ألا تذكرين إن كان أحد زملائه تحدث عن رغبته في شراء السيارة؟

– نعم، بالتأكيد فعلوا. لكنه لم يرغب في البيع. لم يحب إقراضها لأحدٍ حتى.
– ألا تذكرين أي مكالمات أُجريت حول السيارة في الأيام السابقة لاختفائه؟
– لا.
– كيف كان حاله في المساء الذي غادر فيه؟
– لقد أخبرتك بالفعل. كان عاديًّا. عاد إلى البيت من العمل في الثالثة والنصف. كان في المناوبة الصباحية. تناول بيتزا مكسيكية وقهوة ونام في المرآب طوال المساء.
– نام؟
– تحت السيارة وهو يصلحها. كان مهووسًا بها. بعد ذلك غسلها. أما أنا فكنت مشغولة في البيت ولم أهتم بالأمر حتى جاء إليَّ في أثناء فيلم "كازينو" وقال إنه ذاهبٌ ليعرض السيارة على شخصٍ ما.
– ولم يذكر اسمه؟
– لا.
– ألم يذكر أين سيقابله أيضًا؟
– لا.
– ولمْ تسأليه عن سبب بيعه لها؟
تحسَّست شعرها وهزت رأسها وهي تقول:
– لم أهتم بأمر السيارة. أنا لا أملك حتى رخصة قيادة. لم أهتم حتى بنوعها، المهم أن لدينا سيارة وحسب. وهو لم يقل إنه سيبيعها، بل قال إنه سيعرضها على شخصٍ ما فقط. وليس بالضرورة أن يكون القاتل. ربما قابل شخصًا ما، أو عرض على أحدهم أن يوصله. لا أعرف. هذه المدينة مليئة بالمخابيل، لأن معظم سكانها مدمنو هيروين. لا أعرف لماذا تعجزون عن منع الهيروين. فكروا في طفلي "يان هنري" الذي سيكبر في هذا المكان. إن شخصيته ليست قوية، فهو مثل والده.

– الشخصية القوية تتكون مع الوقت. لنمنحه بضع سنوات.

ثم ذكرها:

– لقد نشرنا إعلانًا عن المشتري المجهول في الصحف والتليفزيون، لكن لم يأتِنا أحد. لم يجرؤ أحد. إما أن زوجكِ كذب عندما غادر المنزل ذلك المساء، فربما ذهب ليفعل شيئًا آخر، وإما أن المشتري المجهول هو القاتل الحقيقي.

قالت باستياء كمن يشعر بالإهانة:

– كذب؟! لو ظننت أنه يخفي أسرارًا مشينة فأنت مخطئ. فهو ليس هذا النوع من الأشخاص، ثم إنه ليس جذابًا في نظر السيدات. لو قال إنه سيعرض السيارة على شخصٍ ما، فهذه هي الحقيقة.

قالتها بصراحةٍ أقنعته. فكَّر قليلًا، ولمح الولد وهو يتسلل عائدًا ويجلس خلف والدته بخفة. فغمز إليه في الخفاء.

– حاولي أن تتذكري وأخبريني ما إذا حدث شيء ما غير معتاد. لنقل قبل اختفائه بستة أشهر مثلًا وحتى إيجاد السيارة في مكب النفايات. هل تذكرين إن بدا غير طبيعي أو قلقًا في أي وقت؟ هل حدث أي شيء غريب؟ أي مكالمات أو رسائل؟ ربما عاد من العمل إلى البيت متأخرًا عن المعتاد أو لم ينم جيدًا؟

أذابت "يوران إينارسون" قطعة السكر الأخرى، وبدا عليها أنها تغوص في ذكرياتها. فكرت في بعض الذكريات، ثم تجاهلتها وواصلت. كان الولد يتنفس بخفوت كعادة الصغار حين يريدون الإنصات لما يجب ألا يعرفوه. قالت:

– وقعت مشكلة في البار ذات مساء. هذا يحدث كثيرًا على ما أظن، لكن تلك المرة تمادى أحد الزبائن حتى اتصل صاحب البار بالشرطة ليأخذوه. كان أحد زملاء "إيجيل" من مصنع الخمور. تبعهم "إيجيل" وتوسل إليهم أن يطلقوا سراحه. وعدهم أن يقوده إلى البيت ويضعه في السرير بنفسه. وقد فعلوا. تلك الليلة لم يعد إلى البيت إلا في الثالثة والنصف فجرًا. وأتذكر أنه استيقظ متأخرًا في اليوم التالي.

- وهل عرفتِ ماذا حدث؟
- لا. كل ما أعرفه هو أنه كان غاضبًا جدًّا. أقصد زميله وليس "إيجيل". بأي حال، كانت السيارة مع "إيجيل"، وكانت لديه المناوبة الصباحية. لم أسأله عن التفاصيل لأن هذه الأمور لا تهمني.
- هل كان "إيجيل" من النوع الذي يهتم بالآخرين؟ أعني كان يمكنه التخلي عن زميله لكنه لم يفعل. إنه لطفٌ منه.
- لم يكن يهتم بالآخرين بشكل خاص. في العادة لا ينتبه لما يحدث حوله. لذلك تفاجأت قليلًا عندما عرفت أنه تكبَّد هذا العناء بأن أنقذ رجلًا من محضر سكر وشغب. بصرف النظر عن دهشتي، لقد كانا زميلين على كل حال. بصراحة لم أفكر في الأمر كثيرًا، إلى أن سألتني الآن.
- متى حدث هذا تقريبًا؟
- يا إلهي، لا أستطيع التذكر. ربما قبل اختفائه بقليل.
- بأسابيع أم شهور؟
- لا، بل بضعة أيام.
- بضعة أيام؟ هل ذكرتِ هذا عندما تحدثنا معكِ في الخريف الماضي؟
- لا أظن.
- هل تعرفين من كان الرجل المخمور يا سيدة "إينارسون"؟
هزت رأسها فلمحت الولد وقالت:
- "يان هنري"! ألم أخبرك أن تذهب إلى غرفتك؟
نهض وغادر الغرفة بائسًا. ثم سكبتْ المزيد من القهوة. كرر بهدوء:
- ما اسمه يا سيدة "إينارسون"؟
- لا أتذكر. يوجد الكثير من العمال الذين يخرجون معًا في البار.
- تقولين إنه استيقظ متأخرًا في اليوم التالي، صحيح؟
- نعم.

– وفي العمل جهاز لتسجيل موعد الوصول والمغادرة، صحيح؟
– نعم.
فكر قليلًا ثم قال:
– هل بعتِ السيارة بعدما أعادها فريقنا التقني إليكِ؟
– نعم، كنت في حاجةٍ للمال. بالإضافة إلى أنني لا أجيد القيادة أيضًا. لذلك بعتها إلى أخي مع بعض العدد والأدوات، رافعة ومقابس وشيء آخر لا أعرف ما هو حتى. لكن كان في السيارة شيءٌ ناقص.
– ماذا؟
– لا أتذكر ما هو. لقد سألني أخي عنه وبحثنا لكن لم نجده. لا أتذكر ما هو.
– حاولي، قد يكون مهمًّا.
– لا. لا أظنه مهمًّا، لكن لا يمكنني التذكر. لقد بحثنا في المرآب أيضًا.
– اتصلي بالشرطة إذا تذكرتِ. هل يمكنكِ أن تسألي أخاكِ؟
– إنه مسافر، ولكنه سيعود قريبًا.
قال وهو ينهض:
– شكرًا يا سيدة "إينارسون".
نهضت بدهشة لأنه قام فجأة، وتبعته إلى الباب. حياها وذهب إلى سيارته. بينما يضع المفتاح في الباب، لمح الولد يقف في حوض الزهور ويقلب الطمي بنشاط. كان حذاؤه متسخًا. لوح له "سيير" وقال:
– أهلًا! أليس لديك من تلعب معه؟
ابتسم الولد بحرجٍ وقال:
– لا. لماذا لم تأتِ بسيارة الشرطة ما دمتَ في مناوبة عمل؟
– سؤال منطقي. الأمر وما فيه هو أنني في طريقي إلى بيتي. أنا أعيش في آخر هذا الطريق. وإذا أتيت بسيارتي، لن أضطر إلى العودة إلى المركز لتبديل السيارة.

فكَّر قليلًا ثم سأله:

- هل ركبت سيارة شرطة من قبل؟

- لا.

- في المرة القادمة التي آتي فيها لرؤية والدتك، سأحضر في سيارة شرطة. يمكنني أن أصطحبك في جولة إن أحببت.

ابتسم الولد لكن مع لمحة شك، ربما كذب عليه أحدهم بهذا الشأن من قبل. فطمأنه "سيبر":

- أنا أعدك، ولن تنتظر طويلًا!

ثم جلس خلف المقود وقاد ببطء. لمح في المرآة الولد وهو يلوح له بذراعه النحيلة.

ظل يفكر في الولد وهو ينعطف يسارًا، وعلى يمينه كنيسة تابعة لمذهب "قديسي الأيام الأخيرة". قال لنفسه "فليسامحك الله يا "كونراد" لو نسيت سيارة الشرطة في المرة القادمة".

الفصل الخامس

كانت "إيما" تلعب بلعبة المزرعة على الأرض في غرفة المعيشة.

الحيوانات مرصوصة بنظام. خنازير وردية، بقر بني وأبيض، ودجاج وأغنام. يوجد ديناصور "تيرانوصور" يراقب المشهد. اقترب رأسه الصغير من حافة الحظيرة.

بين حين وآخر تجري إلى النافذة لترى إن كانت سيارة والدها قد وصلت. عادةً تقضي الإجازة الأسبوعية مع والدها، ودائمًا تنتظر ذلك بلهفة. كذلك "إيفا" كانت تنتظر بتوتر على الأريكة، تنتظر بفارغ الصبر أن تخرج الطفلة من البيت وتتركها وحدها لكي تفكر في هدوء. عادةً تستغل تفرغها في الإجازة الأسبوعية لتعمل عملًا إضافيًّا. لكنها الآن تشعر بالعجز. تغير كل شيء منذ وجدتاه.

لم تذكر "إيما" جثة الرجل لبضعةَ أيام، لكن هذا لا يعني أنها نسيته. لقد فهمت من نظرة أمها أنه عليها ألا تذكر الموضوع، ولقد أطاعتها على الرغم من جهلها بالسبب.

في المرسم لوحة فارغة تقف على الحامل. لقد دهنت القماش باللون الأسود دون لمحة ضوء استعدادًا للعمل عليها. لكنها لم تنظر حتى إليها، لأن هناك الكثير لتفعله أولًا. جلست على الأريكة ترهف السمع بحماس

"إيما" نفسه في انتظار سيارة "الفولفو" الحمراء أن تصل في أي لحظة. حيوانات المزرعة مرصوصة بنظامٍ تامٍّ، فيما عدا الوحش الأخضر الذي يفوق الحظيرة طولًا.

- هذا الديناصور لا يناسب المكان، صحيح يا "إيما"؟

عبست "إيما" وقالت:

- أعلم. إنه يزورهم فقط.

- فهمت. كان عليَّ أن أعرف.

رفعت ساقيها وغطتهما بتنورتها، وحاولت أن تفرغ عقلها من الأفكار. جلست "إيما" على الأرض مجددًا ودفعت الخنازير الصغيرة واحدًا تلو الآخر تحت أمهم.

ثم رفعت خنزيرًا صغيرًا بإصبعيها وقالت لأمها بتساؤل:

- لا توجد حلمات كافية لهم جميعًا. لا توجد واحدة لهذا الصغير.

- هذا هو الحال غالبًا. إما أن تموت الخنازير الزائدة من الجوع، وإما أن يطعمها المزارعون بالزجاجة. لكنهم غالبًا لا يجدون وقتًا.

فكرت "إيما" قليلًا ثم قالت:

- يمكنني أن أعطيه لـ"دينو". فهو يحتاج إلى أن يأكل أيضًا.

- لكنه يأكل العشب والأوراق فقط. صحيح؟

- ليس هذا. إنه من يأكل اللحوم.

ثم وضعت الخنزير الصغير بين أسنان الديناصور الأخضر الحادة.

هزَّت "إيفا" رأسها بصدمة من هذا الحل العملي. لن يتوقف الأطفال عن إدهاشها أبدًا. فجأة سمعتا صوت محرك سيارة في الحديقة. اندفعت "إيما" بأقصى سرعة لتحية والدها.

رفعت "إيفا" رأسها بفتور عندما ظهر على عتبة الباب. هذا الرجل كان سابقًا بمنزلة الملهم في حياتها. عندما وقفت "إيما" إلى جانبه بدت

أصغر وأرفع من المعتاد. إنهما يناسبان بعضهما. كلاهما أصهب وبدين. ثم إنهما يحبان بعضهما كثيرًا، وهذا يسعدها. لم تغَر، ولا حتى من المرأة الجديدة في حياته. سبب حزنها كان هجره إياها. لكن ما حدث قد حدث، وهي تتمنى له الخير. الأمر بسيط.

ابتسم لها وهو يومئ بتحية، فتحركت خصلات شعره الأصهب.

- "إيفا"! تبدين متعبة.

قالت وهي تفرد جيبتها:

- لديَّ بعض المشكلات لأتعامل معها.

سألها دون لمحة سخرية:

- مشكلات فنية؟

- لا. بل مشكلات حقيقية في الحياة.

- هل هي خطيرة؟

- أسوأ مما تتخيل.

فكر في جوابها وعبس حاجبه ثم قال:

- إن كان يمكنني المساعدة، فعليكِ إخباري.

- قد تضطر إلى هذا في النهاية.

وقف ينظر إليها بصدق في حين تتشبث "إيما" بساقه. الطفلة ثقيلة كفاية لتخل توازنه. شعر بتعاطفٍ شديد، لكنها تعيش في عالمٍ فني بعيد عن إدراكه تمامًا. لم يشعر أبدًا أنه ينتمي إليه. ومع ذلك إنها جزء مهم في حياته وستظل كذلك.

- أحضري حقيبتكِ وعانقي أمك يا "إيما".

أطاعته بحماسٍ شديد، ثم غادرا معًا. ذهبت "إيما" إلى النافذة وتبعت السيارة بنظرها وهي تختفي بين السيارات. عادت لتجلس على الأريكة، ورفعت ساقيها وأرخت رأسها إلى الوراء وهي تغلق عينيها. كانت الغرفة

هادئةً والضوء خفيفًا بها بشكلٍ مريح. تنفست بهدوءٍ وانتظام، وسمحت للصمت أن يحيط بها. عليها أن تستمتع بهذه اللحظة وتقدرها وتتذكرها، فهي تعلم أنها لن تدوم.

***

صبَّ "سيير" لنفسه كأسًا كبيرةً من الويسكي، وأبعد الكلب عن الأريكة. إنه كلب من نوع "ليون بيرجر"، عمره خمس سنوات، ويزن سبعين كيلوجرامًا. لكنه طيب، واسمه "كولبيرج". كان له اسم آخر، لأن مؤسسة الكلاب تسجل أسماءهم وفقًا لنظامهم الخاص. في حالته كانوا يستخدمون عناوين أغاني فرقة "بيتلز". بدأوا بالترتيب الأبجدي، وعند ولادة "كولبيرج" كانوا قد وصلوا لحرف الـ "L". وهكذا أسموه "Love Me Do"، وأسموا أخته "Lucy in the Sky". استاء "سيير" حين تذكر الأسماء.

زفر الكلب بعمق ثم استقر عند قدميه وأسند رأسه الضخم عليهما حتى تعرقتا داخل جواربه. لم يطاوعه قلبه أن يحركهما، ثم إن هذا الوضع لطيف، خاصةً في الشتاء. شرب "الويسكي" وأشعل سيجارة ملفوفة يدويًّا. هذه هي النزوات التي يسمح لنفسه بها في اليوم، كأس واحدة من الويسكي وسيجارة ملفوفة يدويًّا. ولأنه يدخن القليل جدًّا، شعر بنبضات قلبه تزداد فورًا مع السيجارة. في الأيام الهادئة، يذهب إلى المطار ويمارس القفز بالمظلات، لكنه لا يعتبر هذا من النزوات، كما فعلت "إليز". والآن مرت ثماني سنوات على وفاتها، وكبرت ابنته وتزوجت. لم يكن "سيير" رجلًا متهورًا، فهو لا يقفز إلا في الأجواء المثالية، ولم يجرب أبدًا حركاتٍ خطرة. إنه يستمتع فقط بالاندفاع عبر الهواء، والابتعاد عن كل شيء، والاستمتاع بالمناظر والمزارع والحقول البعيدة بتنسيقها وألوانها، وبالأضواء، وشبكة الطرق. يشبه المنظر الجهاز الليمفاوي في الجسد لكن بحجمٍ عملاق. وطبعًا توجد صفوف البيوت المنظمة بألوان

الأحمر والأخضر والأبيض. قال لنفسه: "الإنسان مخلوق يحتاج إلى أنظمة في حياته فعلًا". ثم نفث الدخان على ضوء المصباح.

"إيجيل إينارسون" كان لديه نظام في حياته أيضًا. فلديه وظيفة مستقرة في مصنع الخمور، ولديه زوجة وابن، ومجموعة من الأصدقاء يقضي معهم وقتًا في البار في المنطقة الجنوبية. إنه نظام ثابت يتكرر كل يوم، من البيت إلى المصنع إلى البيت إلى البار ثم إلى البيت مجددًا. وبين هذا وذاك ينظف سيارته ويصلحها ويزيتها. أسبوع يجرُّ شهرًا يجرُّ عامًا. لا شيء مختلف أو غير اعتيادي في ملفه. لا دراما فيغير حياته. لقد أمضى دراسته كغيره من الطلاب، دون لفت الكثير من الانتباه. ثم درس الهندسة عامين، لكنه لم يعمل بما درسه أبدًا. وأخيرًا أصبح عاملًا في مصنع خمور وأعجبه الأمر. كان يجني ما يكفي معيشته. لم يصل إلى حد الرفاهية، لكن لم ينحدر به الحال أيضًا. إنه رجل بسيط، وزوجته سيدة لطيفة أدت ما عليها. ثم فجأة طعنه شخصٌ ما خمس عشرة طعنة. تساءل "سيير" كيف لرجلٍ عادي مثل "إينارسون" أن يستفزَّ شخصًا ما لهذه الدرجة؟

شرب "الويسكي" وهو يواصل تفكيره. طبعًا عليهم إضافة بعض الأسماء إلى سجلاتهم الآن؛ أشخاص لم يفكروا فيهم وعليهم استجوابهم لكي يخرجوا بمعلومات جديدة عن الحادثة المأساوية. ظل يفكر في السيارة. "أوبل مانتا" موديل 88. أراد بيعها فجأة. شخصٌ ما أظهر اهتمامه بها، هذا ما حدث بالتأكيد. فهو لم ينشر إعلانًا عن بيعها في الصحف، ولم يخبر أحدًا أنه يريد بيعها. لقد تحققت الشرطة من هذا. سحب نفسًا من السيجارة، وحبس الدخان في فمه بضع ثوانٍ وهو يفكر. خطر على باله سؤالٌ مفاجئ؛ ممن اشتراها أصلًا؟ لم يفكر في هذا من قبل. كان عليه ذلك. ذهب إلى التليفون فورًا ليجري اتصالًا. لكن بمجرد أن سمع الرنين، خطر على باله أن الوقت قد يكون متأخرًا قليلًا على

الاتصال بأي شخص. أجابت السيدة "إينارسون" مع الرنين الثاني. استمعت إليه دون توجيه أي أسئلة، ثم فكرت قليلًا وقالت:

- عقد شراء؟ نعم، قد أجده في درج الأوراق. لكن عليك الانتظار قليلًا.

انتظر واستمع إلى صوت الأدراج والأوراق.

قالت:

- لا أستطيع قراءتها.

- حاولي. يمكنني القدوم لأخذها غدًا إن كنتِ لا تستطيعين قراءتها.

- حسنًا، إنه عنوان في "إريك بوريسينزجايت". لشخص اسمه "ميكيلسون" على ما أظن. لا أستطيع قراءة الاسم الأول أو رقم الشارع. ربما كان خمسة. تقريبًا خمسة. أو ستة. "إريك بوريسينزجايت"، رقم خمسة أو ستة.

- يمكننا الاستفادة من هذا. أنا متأكد. أشكركِ كثيرًا!

كتب الملاحظات في مفكرة إلى جانب التليفون. من المهم ألا ينسى شيئًا. ما دام لا يمكنه معرفة من اشترى السيارة، فليبحث عن مالكها الأصلي. على الأقل هذا خيط يمكن اتباعه.

الفصل السادس

وصل يومٌ آخر إلى نهايته عندما عاد "كارلسن" من الكافيتريا ومعه شطيرتان من الجمبري وصودا. جلس وبدأ يأكل أول شطيرة عندما ظهر "سيير" على الباب - المحقق الأكثر اعتدالًا في أسلوب طعامه - يحمل شطيرتين من الجبن وزجاجة مياه معدنية وصحيفة تحت ذراعه.

- هل يمكنني الانضمام إليك؟

أومأ "كارلسن" وهو يغمس الشطيرة في المايونيز ويأكل.

سحب "سيير" كرسيًّا وجلس. ثم أخذ شريحة جبن من بين قطعتي الخبز ولفَّها وقضمها وهو يقول:

- سأتفقد ملف "مايا دوربان".

- لماذا؟ بالتأكيد لا توجد صلة بين القضيتين.

- ليس بشكلٍ واضح. لكن لا توجد قضايا قتلٍ كثيرة في هذه المدينة. والفاصل بين هاتين الجريمتين بضعة أيام. كان "إينارسون" يذهب إلى "كينجز أرمز" باستمرار، في حين أن "دوربان" كانت تعيش على بعد ثلاثمائة مترٍ من هناك. يجب أن نتفقد الأمر بشكل أدق. انظر إلى هذا!

نهض وذهب إلى الخريطة المعلقة على الجدار، وأخذ دبوسين باللون الأحمر وثبتهما على الخريطة بسرعةٍ ودقة دون أن يبحث. واحد على "توردينسكيولدزجايت" والآخر في "كينجز أرمز"، ثم جلس.

- انظر إلى الخريطة. هذا يشمل المقاطعة الصغيرة بأكملها. ضع في اعتبارك أن مساحة الخريطة متران في ثلاثة أمتار.

مد يده إلى مصباح مكتب "كارلسين"، الذي يمكن تحريكه في أي اتجاه، وسلَّط الضوء على الخريطة.

- عُثِرَ على جثة "مايا دوربان" في الأول من أكتوبر. وقُتِلَ "إينارسون" في الرابع من أكتوبر. على الأقل هذا ما نفترضه. هذه ليست مدينة ضخمة حيث تقع مثل هذه الحوادث باستمرار، ومع ذلك انظر إلى مدى تقارب الموقعين!

نظر "كارلسين" بتركيز إلى الخريطة الأبيض في أسود والدبوسين اللذين يشبهان عينين حمراوين.

- هذا صحيح. لكنهما لم يعرفا بعضهما على حد علمنا.

- يوجد الكثير مما لا نعرفه بعد. هل يوجد ما نعرفه أصلًا؟

- يا لها من نظرةٍ تشاؤمية! لكن على الأقل لنجري اختبار الحمض النووي على "إينارسون" ونقارنه بـ"دوربان".

- حسنًا، لِمَ لا؟ لن نخسر شيئًا في أي حال.

جلسا في صمتٍ لبعضَ الوقت. كلا الرجلين يحترم الآخر بطريقةٍ ضمنية. لم يصرحَا بذلك علنًا، لكنهما يتعاطفان مع بعضهما بصمت. "كارلسين" يصغر "سيير" بعشر سنوات، ولديه زوجة تحتاج إلى الإرضاء المستمر. لهذا يسانده "سيير" في الخفاء، إيمانًا منه بأن الرجل لديه ما يكفيه من المتاعب مع عائلته، وهي ما يعتبرها كيانًا مقدسًا. قاطع أفكاره ظهور ضابطة عند الباب.

قالت وهي تسلمه ورقة صغيرة:

- وصلت بعض الرسائل. واتصل "أندرسون" من القناة الثانية التليفزيونية. سأل إن كان يمكنك الظهور في برنامج "شاهد عيان" لتتحدث عن قضية "إينارسون".

توتر "سيير" ودارت نظراته في الغرفة.

- ربما تتولى أنت هذا الأمر يا "كارلسين". أنت أفضل مني في اللقاءات.

ابتسم "كارلسين". يكره "سيير" الظهور في العلن. إن نقاط الضعف لدى هذا الرجل قليلة، وهذه إحداها. قال:

- آسف. سأذهب إلى غرفة الاجتماعات الآن. هل نسيت أنني سأذهب في مأمورية عشرةَ أيام؟

فقال "سيير" للضابطة:

- اسألي "سكاري"، سيسعد بذلك بالتأكيد، وأنا سأساعده. هكذا لن أضطر إلى الجلوس تحت أضواء المرسم. هيا، أخبريه الآن!

ابتسمت وذهبت، وبدأ هو بقراءة الرسائل. نظر إلى ساعته. سيذهب أصدقاؤه القدامى للقفز بالمظلات في "يارلسبيرج" آخر الأسبوع إن كان الجو مناسبًا. عليه الاتصال بـ"يوران إينارسون". تناول طعامه على مهلٍ، ثم نهض وقال:

- سأخرج لبعضَ الوقت.

- يا إلهي! لم تمكث سوى نصف ساعة، لكنك تتصرف كما أنك هنا منذ لو بقيت دهر!

رد "سيير":

- المشكلة هي أن الناس يبقون في الداخل طوال اليوم. لا جديد سيحدث في المكتب، أليس كذلك؟

- أنت محق على الأرجح. لكنك بارعٌ في إيجاد ما تفعله خارج المكتب. أنت موهوب في هذا يا "كونراد".

- عليك أن تستعمل خيالك.

- مهلًا لحظة.

قال "كارلسين" بحرج وهو يمد يده في جيب قميصه:

- معي قائمة مشتريات من زوجتي. هل تفهم في هذه المستلزمات النسائية؟
- جرِّب.
- هنا، بعد "لحم خنزير"، مكتوب "بطانة تحتية، ويجب أن تكون إنجليزية". هل تعرف ما هذا؟
- ألا يمكنك الاتصال بها لتسألها؟
- إنها لا تجيب.
- اسأل سيدة "برينيجن". أظنه شيئًا مثل الملابس الداخلية الضيقة. حظًا سعيدًا!

ثم غادر وهو يضحك.

***

جلس في سيارته ومرر يده في شعره، ثم تذكر شيئًا فجأة. خرج مجددًا وأغلق السيارة، ثم ذهب إلى إحدى سيارات الشرطة لأنه تذكر وعده للصغير "يان هنري". بالتأكيد سيكون هذا الشخص "ميكلسون" في العمل الآن مثل معظم الناس. لذلك توجه إلى "روزينكرانتزجايت" أولًا. وجد "يوران إينارسون" في حديقة المنزل الصغيرة تنشر الملابس. رفرفت منامتان عليهما "توم وجيري"، وقميص عليه صورة "بطوط". أمسكت بملابس داخلية مثقوبة وكانت على وشك نشرها عندما ظهر أمام البيت، فتجمدت ولم تعرف ماذا تفعل.

قال بتهذيب وهو يحاول تفادي النظر إلى ما بيدها:

- كنت قريبًا ففكرت في المرور عليكم. من فضلكِ، أكملي ما تفعلين.

نشرت باقي الملابس بسرعة وحملت السلة. سألها:

- هل ابنكِ في البيت؟

أجابت وهي تشير:

- إنه في المرآب. اعتاد أن يلعب هناك مع والده. في الماضي. كان يحب مشاهدته وهو يصلح السيارة. أحيانًا يذهب إلى هناك ويجلس ينظر إلى الجدار صامتًا. سيعود بعد قليل.

نظر "سيير" إلى المرآب المزدوج. لونه أخضر مثل لون البيت. تبعها إلى داخل البيت وسألها:

- فيمَ أردتِني يا سيدة "إينارسون"؟

كانا واقفين في مدخل غرفة المعيشة. وضعت السلة على الأرض وأبعدت خصلات شعرها المصبوغ عن وجهها وقالت:

- اتصلتُ بأخي. إنه في مدينة "ستافانجر"، في معرض تجاري للأدوات والمعدات. تذكرت الشيء المفقود. إنها بذلة عمال. من النوع الأخضر المليء بالجيوب. كان "إيجيل" يستخدمها وهو يعمل في السيارة، ودائمًا ما يحتفظ بها معه في الصندوق. بحثت عنها لأنها كانت غالية على ما أتذكر. كان يحب الاحتفاظ بها معه في حال تعطلت السيارة في أي وقت واحتاج إلى إصلاحها دون إفساد ثيابه. لهذا أرادها أخي أيضًا. عندما لم أجدها في السيارة، بحثت عنها في المرآب. لكن لم أجدها هناك أيضًا. لقد اختفت تمامًا. ومعها كشاف ضخم.

- هل سألتِ الشرطة عنها؟

- لا. بالتأكيد لن تأخذ الشرطة أغراضًا من السيارة دون أن تخبرني، صحيح؟

- بالتأكيد. لكن سأتأكد من باب الاحتياط. هل كان يحتفظ بالبذلة معه دائمًا؟

- نعم. كان منظمًا جدًّا عندما يتعلق الأمر بتلك السيارة. لا يقود إلى أي مكان دون حاوية بنزين إضافية، وزيت للمحرك ومنظف للزجاج وبعض الماء. وبذلة العمال الخضراء. كان يمكنني الاستفادة من ذلك الكشاف، فالكهرباء تنقطع أحيانًا هنا. إنها تحتاج إلى إصلاحٍ مكثف. لكن مجلس البلدية الذي لدينا الآن بلا فائدة. إنهم يرفعون إيجار المنازل كل عام،

ويقولون إنهم يوفرون المال لبناء شرفات للمنازل. لكن هذا لن يحدث. المهم كما قلت، الشيء المفقود كان بذلة العمال.

قال مادحًا إياها:

- هذه معلومة مفيدة. أحسنتِ بتذكرها.

قال في سره إنها كانت مفيدة للقاتل أيضًا، قد يكون ارتداها لإخفاء ثيابه الدامية.

احمرَّ وجهها خجلًا وهي ترفع سلة الملابس مجددًا. إنها سلة بلاستيكية كبيرة لونها تركواز. بدت وضعيتها غريبة بعض الشيء عندما أسندت السلة على جانبها. قال لها:

- لقد وعدتُ ابنكِ بجولةٍ بسيارة الشرطة. هل يمكنني أخذه من المرآب؟

نظرت إليه بدهشةٍ وقالت:

- طبعًا. لكن أرجو ألا تتأخر لأننا سنخرج بعد قليل.

- لن أغيب.

ذهب إلى المرآب ووجد طاولة أدوات ملاصقة للجدار، ويجلس عليها "يان هنري" وهو يهز رجليه. على حذائه الرياضي زيت. عندما لمح "سيير" تجمد لحظة ثم أشرق وجهه.

- لقد أحضرت سيارة الشرطة اليوم. سمحت لي والدتك باصطحابك في جولةٍ قصيرة إن أحببت. ويمكنك أن تطلق الصفَّارة أيضًا.

قفز الولد بحماس من على الطاولة التي كانت عالية جدًّا حتى سار بضع خطوات ليستعيد توازنه.

- هل هي "فولفو"؟

- لا، بل "فورد".

أسرع "يان هنري" بساقيه الشاحبتين النحيلتين حتى سبق "سيير". جلس الولد الصغير في الكرسي الأمامي الذي ابتلعه تمامًا حتى كان صعبًا

أن يثبت عليه حزام الأمان، لكن حاول التصرف بما يستطيع. بالكاد يرى الولد النافذة الأمامية، حتى وهو يميل برأسه. شغل "سيير" المحرك وسار على الطريق. ساد الصمت بعض الوقت، إلا من صوت المحرك والسيارات المارة على يسارهما. جلس الولد واضعًا يديه بين رجليه وكأنه يخشى أن يلمس شيئًا دون قصد. سأله "سيير" بهدوء:

- هل تفتقد أباك يا "يان هنري"؟

نظر إليه الولد بدهشةٍ وكأنها أول مرة يسأله شخصٌ ما هذا السؤال، وإجابته كانت واضحة. قال ببساطة:

- جدًّا.

صمتا مجددًا وتوجه "سيير" يمينًا في الطريق الوعر المؤدي إلى مصنع النسيج. قال الولد فجأة:

- الصمت يسود المرآب.

- نعم، خسارة أن والدتك لا تجيد إصلاح السيارات.

- نعم. أبي كان يقضي وقت فراغه هناك دائمًا.

قال "سيير" مبتسمًا:

- ويوجد الكثير من الروائح مثل رائحة الزيت والبنزين وما إلى ذلك.

- لقد وعد أن يحضر لي بذلة عمال مثل بذلته. لكنه اختفى قبل أن تسمح له الفرصة. إنها تحتوي على أربعة عشر جيبًا. كنت سأرتديها حين أصلح دراجتي. إنها تسمى "بذلة ميكانيكي".

- نعم، بذلة ميكانيكي. لديَّ واحدة زرقاء وعليها كلمة "FINA" من الظهر. لكن لا أظنها تحتوي على أربعة عشر جيبًا، ربما ثمانية أو عشرة.

سأل الولد بلهفة:

- البذلة الزرقاء جميلة. هل يوجد منها مقاس للأطفال؟

- لا أعرف، لكنني سأسأل.

أكد لنفسه ألا ينسى، ثم انعطف يمينًا مجددًا وصعد الطريق المنحدر. لمحا هيئة الإذاعة المحلية عن بعد تستقر بسكون إلى جانب النهر. أشار إلى نوافذها اللامعة تحت ضوء الشمس وقال للولد:

- ما رأيك أن نفزعهم قليلًا بصفارة إنذار الشرطة؟

أومأ "يان هنري". قال "سيير":

- اضغط هنا. سيظنون أن شيئًا قد حدث وسيهرعون إلى هنا بمكبرات الصوت.

انطلقت صفارة الإنذار بصوتٍ مدوٍّ وسط الصمت، وتردد صداها في الطريق المجاور للتل. لم يكن الصوت صاخبًا داخل السيارة، لكن عندما ترددت ذبذباتها العالية بضع ثوانٍ ووصلت إلى المبنى، ظهر الصحفيون واحدًا تلو الآخر من النوافذ. ويوجد من خرج إلى الشرفة ورفع يده ليحمي عينيه من الشمس ليستطيع النظر بعيدًا.

هتف الولد:

- بالتأكيد يظنون أن جريمة قتل قد وقعت على الأقل.

ضحك "سيير" ونظر إلى الوجوه التي ظلت تظهر من المبنى.

- حسنًا، من الأفضل أن نهدأ الآن. حاول أن تطفئها.

أطفأها الولد وعيناه تلمعان بسعادة، وخداه يحمران بحماس.

سأل الولد بطبيعته الطفولية الواثقة في قدرة "سيير" على الإجابة:

- كيف تعمل صفارة الإنذار؟

فتش "سيير" في ذاكرته وقال:

- حسنًا، إنهم يصنعون دائرة إليكترونية تصنع نبضًا. ويوصلونها بجهاز يضخم النبضات ويحوله إلى مكبر صوتي.

أومأ "يان هنري".

- ثم يزودونها بدوائر تخفض من شدة الصوت ليكون من السهل سماعها.

- في مصنع الصفارات؟

- نعم، في مصنع الصفارات في أمريكا أو إسبانيا. والآن سنذهب لتناول الآيس كريم يا "يان هنري".

- نعم، نحن نستحقه على الرغم من أننا لم نقبض على أي مجرمين.

خرج من الطريق الرئيسي وانعطف يسارًا عائدًا للبلدة. أوقف السيارة عند المسار المخصص للجري وأخذ الولد إلى الكشك. أخذا الآيس كريم وجلسا على مقعد تحت الشمس يأكلانه. اختار "يان هنري" مصاصة مثلجة لونها أحمر وأصفر، في حين اختار "سيير" آيس كريم الفراولة الذي يفضله منذ صغره ولم يجد أي سبب لتغيير ذوقه.

سأله "يان هنري" وهو يمسح فمه بيده الخالية:

- هل ستعود إلى العمل بعد هذا؟

- نعم، لكن عليَّ زيارة رجلٍ ما في "إريك بوريسينزجايت" أولًا.

- هل هو مجرم؟

- على الأرجح لا.

- لكنَّك لست متأكدًا. هل محتمل أن يكون كذلك؟

فكر "سيير" قليلًا ثم قال:

- نعم، محتمل. لهذا سأقابله، لكن فقط لأتأكد إنه ليس كذلك. هكذا أستطيع استبعاده. هذا ما نفعله حتى يبقى شخصٌ واحد في النهاية.

- أراهن أنه سيخاف حين تذهب إليه بهذه السيارة.

- نعم، بالتأكيد. الجميع كذلك. الناس عجيبون حقًّا. كل شخص لديه ما يشعره بالذنب في ماضيه. وحين أظهر فجأة أمامهم، أشعر بهم يبحثون في ذاكرتهم ويتساءلون عما أكون قد اكتشفته. لا ينبغي أن أضحك من هذا لكن أحيانًا لا أستطيع منع نفسي.

أومأ الولد واستمتع بصحبة الشرطي الحكيم. أنهيا الآيس كريم وعادا إلى السيارة. أخذ "سيير" منديلًا من الكشك ومسح فم الولد ثم ساعده في ربط حزام الأمان.

- سنذهب أنا وأمي لنستأجر شرائط فيديو. واحد لكلٍّ منا.

استعدَّ "سيير" للتحرك وتفقد المرآة.

- أي فيلم ستأخذ؟ واحد عن المجرمين؟

- نعم. سأختار "وحيد في المنزل" الجزء الثاني "Home Alone 2". لقد شاهدت الجزء الأول مرتين.

- ستضطر إلى ركوب الحافلة ذهابًا وإيابًا ما دمت لا تملك سيارة.

- نعم، هذا يستغرق وقتًا طويلًا. لكن لا يهم، فلدينا الكثير من الوقت. في الماضي عندما كان أبي.. أعني عندما كان لدينا سيارة، كان المشوار ينتهي سريعًا.

وضع إصبعه في أنفه وأضاف:

- أراد أبي شراء سيارة "بي إم دبليو". حتى إنه ذهب لمعاينتها. إنها بيضاء. كان سيشتريها لو أن تلك السيدة اشترت سيارته "المانتا".

كاد "سيير" يخرج عن الطريق من المفاجأة. انتفض قلبه من الانفعال ثم حاول أن يتمالك نفسه وهو يقول:

- عذرًا، ماذا كنت تقول يا "يان هنري"؟ لم أكن منتبهًا.

- أرادت سيدة شراء سيارتنا.

- هل تحدث والدك عن الأمر؟

- نعم، في المرآب. في آخر يوم قبل اختفائه.

شعر "سيير" برجفةٍ تسري في جسده وهو يقول:

- سيدة؟ هل قال اسمها؟

نظر إلى المرآة وضبطها وهو يحبس أنفاسه في انتظار الجواب.

- نعم، لأنه كتبه على ورقة.

- حقًّا؟
- لكن لا أستطيع تذكره، لقد مرَّت مدةٌ طويلةٌ.
- هل رأيتَ الورقة التي كتب عليها؟
- نعم، لقد وضعها في جيب بذلة الميكانيكي. كان مستلقيًا تحت السيارة، وكنت جالسًا على طاولة الأدوات كالعادة. لم تكن ورقة بالضبط، بل مجرد قصاصة.
- لكنكَ رأيتها. هل أخرجها من جيبه؟
- نعم، من جيب الصدر. قرأ الاسم ثم...
- هل أعادها إلى جيبه؟
- لا.
- هل رماها إذًا؟
قال متحيرًا:
- لا أذكر ما فعله بها.
- هل تظن أنه يمكنك التذكر لو حاولت بشدة؟
- لا أعرف.
نظر الولد بصدق إلى الشرطي. لقد بدأ يدرك أن الموضوع مهم. فهمس مضيفًا:
- لكن إن تذكرت، سأخبرك.
قال "سيير" بخفوت:
- "يان هنري"، هذا الموضوع في غاية الأهمية.
وصلا إلى البيت الأخضر.
- أعرف.
- لذلك إن تذكرت أي شيء عن هذه المرأة، عليك إخبار والدتك لكي تتصل بي.
- حسنًا. سأفعل إن تذكرت. لكن مرَّ وقتٌ طويل على هذا.

- بالتأكيد. لكن من المحتمل أن تتذكر لو بذلت جهدَك وفكرت في شيءٍ ما مدة طويلة كل يوم، عندها يمكن أن تتذكر شيئًا ظننت أنك نسيته.

- مع السلامة.

- أراك لاحقًا.

شغل السيارة وشاهد الولد في المرآة وهو يجري نحو المنزل.

قال "سيير" لنفسه:

- كان يجب أن أدرك أن الولد يعرف شيئًا بالتأكيد. فهو يجلس في المرآب مع والده دائمًا. ألن أتعلم أبدًا؟!

الفصل السابع

امرأة...

ظل يفكر في الأمر وهو يركن السيارة عند المركز ويسير بضعة أمتار إلى عنوان "ميكلسون". قد يكون لدينا فاعلان. المرأة هي من استدرجته، بينما الرجل اختبأ ونفذ العمل الدنيء. لكن لماذا؟

عقار رقم ستة في "إريك بوريسينزجايت" هو محل لبيع مستلزمات الحمام. لذلك دخل رقم خمسة ووجد اسم "ج. ميكيلسون" في الدور الأول. كان عاطلًا عن العمل، لذلك وجده في المنزل. إنه رجل في منتصف العشرينيات، وركبتاه بارزتان من بنطلونه الجينز. سأله "سيير" وهو يراقب تعبير وجهه:

- هل تعرف "إيجيل إينارسون"؟

كانا يجلسان في مقابل بعضهما بعضًا إلى طاولة المطبخ. أزاح "ميكيلسون" من أمامه كومة من تذاكر اليانصيب وحاويات الملح والفلفل والعدد الأخير من مجلة "إيسكواير".

- "إينارسون"؟ يبدو مألوفًا، لكنني لا أعرف أحدًا بهذا الاسم. "إينارسون"، يبدو اسمًا إسكتلنديًّا.

لا يبدو أنه يخفي شيئًا. في هذه الحالة فالجلوس على هذه الطاولة في وسط النهار ليس إلا مضيعة للوقت.

- إنه ميت. عُثِرَ على جثته في النهر منذ أسبوعين.

- صحيح!

أومأ بانفعال وفرك الحلق الذهبي الرفيع الذي يرتديه في إحدى أذنيه، وأضاف:

- قرأت الخبر في الصحيفة. قُتِلَ بسكين تقريبًا. نعم، تذكرت. "إينارسون". وكأننا أصبحنا في أمريكا فجأة. كله بسبب المخدرات إن طلبت رأيي.

لم يطلب رأيه، بل صمت وانتظر وهو يراقب وجه الشاب المحاط بشعره المصفف بعناية ومعقود في شكل ذيل حصان يناسبه جدًّا. بعض الناس تناسبهم هذه التسريحة جدًّا، لكنهم قلائل.

- لم أكن أعرفه شخصيًّا.

- ولا تعرف نوع السيارة التي كان يمتلكها؟

- سيارة؟ لا، ولِمَ قد أعرف؟

- كان يملك "أوبل مانتا" موديل 88. حالتها ممتازة. اشتراها منك منذ عامين.

- يا إلهي! هل كان الشخص نفسه؟

أومأ "ميكيلسون" لنفسه وأضاف:

- لهذا بدا اسمه مألوفًا. تبًّا.

مد يده إلى علبة من العلكة الخاصة بالإقلاع عن التدخين وخبطها على الطاولة برفق ليخرج واحدة، ثم سأل:

- كيف عرفت ذلك؟

– لقد كتبتما عقد بيع وشراء مثل باقي الناس. هل وضعت إعلانًا عنها في الصحف؟

– لا، لصقت ورقة على نافذة السيارة، ووفرت ثمن الإعلان. اتصل بي بعد بضعة أيام. كان رجلًا مرحًا. ظل يوفر المال طوال العام ليشتري سيارة، ودفع المبلغ نقدًا.

– لماذا أردت بيع سيارتك؟

– لم أرغب في ذلك. لقد خسرت وظيفتي ولم أستطع دفع مصاريفها.

– والآن لا تملك سيارة؟

– بل أملك واحدة من نوع "إسكورت". اشتريتها من مزاد. إنها قديمة. لكنها لا تعمل معظم الوقت، فأنا لا أملك ثمن البنزين في حين أني أعيش على الإعانة الاجتماعية.

نهض "سيير" قائلًا:

– لا مشكلة.

– لا، بل هي مشكلة كبيرة إن سألتني.

ضحك الرجلان بسخرية.

أشار "سيير" إلى علكة التدخين وسأله:

– هل تنفع؟

فكر الشاب قليلًا وقال:

– نعم، تنفع. لكنك تصبح مدمنًا عياها، ثم إنها مكلفة، وطعمها بشع وكأنك تمضغ سيجارة.

غادر "سيير" بعد أن شطب "ميكيلسون" من رأس قائمته ووضعه في آخرها. عبَر الشارع وشعر بدفء الشمس اللطيف عبر سترته الجلدية. هذا هو أفضل أوقات السنة، حين تشعر بلمحةٍ من الصيف تنذر باقترابه. فتتخيل شاليهًا في جزيرة "ساندويا"، والاستلقاء على شاطئ البحر تحت

الشمس، وتتذكر كل عطلات الصيف السابقة والإجازات الجميلة. أحيانًا يتذكر بعض فصول الصيف التي كانت ممطرة وعاصفة. لكنه كان دائمًا يشعر بسلامٍ نفسي في الصيف المشمس. لم يكن جلده مصابًا وقتها.

صعد السلم وفتح الباب، وأومأ بتحية لسيدة "برينيجن" في الاستقبال. إنها جميلة حقًّا، وأيضًا مرحة وودودة. إنه ليس من النوع الذي يسعى خلف النساء، وإن كان عليه هذا. لكن فلينتظر هذا حتى وقت لاحق. في الوقت الراهن إنه راضٍ فقط بالنظر إليهنَّ.

أشار إلى الكتاب التي تقرأه في أوقات الراحة وسألها:

- هل هو كتابٌ مثير؟

ابتسمت وقالت:

- ليس سيئًا. يدور حول القوة والشهوة والخديعة.

- تبدو مثل قصة بوليسية.

صعد السلالم بدلًا من المصعد، وأغلق باب مكتبه خلفه وجلس على كرسيه الذي اشتراه بماله الخاص من شركة "كينارب". ثم نهض مجددًا وسحب ملف "مايا دوربان" وجلس يقرأه. نظر إلى صورها، وهي حية أولًا. امرأة جميلة، ممتلئة قليلًا، بوجهٍ مستدير وحاجبين سوداوين. عينان صغيرتان وشعرها قصير يليق بها. امرأة جذابة. الطريقة التي تبتسم بها توضح الكثير. إنها ابتسامة مشاكسة مثيرة تصل إلى خديها. أما في الصورة الأخرى، كانت مستلقية على سرير تنظر إلى السقف بعينين مفتوحتين عن آخرهما. وجهها لا يُظهِر خوفًا أو دهشة، بل مجرد تعبير خالٍ من الحياة.

احتوى الملف أيضًا على عدة صور للشقة. الغرف كانت مرتبة وواسعة ومليئة بالأشياء الجميلة الأنثوية، لكن دون أقمشة مزخرفة أو لوحات زيتية. ألوان الأثاث والسجاد كانت زاهية. أحمر وأخضر وأصفر. الألوان التي قد تختارها امرأة قوية. لكن لا يوجد أي أثر يدل على ما حدث. لا

شيء مكسور أو مقلوب. وكأن الجريمة وقعت بصمتٍ وسرية وفجأة. بالتأكيد كانت تعرف الفاعل. فتحت له الباب وخلعت ثيابها بنفسها. أولًا مارسا الحب برضاها، لأنه لا شيء يدل على الإجبار. ثم وقع أمرٌ ما. فاصل بين الأحداث. يعرف المحقق أن رجلًا قويًّا يمكنه قتل امرأة ضئيلة بكل سهولة. بضع ركلات وينتهي الأمر. لن يسمع أحد صراخها لو كتم فمها.

وجد بقايا سائل منوي في جسم الضحية، أجرِي اختبار الحمض النووي. لكن لما كانوا ليس لديهم قاعدة بيانات بعد، فليس لديهم ما يقارنوا به العينة. قدمت الشرطة طلبًا إلى البرلمان فعلًا، وسيُصدَّق عليه هذا الربيع. بعدها أي مجرم سيكون عليه أن ينتبه جيدًا لكيلا يتساقط منه أي شيء. أي آثار يتركها يمكن أن تُحلَّل باختبار الحمض النووي بنسبة خطأ لا تتعدى واحد من سبعة عشر مليار. لوهلةً فكروا في الحصول على إذن من الحكومة لاستدعاء كل رجل في المقاطعة بين الثامنة عشر والخمسين، وعمل اختبارٍ لهم. لكن هذا يعني استدعاء آلاف الرجال، وتكليف الحكومة ملايين الكرونات. بالإضافة إلى أن العملية ستستغرق عامين. في البداية فكرت وزيرة العدل في الاقتراح بجدية، إلى أن دخلت في تفاصيل القضية وعرفت أكثر عن الضحية. "مايا دوربان" لا تستحق إهدار كل هذا المال في سبيلها. هذا ما فهمه.

أحيانًا يتخيل نظامًا مستقبليًّا يخضع فيه كل النرويجيين تلقائيًّا إلى اختبار الحمض النووي عند الولادة، ثم توضع العينات في ملف. هذه الفكرة تثير العقل. جلس يراجع الاستجوابات. لم تكن كثيرة للأسف. ثلاثة زملاء عمل، وخمسة جيران، ورجلان من معارفها ادعيا أنهما يعرفانها معرفة سطحية. وتوجد صديقة طفولة غامضة. ربما لم يستجوبوها جيدًا. ربما تعرف أكثر مما قالت. إنها عصبية قليلًا لكنها سيدة محترمة، ولم يكن لديه سبب للقبض عليها. ولماذا قد تقتل "دوربان" أصلًا؟ لقد تركت انطباعًا لديه. تلك الرسامة الطويلة ذات الشعر الجميل، "إيفا ماري ماجنوس".

الفصل الثامن

لم يتذكر أي ضابط شهد مسرح الجريمة وجود بذلة ميكانيكي خضراء. كذلك لم يروا أي كشاف أو قصاصة ورق عليها اسم ورقم تليفون. درج السيارة فارغ ونظيف. لم يجدوا به إلا ما يضعه الناس عادةً، مثل رخصة القيادة وكتيب إرشادات، وخريطة للمدينة، وعلبة سجائر، وورقة شوكولاتة. توجد أيضًا قداحتان فارغتان، وعلبة أوقية ذكرية، على الرغم من تعليق زوجته بأنه ليس جذابًا للنساء. وكل هذا سُجِّلَ بدقة.

بعد ذلك اتصل بمصنع الخمور، وطلب شؤون العاملين. أجابه رجل له لهجة مقاطعة "فينبارك":

- "إينارسون"؟ بالتأكيد أذكره. قصته محزنة. ولديه عائلة أيضًا للأسف. كان من أكثر موظفينا التزامًا بالمواعيد. لم يغب في أي يوم تقريبًا طوال سبع سنوات. لنرى بشأن سبتمبر وأكتوبر الماضيين...

سمعه "سيير" يتصفح الأوراق.

- قد أستغرق بعض الوقت. فلدينا 150 موظفًا هنا. هل تريد أن أتصل بك لاحقًا؟

- بل أفضل الانتظار.

- حسنًا.

وضعه على الانتظار، فدارت أغنية مرحة. رآها "سيير" مسلية أكثر من الموسيقى فقط. كانت أغنية دنماركية على أنغام الأكورديون. إنها منعشة جدًّا. تنحنح الرجل وقال:

- حسنًا، هل ما زلت معي؟ يوجد يوم في أكتوبر وصل متأخرًا جدًّا. بالتحديد في اليوم الثاني. لم يصل إلا في التاسعة والنصف. افترضنا أنه استيقظ متأخرًا، فأحيانًا يذهب الموظفون إلى البار.

طرقع "سيير" إصبعه وقال:

- حسنًا، أنا شاكر لهذا. دعني أخبرك شيئًا قبل أن أنسى. سيدة "إينارسون" تربي طفلًا في السادسة وحدها الآن. ويبدو أنها لم تتسلم أي مستحقات منكم حتى الآن. مضبوط؟

- نعم.

- كيف إذًا؟ كان لـ"إينارسون" تأمين، صحيح؟

- نعم، نعم. لكننا لم نعرف ما حدث بالضبط. واللوائح واضحة. بعض الناس يهربون فجأة. يفعل الناس أشياءً غريبةً هذه الأيام.

رد "سيير" بجفاء:

- وماذا عن الدم الذي يغطي السيارة؟ على الأقل تعرفون أنه لم يذبح دجاجة وينشر دمها على السيارة مثلًا. لقد حصلتم على بعض المعلومات من الشرطة، صحيح؟

- نعم. لكن أعدك أننا سنستعجل هذه المسألة. لدينا كل المعلومات المطلوبة الآن.

بدت نبرة عدم ارتياح في صوته، وثقلت لهجة "فينبارك". قال "سيير" ببساطة:

- هذا يكفي.

ثم أومأ لنفسه وفكر في أنه من الغريب أن يتأخر عن العمل في هذا اليوم بالذات، اليوم التالي لمقتل "مايا دوربان".

عليه أن يعبر الجسر لكي يصل إلى "كينجز أرمز". قاد ببطء وهو يتأمل التماثيل على الجانبين، مع فاصل بضعة أمتار بين كل واحد. إنها تجسد نساءً يعملن، ونساءً يحملن جرار الماء على رؤوسهن، ونساءً يحملن أطفالًا بين أذرعهن، ونساءً يرقصن. منظر جميل على نهرٍ قذر. انعطف يمينًا ومرَّ بالفندق القديم وقاد ببطء في الطريق ذي الاتجاه الواحد.

ركن السيارة وأغلقها. كان البار مظلمًا والهواء ساكنًا. الجدران والأثاث وكل الديكورات تفوح برائحة الدخان والعرق، أعطى الخشبُ المكانَ المظهرَ العتيقَ الذي يحبه رواد البار. الجدران مغطاة بنسيجٍ من الخيش، ومعلق عليها سيوف قديمة ومسدسات وبنادق وقوس. توقف عند طاولة البيع حتى تعتاد عينيه جوَّ المكان. رأى بابًا جرارًا في نهاية القاعة. انفتح وظهر منه رجل قصير بسترة طباخ وبنطلون كاروهات.

- هل أنت المدير؟

نظر إليه "سيير" بتساؤل. أعجبه زِي الطباخ التقليدي، فهو يحب الأشياء التقليدية عمومًا.

- نعم، لكنني لا أملك العقار.

- أنا من الشرطة.

- حسنًا، دعني أغلق ثلاجة التجميد وأعود إليك.

عاد إلى الداخل في حين نظر "سيير" إلى المكان. يضم البار اثنتي عشرة طاولة مرتبة على شكل حدوة حصان. وكل طاولة تتسع لستة أشخاص. حاليًّا المكان فارغ تمامًا، ولا توجد شموع على الطاولات.

عاد الطباخ - الذي كان المدير أيضًا - وأومأ للمحقق. خلع قبعة الطباخ وظهر شعره الأسود اللامع، وكأنه وضع عليه مثبتًا قويًّا. سيحتاج الأمر إلى إعصار حتى يتحرك هذا الشعر من مكانه. أسلوب عملي جدًّا.

- هل تتواجد هنا كل مساء؟

- نعم، كل يوم ما عدا الإثنين لأنه إجازتنا.

- إنها ليست ساعات ذروة، أليس كذلك؟ تفتحون حتى الثانية صباحًا، صحيح؟

- غالبًا لن يكون لديك الوقت للبارات، عندما تكون لديك زوجة وأطفال وكلب وقارب وكوخ جبلي. لكن الوضع يناسبني هكذا. الرجال القلائل الذين يأتون إلى المكان هم أشبه بعائلة كبيرة!

فرد ذراعيه وجلس على كرسي البار العالي.

ابتسم "سيير" من الرجل القصير ذي البنطلون الكاروهات. إنه في الأربعينيات من عمره، سترته البيضاء نظيفة، وكذلك أظافره.

- جيد. تعرف مجموعة الأصدقاء الذين يعملون في مصنع الخمور ويأتون معًا، صحيح؟

- تعني الذين "كانوا" يأتون. لقد انهارت المجموعة، ولا أعرف السبب بالضبط؟ لكنَّ جزءًا من السبب كان رحيل "بريمو".

- "بريمو"؟

- "إيجيل إينارسون" "بريمو" العقل المدبر للمجموعة. هو من كان يجمعهم فعلًا. ألم تأتِ للسؤال عنه؟

- هل كانوا يلقبونه هكذا؟

ابتسم المدير والتقط بعض حبات السوداني ووضعها أمام "سيير". بدت مثل يرقات سمينة، فلم يمسها "سيير".

- هل كانت مجموعة كبيرة؟

- عشرة أو اثنا عشر فردًا. منهم أربعة أو خمسة كانوا يأتون كل يوم تقريبًا. كنت متأكدًا من قدومهم دائمًا. لا أعرف ماذا حدث، بخلاف أن "بريمو" تعرض للطعن. لا أعرف لماذا ابتعد الآخرون. أمر محزن. هؤلاء الرفاق كانوا مصدر دخل جيد، كما كانوا يستمتعون أيضًا. إنهم أشخاص محترمون.

- أخبرني ماذا كانوا يفعلون حين يأتون، وعما كانوا يتحدثون؟

مرر يده على شعره دون داعٍ وقال:

- كانوا يلعبون رمي السهام كثيرًا.

وأشار إلى لوح سهام كبير في مؤخرة القاعة، ثم واصل:

- كانوا أيضًا ينظمون مسابقات وما إلى ذلك. لطالما تحدثوا وضحكوا وتجادلوا وشربوا ومزحوا. باختصار، يتصرفون مثل معظم الرجال. كانوا يأتون للاسترخاء. لم يُحضِروا زوجاتهم معهم أبدًا، فهذا بار للرجال.

- فيم كانوا يتحدثون؟

- السيارات، والنساء، وكرة القدم، والعمل. أو أي شيء غير معتاد حدث معهم. وعن النساء أيضًا أم إنني ذكرت هذا فعلًا؟

- هل كانوا يتجادلون أحيانًا؟

- نعم، لكن ليس بجدية. دائمًا كانوا يتصالحون.

- هل تعرفهم بالاسم؟

- نعم، إذا احتسبنا أسماءهم المستعارة. أعرف "بريمو" و"بيديك" و"جرافين". لكن لا أعرف أسماءهم الحقيقية. ما عدا أصغرهم، "أرفيسين".. "نيكو أرفيسين".

- من "جرافين"؟

- إنه مصمم جرافيك. يعمل على الملصقات والدعاية للمصنع. يجيد عمله. لكن لا أعرف اسمه.

- هل ممكن أن يكون أي منهم هو من طعن "إينارسون"؟

– لا، مستحيل. لا بدَّ أنه شخصٌ آخر. لقد كانوا أصدقاء.

– هل كانوا يعرفون "مايا دوربان"؟

– الجميع يعرفونها. ألم تعرفها أنت؟

تجاهل السؤال وقال:

– لقد وقع شجار هنا في ليلة مقتل "دوربان"، صحيح؟

– هذا صحيح. أتذكر هذا لأنني رأيت أضواء النجدة وهي ذاهبة إليها. لم تكن مشكلة كبيرة، لكن لا أحد يفلت دون عقاب.

– هل بدأ الشجار قبل أم بعد رؤيتك سيارات النجدة؟

– يا إلهي، عليَّ أن أفكر.

فكر قليلًا وهو يأكل السوداني، ثم قال:

– قبل، على ما أظن.

– هل تعرف سبب الشجار؟

– الإفراط في الشرب. شرب "بيديك" كثيرًا لدرجة أنني اضطررت إلى الاتصال بالشرطة على الرغم من أنني أكره ذلك. كبريائي يجعلني أتولى الأمور بنفسي، لكن لم أستطع هذا المساء. لقد تمادى كثيرًا. لستُ طبيبًا، لكنني أظن للأمر علاقة بالإفراط في الشرب.

– هل كان دائمًا من النوع الصاخب؟

– إنه انفعالي بلا شك. لكن معظمهم كذلك. كانوا صاخبين جدًّا. "بريمو" كان أكثرهم هدوءًا أحيانًا. طبعًا كان له نوبات هرج لكنها خفيفة. كان يأتي بسيارته ويشرب "كوكاكولا" أو "سفن أب"، ودائمًا يتولى تسجيل النقاط عندما يلعبون.

– إذًا، قبضت الشرطة على "بيديك"؟

– نعم، لكنهم غيروا رأيهم بعد ذلك.

– لأن "إينارسون" توسل إليهم بالمنطق.

- هل يمكنكم حقًّا فعل ذلك؟

- حتى نحن يمكننا التفاهم بالعقل. لا شيء أفضل من المعارف المفيدين. نحن أيضًا لدينا معارفنا. ألم تسمع شيئًا من حديثهم في أثناء الشجار؟

- نعم، سمعت دون قصد. قالوا "النساء الملاعين" وما إلى ذلك.

- مشكلات مع النساء؟

- لا أظن، إنه تأثير الكحول وحسب، يجعلهم يثرثرون. ويبدو أن زواجه لم يكن في أفضل حالاته. لهذا يأتون إلى هنا غالبًا.

أخذ خلة أسنان من علبة صغيرة على طاولة البار ووخز بها أظافره النظيفة، وسأل:

- هل تظن أن هناك علاقة بين الجريمتين؟

رد "سيير":

- لا أعرف. لكنني أتساءل، لأن المسافة بين البار والمبنى السكني لـ"مايا" قصيرة جدًّا، حتى إنني أكاد أرى المبنى من هنا.

- أفهم ذلك. كانت امرأة فاتنة. تمامًا كما ينبغي أن تكون النساء.

- هل كانت تأتي إلى هنا كثيرًا؟

- لا. كانت أرقى من ذلك. أحيانًا كانت تمر لتشرب كأسًا من "الكونياك" سريعًا وترحل. أشك في أنها كانت تمتلك وقت فراغ. لقد كانت تعمل باجتهاد طوال الوقت.

- لا بدَّ أن الرجال الذين يأتون إلى هنا كانوا يتحدثون عنها، صحيح؟

- مقتل "مايا" كان موضوع الساعة هنا. ظلوا يتحدثون عنه أسابيع. فالناس يحبون أن يشغلوا أنفسهم بالحديث.

نزل "سيير" عن الكرسي وقال:

- ألم يعودوا يأتون على الإطلاق؟

- بل يأتون لكن بغير انتظام، وليس معًا. يشربون كأسين ويرحلون. أنا آسف، كان عليَّ أن أعرض عليك مشروبًا.

- لاحقًا. ربما أمرُّ عليك ذات مرة لأشرب بعض البيرة. هل أنت طباخ ماهر؟

- تعال في أي مساء وسأقدم لك "كوردون بلو" ممتازًا.

خرج "سيير" من الباب فقابله ضوء الشمس. لكنَّ الطباخ لحق به وقال:

- جاء شرطي من قبل، بعد مقتل "دوربان". بدا أنيقًا بشكل مبالغ فيه، وله شاربٌ ضخم وملفوف.

قال "سيير" مبتسمًا:

- إنه "كارلسين". إنه من "هوكساند".

- حسنًا، لن أحمل ضغينةً ضده.

- هل لاحظت اختفاء أحدٍ من المجموعة ذلك المساء ثم عودته لاحقًا؟

ضحك وقال:

- كنت أعلم أنك ستسأل هذا السؤال. لكن لا أستطيع تذكر التفاصيل الآن. كانوا دائمًا يدخلون ويخرجون، ولقد مرَّت ستة أشهر. أحيانًا يخرجون لمشاهدة فيلم في الساعة السابعة ثم يعودون مجددًا. وأحيانًا يذهبون لتناول الطعام في "بيكينج"، لكنهم يشربون هنا معظم الوقت. من آن إلى آخر كان "إينارسون" يخرج ليحضر بعض القهوة لأني لا أبيعها. لكن لا أتذكر ما حدث في تلك الليلة بالذات. متأكد بأنك تفهم موقفي.

- شكرًا على المحادثة. سعدت بها حقًا.

في طريقه إلى المنزل، توقف عند محطة بنزين واشترى صحيفة "داجبلادت". كانت الموظفة فتاة جميلة بشعرٍ مموج وناعم ووجه ممتلئ وخدين مستديرين وذهبيين مثل كعكة طازجة. لم تتجاوز السابعة عشر، لذلك تعامل معها بطريقةٍ أبوية. أشار إلى بذلة العمال التي ترتديها وقال:

- بذلة لطيفة. لديَّ واحدة منها في مرآب بيتي.

- حقًّا؟
- هل يوجد منها مقاس للأطفال؟
- لا أعرف.
- هل يوجد من يمكنني سؤاله؟
- نعم، لكن عليَّ الاتصال به.

أومأ وفتح الصحيفة واتصلت هي بالرقم. أحب رائحة المحل في محطة البنزين. فهي مزيج من الزيت والشوكولاتة والتبغ والبنزين.

قالت الموظفة:

- أصغر مقاس يناسب طفلًا في العاشرة. سعرها 225 كرونة.
- هل يمكن أن تطلبي لي واحدة؟ من أصغر مقاس. سيكون كبيرًا بعض الشيء لكنه سيكبر على كل حال.

أومأت له فترك بطاقته على طاولة الدفع وشكرها، ثم دفع ثمن الصحيفة وغادر. عندما عاد إلى المنزل، أخذ عبوة حساء سريع التحضير من "الفريزر". لا يجيد الطبخ. فهذا كان من اختصاص "إليز". ومن بعد رحيلها لم يزعج نفسه بالتعلم. في الماضي كان الجوع يزعجه حتى يتساءل بلهفة عما تعده "إليز" من طعام. أما الآن فمعدته صارت أشبه بكلبٍ جائع يُسكِته بقطعة بسكويت إذا ارتفع نباحه. لكنه كان يجيد غسلَ الصحون. ظلَّ يغسلها يوميًّا طوال عشرين سنة من حياته الزوجية. جلس إلى طاولة المطبخ وتناول الحساء ببطء مع كوب من عصير الفواكه. ظلَّ يفكر إلى أن وصل بتفكيره إلى "إيفا ماجنوس". فكر في عذرٍ يستخدمه لزيارتها مجددًا، لكن لم يجد. ابنتها في عمر "يان هنري" تقريبًا. هجرها زوجها، وبالتأكيد لم يقابل "مايا دوربان" في حياته. لكن لا ضرر من التحدث معه بأي حال، لأنه على الأقل سمع عنها. عرف "سيير" أن الابنة تقضي الإجازات الأسبوعية مع والدها، هذا يعني أنه

يعيش في المدينة نفسها على الأرجح. حاول أن يتذكر اسمه لكن لم يستطع. لكن يمكنه السؤال عن ذلك من باب الاحتياط. لن يضرَّ وجود اسم آخر في قائمته، فلديه الكثير من الوقت.

أنهى وجبته وأخذ وعاء الحساء الفارغ إلى الحوض، ثم ذهب ليجري اتصالًا. اتصل بالنادي وحجز موعدًا للقفز بالمظلات هذا السبت، إلا إذا كان الجو عاصفًا. حرص على إضافة ذلك لأنه لا يستطيع مواجهة الرياح. بعد ذلك بحث عن اسم "ماجنوس" في دليل التليفونات وهو يمر بإصبعه على الأسماء ببطء. ظهر الاسم فجأة أمامه كما توقع. "جاستن ماجنوس"، مهندس مدني. العنوان: "ليلي فرايدينلاند". عاد إلى المطبخ وحضَّر كوبًا من القهوة، ثم جلس على كرسيه في غرفة المعيشة. جاء "كولبيرج" وسند رأسه على قدم "سيير". فتح الصحيفة وقرأ مقالًا عن الاتحاد الأوروبي حتى نام في منتصفه.

الفصل التاسع

عادت "إيما" إلى البيت. كان ذلك مصدر ارتياح لـ "إيفا"، فهي قد فكرت في كل شيء، بل وأعادت التفكير فيه مرارًا وتكرارًا. لذلك من الأفضل أن تعود إليها الفتاة لتعيد الحماس إلى حياتها. كل ما عليها فعله هو انتظارها. أمسكت يد ابنتها الممتلئة الناعمة، وقادتها إلى السيارة. لم تخبرها عن حقيبة المدرسة الوردية التي تنتظرها في بيت جدها، لأنها مفاجأة. لن تحرمه من سماع صرخات الفرح، فهو لا يسمع الكثير منها في حياته. ركبت "إيما" في المقعد الخلفي وربطت الحزام بنفسها. كانت ترتدي بنطلونًا بنيًّا يناسبها، ومشطت والدتها شعرها. يعيش والدها على بعد أكثر من نصف ساعة بالسيارة، لكن ملَّت "إيما" بعد مرور خمس دقائق، فانزعجت "إيفا". كانت أعصابها مشدودة ولم تحتمل المزيد.

- هل يمكنني الحصول على آيس كريم؟

- لقد دخلنا السيارة للتو. ألا يمكننا الوصول إلى بيت جدكِ مباشرةً، ولو مرة، بلا توقف لشراء أي شيء؟

- ولا حتى مصاصة مثلجة؟

فكرت "إيفا" إنها بدينة بما يكفي وعليها التوقف عن الأكل لبعض الوقت.

لم تخبر "إيما" أنها بدينة. فهي نفسها لا تدرك ذلك. لكنها ستقع في متاعب بسبب بدانتها وستدرك ذلك بنفسها. ردت عليها:

– ألا يمكننا الخروج من البلدة أولًا؟ بأي حال، جدكِ ينتظرنا. ربما أعد لنا العشاء ولا يمكننا أن نفسد شهيتنا.

اعترضت "إيما" غير مستوعبة:

– لا يمكن إفساد "الشهية".

صحيح، فهي لم تعتد هذا الشعور لأن شهيتها مفتوحة دائمًا.

لم تجب "إيفا". كانت تفكر في أن المدرسة ستبدأ قريبًا، وستضطر "إيفا" إلى رؤية طبيب المدرسة. تمنت أن يكون في المدرسة عدة تلاميذ يعانون من المشكلة نفسها. هذا محتمل، فالفصل يضم ستة وعشرين تلميذًا. من العجيب أن تجلس وتفكر في المستقبل. المستقبل الذي قد لا تشارك فيه من الأساس. ربما يكون "يوستن" هو من يصطحبها إلى المدرسة ويمشط شعرها ويمسك يدها السمينة.

سارت حركة المرور بسلاسة، والتزمت "إيفا" بحد السرعة. لقد صارت حريصة على عدم إعطاء العذر لأي شخص لإيقافها، وحريصة على عدم لفت الانتباه. بمجرد أن ابتعدتا عن وسط البلدة، مرتا بمحطة بنزين على اليسار.

– يمكننا التوقف هنا يا أمي، لنشتري آيس كريم!

ردت بحدة:

– كفى يا "إيما"!

ثم تمالكت نفسها وردت بنبرةٍ أهدأ:

– ربما في طريق العودة.

ساد الصمت، ورأت "إيفا" وجه الفتاة في المرآة. ورثت خديها المستديرين وفكها العريض من والدها. إنه وجهٌ جاد لكنه لا يحمل فكرة عن المستقبل والمصاعب التي قد تضطر إلى مواجهتها.

قالت "إيما" فجأة وهي تميل إلى الأمام وتنظر إلى أرضية السيارة:

- أستطيع رؤية الطريق أسفل السيارة!

- أعلم. السيارة صدئة. سنشتري واحدة جديدة، لكن الفرصة لم تسمح لي بذلك بعد.

- لكن يمكننا تحمل تكلفتها، صحيح؟ هل يمكننا يا أمي؟

تفحصت الطريق في المرآة. لا توجد سيارات تتبعها. ردَّت باختصار:

- نعم.

***

ذهب والدها إلى الباب وفتحه لأنه لمح سيارتها "الأسكونا" القديمة من على بعد. رنتا الجرس مرةً واحدة ثم دخلتا. كانت ساقاه ضعيفتين ويسير ببطء. أحاطته "إيفا" بذراعيها وعانقته بقوة كالعادة. كانت رائحته مزيجًا من السجائر وكولونيا ما بعد الحلاقة. انتظرت "إيما" دورها لتسلم عليه. قال بفرح:

- أهلًا بالسيدتين الوحيدتين في حياتي! يجب ألا تنحفي أكثر يا "إيفا". تبدين مثل عصا سوداء بهذا الزي.

- شكرًا على المجاملة. لكنك أيضًا نحيل. لقد ورثت هذا النحول منك.

- حسنًا، على الأقل هناك واحدة تجيد الاعتناء بنفسها.

ثم سحب "إيما" بذراعه النحيلة وقال:

- اذهبي إلى غرفة الأدوات وستجدين هدية بانتظارِك.

انطلقت "إيما" مندفعة، ثم سمعا هتافها المرِح يرن في المنزل. صرخت وهي عائدة إليهما:

- إنها وردية!

تضارب لون الحقيبة مع لون شعرها الأحمر.

فكرت "إيفا" بحزن أنها كان يجب أن تكون بنية. حاولت أن تكبح أفكارها الكئيبة التي تشتتها دائمًا.

طلب والدها دجاجًا من المحل وساعدته "إيفا" في تحضير الطعام. سألها وكأنه يحثها:

- ستبقين، أليس كذلك؟ يمكننا أن نشرب بعض النبيذ الأحمر كالأيام الخوالي. أكاد أنسى كيفية التصرف كإنسان متحضر، فلا أحد يزورني غيرِك.

- ألا يأتي "يوستن" أبدًا؟

رد بسرعة:

- بلى يأتي من آنٍ إلى آخر. ليست لديَّ مشكلة مع "يوستن". ثم إنه يتصل ويرسل إليَّ بطاقات معايدة. أحب "يوستن" كثيرًا. لقد كان زوج ابنة رائعًا. لطالما قالت أمكِ ذلك أيضًا.

شربت "إيما" مشروبًا غازيًّا، وأكلت الدجاج في صمت. يحتاج والد "إيفا" إلى المساعدة في تقطيع طعامه. عندما يكون وحده يعيش على الحساء، لكنه لا يقول. ساعدته "إيفا" في التخلص من العظم وصبَّت له نبيذ "كانيبا"، إنه النوع الوحيد الذي تحتمله معدته، لذلك شرب الكثير منه من باب التعويض. بين لحظةٍ وأخرى تعطي "إيما" من طعامها. كان الأمر فظيعًا، لكن كلما أكلت "إيما" زاد احتمال أن تنسى أمر الجثة في النهر. سألها فجأة:

- هل وجدتِ رجلًا يناسبكِ يا صغيرتي "إيفا"؟

فتحتْ عينيها بدهشةٍ وقالت:

- في الواقع لا.

- سيظهر شخصٌ ما قريبًا.

قالت بصراحة:

- لا بأس، يمكنني العيش بمفردي.

- هل تقولين لي هذا الكلام؟ لقد عشتُ أرملًا أربع عشرة سنة!

- ولا تقل لي إنك ظللت عزبًا طوال كل هذه السنوات! فأنا أعرفك جيدًا.

ضحك وأخذ رشفةً من النبيذ وقال:

- لكن هذا غير صحي كما تعلمين.

قالت وهي تقضم ساق الدجاجة:

- لا يمكنني التقاط أي رجل من الشارع وحسب.

- بل يمكنكِ. يمكنكِ دعوته على العشاء. معظم الرجال سيوافقون. أنا واثق. أنتِ جميلة يا "إيفا". نحيلة قليلًا لكن جميلة. أنتِ تشبهين والدتكِ.

- لا، بل أشبهك أنت.

- هل بعتِ أي لوحات؟ هل تعملين بجهد؟

- لا للسؤال الأول، ونعم للسؤال الثاني.

- عليكِ إخباري إن احتجتِ إلى مال.

- لا أحتاج. أقصد أننا ندبر شؤوننا.

ردَّت "إيما" بصوتٍ عالٍ:

- في الماضي لم يكن لدينا مال لنذهب إلى "ماكدونالدز". أما الآن فلدينا!

شعرت "إيما" بالحرج والغضب. والدها يعرفها جيدًا، وهو لماح. سألها:

- هل تخفين أسرارًا عني؟

- أكاد أبلغ الأربعين، طبعًا أخفي أسرارًا عنك.

- حسنًا، لن أطيل الحديث في الأمر. لكن إياكِ أن تكوني في حاجةٍ إلى شيء ولا تطلبي مني، وإلا سأغضب. لقد حذرتكِ.

ابتسمت وقالت:

- أعلم ذلك.

أنهيا الطعام في صمت، ثم صبَّت ما بقي بالزجاجة في كوب والدها، وبعدها أفرغت الطاولة. عملت ببطء لأنها فكرت في أنها قد تكون آخر مرة تتجول في بيت والدها. هكذا ستفكر من الآن فصاعدًا.

- استلقِ على الأريكة. سأحضر بعض القهوة.
- لديَّ بعض الكحول.
- لا تقلق، سأجده بالتأكيد. اذهب واستلقِ الآن. سأغسل الصحون وأقرأ قصةً لــ"إيما"، ثم سأشرب معك لاحقًا.

وقف بصعوبة، فأمسكت بذراعه لتسنده. قررت "إيما" أن تغني له لكي ينام بسرعة. وهو كان مستعدًّا تمامًا. عادت "إيفا" إلى المطبخ، ووضعت بعض النقود في البرطمان الذي يضع فيه نقوده ثم ملأت الحوض بالماء. سرعان ما تردد صوت "إيما" في البيت وهي تغني: "Morningtown Ride"، وانحنت "إيفا" على الحوض وأخذت تبكي دموع بؤس وفرح.

***

في المساء وضعت عليه غطاءً خفيفًا ووضعت وسادتين خلف ظهره. أطفآ معظم الأنوار وجلسا في إضاءةٍ خفيفة. تركت باب غرفة "إيما" مفتوحًا لكي يسمعاها وهي تنام بسلام.

سألته وهي تربِّت يده:
- هل تفتقد أمي؟
- في كل لحظة.
- أظنها معنا الآن.
- طبعًا، بطريقةٍ ما لا نفهمها.

مد يده إلى علبة السجائر على الطاولة، فأشعلت له واحدة. سألها:
- لماذا لم تكن سعيدة في رأيك؟

ردت:
- لا أعرف. هل تؤمن بوجود إله؟
- لا تكوني سخيفة!

صمتا مدةً طويلة. شرب النبيذ الأحمر بهدوء. أما هي فعرفت أنه سينام على الأريكة وسيستيقظ بألمٍ في الظهر كالعادة.

استرخت بإرهاقٍ وهي تتذكر ما كانت تقوله وهي صغيرة: "عندما أكبر سأتزوجك".

أغلقت عينيها وعلمت أنها على وشك أن تغفو مثله وهي تُرخي رأسها إلى الوراء. لم تقاوم النوم. شعرت بالأمان في بيت أبيها. تمامًا مثلما كانت طفلة وهي على يقين من أنه يستطيع حمايتها. صحيح أنه لا يستطيع حمايتها الآن، لكن وجودها معه يطمأنها.

الفصل العاشر

استيقظ "سيير" بعنقٍ متيبس. لقد نام في كرسيه بعد العشاء كالمعتاد. بالإضافة إلى ذلك وجد قدميه مبتلتين بسبب لعاب الكلب. ذهب ليستحم. خلع ثيابه ببطء دون أن ينظر إلى المرآة. لحظةَ أن وقف تحت الماء مدَّ جسده بحذرٍ وعبس كلما لمس بلاط الحائط. فلقد كانت مغطاة ببلاط "الفينيل"، وهو نوع من البلاط، لكنه اصفرَّ مع مرور السنين. عندما فكر في مظهره لم يجد ما هو أقبح منه. ترجته "إليز" لسنوات حتى يغيِّره، وقالت إنه بشع. وفي كل مرة كان يقول لها: "نعم، نعم. سأفعل. سنغيره في الربيع يا إليز". وهكذا مرت السنين. في نهاية حياتها عندما رقدت مريضة وضعيفة وصلعاء مثل عجوز مسنة، أراد أن يهدم الحمام من يأسه. لكنها هزت رأسها نفيًا. كانت تفضل أن يظل إلى جانب سريرها. قالت له بضعف: "سيكون لديك متسع من الوقت لاحقًا من أجل الحمام يا كونراد".

غمره حزنٌ عميق واضطر إلى أن يرمش بعينيه كثيرًا حتى لا تنزل دموعه. لا وقت لديه لهذا. ليس الآن أبدًا. جفف نفسه وارتدى ثيابه وذهب إلى غرفة المعيشة واتصل بابنته "إنجريد". إنها الطفلة الوحيدة التي رزقا بها. تبادلا بعض المواضيع ثم تمنى لـ"ماتيوس" ليلةً سعيدةً. عندها تحسن حاله. قبل أن يخرج مرَّ بلوحة "إليز" المعلقة فوق الأريكة. في العادة

تبتسم له بإشراق بأسنانها الجميلة بكل راحة. لكن ليس هذه المرة. لطالما أحب هذه الصورة، لكن مؤخرًا بدأت تزعجه. أراد تعبيرًا مختلفًا. ربما تعبير جاد ليناسب حالته المزاجية. مثل الصورة التي تعلقها "إنجريد" فوق البيانو. ربما يمكنهما التبديل. فكر في هذا بينما سمح لـ"كولبيرج" أن يقفز إلى المقعد الخلفي ثم يقود إلى "فرايدينلاند". لم يكن واثقًا عمَّا سيتحدث حين يصل إلى هناك، لكنه يعتمد عادةً على موهبته في الارتجال، وهي معقولة إلى حدٍّ ما. عادةً يشعر الناس بدافعٍ يلزمهم بملء الفراغات في المحادثات. فالصمت مؤلم. هذا هو نوع الحديثٍ التلقائي الذي يفضله، لأن الناس قد تزل ألسنتهم بمعلومات تفيده. و"يوستن ماجنوس" لا يعرف بقدومه. من ثَمَّ لم يتشاور مع زوجته سالفًا. يمكنه طبعًا أن يرفض الكلام، لكن ينسى الناس هذا الخيار دائمًا. ابتسم للخاطرة.

سمح "ماجنوس" لـ"إيفا" بالاحتفاظ بمنزلهم في "إنجيلستاد"، وانتقل إلى شقة في "فرايدينلاند". لم يكن هذا المجمع السكني قبيحًا على الإطلاق، بل هو أجمل من المبنى الذي يسكن فيه. تحيط به حديقة ضخمة. تتكون مباني المجمع من خمسة طوابق تقف في شكل نصف دائرة. شكلها يشبه الدومينو لكن بألوانٍ معكوسة، فالمباني سوداء والنوافذ بيضاء. لو سقط المبنى الموجود علىً الطرف، سينهار باقي الصف واحدًا تلو الآخر. يبدو أن السكان مبدعون أيضًا، فهناك الكثير من أحواض الزرع المحيطة بجدران المباني والمداخل، وسوف تزهر قريبًا. المكان بالخارج مرتب، الممر المؤدي إلى الأبواب نظيف من الحصى والغبار. باب كل شقة مزيَّن بورود جافة أو بلوحة أنيقة عليها اسم المالك.

زوجته الجديدة هي من فتحت الباب. نظر إليها متفحصًا بفضول ليشكل رأيًا حول المرأة التي استبدلت "إيفا ماجنوس". كانت ممتلئة الصدر، أنثوية، كثيرة المنحنيات. حتى إنه لم يعرف إلى أين ينظر. "إيفا

ماجنوس" بنحولها وجِدِّيتها ليس لديها أي فرصة للمنافسة مع هذه الفاتنة الجذابة. قال "سيير" بهدوء:

- "سيير"، من الشرطة.

فتحت الباب فورًا، فابتسامته الواسعة لم تترك لها مجالًا للشك فيه كما يفعل الناس عادةً إذا أظهر لهم تعبيرًا جادًّا كما يفعل أحيانًا. نظرت إليه بتساؤل، فقال لها:

- أتيت فقط لتبادل حديث قصير مع سيد "ماجنوس".

- نعم، إنه موجود.

تبعها إلى الداخل، فرأى رجلًا ضخمًا أصهب ينهض من على الأريكة. أمامه طاولة عليها صحيفة، وفوقها يوجد صمغ وديناصور خشبي فقد إحدى ساقيه.

تصافح الرجلان. يبدو أن الرجل الضخم لم يتعلم أن يتحكم في قوته. أو أنه على الأرجح لم يرَ داعٍ لكبح قوته مع "سيير". كان المحقق ضئيلًا مقارنةً به، وشعر أن كفه انسحق. قال:

- تفضل بالجلوس. أحضري لنا بعض المشروبات يا "صوفي".

قال المحقق:

- هذه زيارة غير رسمية. شعرت فقط ببعض الفضول.

جلس براحةٍ على الكرسي وواصل:

- سبب قدومي إليك هو أنك كنت متزوجًا من "إيفا ماجنوس". وبالتأكيد تذكر حادثة قتل "مايا دوربان".

أومأ "ماجنوس" وقال:

- نعم، أتذكر طبعًا. كانت جريمةً بشعة. ألم تقبضوا على الجاني بعد؟ لقد مضى وقتٌ طويل. لم أتابع الأخبار في الصحف، ولم تتحدث "إيفا" عن الموضوع مجددًا. ظننتك ستتحدث في موضوع آخر، فأنا نسيت أمر "دوربان" تمامًا. على كل حال، اسأل كما تريد، وسأجيب بما أعرف.

فتح ذراعيه على وسعهما. إنه رجلٌ متعاطف ولطيف وكريم.

سأله "سيير" بفضول:

- ما الموضوع الذي ظننت أنني جئت لأحدثك بشأنه؟

- هل يمكننا التحدث عن هذا لاحقًا؟

- حسنًا.

ناولته السيدة كوبًا من عصير البرتقال البارد، فشكرها.

- هل كنت تعرف "مايا دوربان"؟

- على الإطلاق، لكنني سمعت عنها. "إيفا" و"مايا" افترقتا في شبابهما، لكنهما كانتا صديقتين مقربتين قبل ذلك. أنت تعرف طبع النساء الدرامي. إنهنَّ يبالغن دومًا. لقد عرفت "إيفا" بمقتل "مايا" من الصحف مصادفة، فهي لم ترها منذ عام 1969 أو 1970.

- بالضبط. بخلاف يوم الجريمة.

- بل اليوم السابق للجريمة.

- لقد تقابلتا مصادفة في المدينة. وفي اليوم التالي، زارت "دوربان" في شقتها.

نظر إليه "ماجنوس" بدهشة. فسأله "سيير":

- ألم تعرف ذلك؟

رد ببطء:

- لا. هي.. حسنًا.. يبدو أنها لم تُرِدْ إخباري.

تفاجأ "سيير"، وسأله:

- هل تعرف شخصًا باسم "إيجيل إينارسون"؟

شرب "سيير" عصير البرتقال وشعر بالراحة والاسترخاء. فهو في بيت أشخاص أبرياء، وهذا يكفي ليرتاح.

- لا، لا أظن. إلا إذا كان اسم الشخص الذي عثروا على جثته في النهر منذ أسابيع.

- إنه هو.
- نعم، فهمت. سمعت بالقصة كلها.

أخرج غليونًا من خشب الماهوجني من جيب قميصه وبحث عن كبريتٍ على الطاولة. ظلت "صوفي" تتحرك في المكان، ثم وقفت ومعها كيس من السوداني وهي تبحث عن وعاء تفرغه فيه. "سيير" لا يطيق السوداني.

- لكن لا أعرف من هو. رأيت صورته في الصحيفة.

أشعل عود كبريت ونفخ في الغليون بضع مرات ليشتعل ثم أضاف:

- على الرغم من أننا نعيش في مدينةٍ صغيرة، فلم أعرفه. وكذلك "إيفا".
- "إيفا".
- لقد رأته من قرب، على الرغم من صعوبة تمييز شكله آنذاك. ظننتك أتيت لهذا السبب. لأنها وجدت الجثة. هي و"إيما". كان الأمر مخيفًا، لكننا تحدثنا عنه وانتهى. أعني أنا وابنتي. إنها تأتي في الإجازات الأسبوعية. أظنها نسيت الأمر أخيرًا. لكن لا يمكن التأكد. فالصغار يقيدون أنفسهم أحيانًا انصياعًا لرغبات الكبار.

أشعل الغليون أخيرًا. نظر "سيير" إلى العصير الفائر، ولأول مرة لم يعرف ماذا يقول.

- زوجتك السابقة وجدت جثة "إينارسون"؟

رد بدهشة:

- نعم، ظننتك تعرف ذلك. فهي من اتصلت وأبلغتكم. ألست هنا لهذا السبب؟

قال "سيير":

- لا. من اتصل بنا كانت امرأة مسنة. اسمها "ماركيستاد" على ما أظن. "إرنا ماركيستاد".
- حقًّا؟ على الأرجح اتصل عدة أشخاصٍ بارتباك. لكن "إيفا" و"إيما" وجدتاه أولًا بالتأكيد. لقد اتصلتا بالشرطة من تليفون عمومي. أخبرتني

"إيما" بالقصة كلها. كانتا تتمشيان بجوار النهر. إنهما تذهبان إلى هناك أحيانًا لأن "إيما" تحب هذا.

– قلت إن "إيما" أخبرتك بالقصة، لكن هل أخبرتك "إيفا"؟

– لا. لم تذكر الأمر مباشرةً، لكننا تحدثنا عنه.

– أليس هذا غريبًا؟ طبعًا لا أعرف إلى أي مدى تتحدثان، لكن...

رد بهدوء:

– نعم، أظنه أمرًا غريبًا فعلًا. فهي لم تذكر الموضوع بنفسها. نحن نتحدث كثيرًا في العادة. أخبرتني "إيما" عن الأمر في السيارة ونحن قادمان إلى هنا. أخبرتني أنه في أثناء سيرهما بجوار النهر، رأتا جثة الرجل المسكين طافية. فأسرعتا إلى كابينة تليفون عمومي. بعد ذلك تناولتا الطعام في "ماكدونالدز".

ثم أضاف وهو يضحك:

– وبالنسبة إلى "إيما"، فإن هذا مثل الجنة على الأرض.

– ألم تنتظرا وصول الشرطة؟

– لا على ما يبدو. لكن...

ساد الصمت بضع ثوانٍ حول الطاولة. ولأول مرة بدا "يوستن ماجنوس" مرتابًا، ثم أضاف:

– لكن ليس عليَّ الجلوس هنا والإدلاء بمعلومات عن "إيفا"، والبوح بما قالته ولم تقله. بالتأكيد لديها أسبابها. ربما تلقيتم عدة مكالمات لكن سجلتم واحدة فقط. أو ما شابه ذلك.

أومأ "سيير" وعاد وجهه لتعبيره الطبيعي عندما أخذ يفكر في الأمر.

– نعم، لقد كان يطفو على النهر في وسط البلدة. بالتأكيد رآه الكثير من الناس. يمكن للفوضى أن تعم المركز أحيانًا، خاصةً قبل الإجازات الأسبوعية بالضبط. أعترف أن الأمور قد تصبح مربكة أحيانًا.

حاول أن يكذب بشكل مقبول بقدر الإمكان. وتساءل عن هذه المصادفة العجيبة. أم لم تكن مصادفة؟

واصل التحدث بأدب مع "ماجنوس" بقدر الحاجة. شرب من العصير لكنه لم يلمس السوداني. اعتصر أنبوب الصمغ وهو يمسك قطع الدمية الخشبية ليلصقها:

– إذًا لديكم الآن جريمتا قتل مفتوحتان؟

– نعم، هذا صحيح. أحيانًا لا نجد شهودًا، وأحيانًا يظنون أن ما يعرفوه ليس مهمًّا. أحيانًا يمطرنا الناس بشكوكهم مهما كانت، وأحيانًا يخشون التفوه بكلمة لكيلا يحرجوا أنفسهم، فيفضلون الصمت. قليلًا ما نجد شهودًا جادين، للأسف.

قال فجأة وهو يبتسم ويرفع الديناصور:

– هذا "أناتوسوروس". طوله اثنا عشر مترًا. لديه ألفا سن. لكنَّ مخه بحجم البرتقالة. يمكنه السباحة أيضًا. من المخيف أن تقابله وأنت تسير في الغابة!

ابتسم "سيير". قال "ماجنوس":

– أتعلم، وحوش ما قبل التاريخ هذه غزت تفكير مجتمعنا لدرجةٍ كبيرة. لن أندهش لو ظهر أحدها فجأة وهاجم مدخنة البيت.

– أفهم قصدك. فلديَّ حفيد في الرابعة.

قال "ماجنوس":

– حسنًا. أظن أن "إيفا" قدمت ما تستطيع من مساعدة. لقد كانتا صديقتين مقربتين على كل حال. كلٌّ منهما كانت مستعدة للقتل من أجل الأخرى.

قال "سيير" لنفسه: "ربما كانتا مستعدتين لفعل ذلك فعلًا. ربما".

***

عاد "سيير" لسيارته، واستقبله "كولبيرج" بحرارةٍ وكأنه عائدٌ من القطب الجنوبي. عرف أن "ماجنوس" اتصل بزوجته السابقة الآن بالتأكيد. هذا

مزعج، لأنه كان يفضل الذهاب إليها في زيارةٍ مفاجئة. على كل حال، ليس لديها وقتٌ كافٍ لتستعد. سيستغرق ربع ساعة ليقود من "فرايدينلاند" إلى "إنجيلستاد". عليه أن يتأكد من ضابط الاتصالات إن كان قد تلقى منها اتصالًا والمكالمة لم تُسَجَّل لسببٍ ما. لكنه لم يظن أنه يمكن حدوث هذا الخطأ، فكل الضباط أكفَاء بما يكفي. ثم إنه يعلم أن المجرمين هم من يتصلون أحيانًا. لهذا يسألون المتصل عن اسمه وعنوانه. لو لم يخبرهم المتصل بهذه البيانات، عندها تُسجَّل المكالمة باسم "مجهول"، مع تاريخ ووقت المكالمة وجنس المتصل. قاد سيارته بسرعةٍ دون إبطاء. ربما يمكنه أن يصل في منتصف مكالمتها مع "يوستن ماجنوس" قبل أن تجد تفسيرًا مقنعًا. من الذي يجد جثة في النهر فيتجاهلها ويذهب إلى "ماكدونالدز"؟!

حاول محاولةً أخيرة لشغل الخط. التقط تليفونه واتصل برقم المنزل الذي غادره توًّا، لكنه سمع النغمة الخاصة بأن الخط مشغول. لقد تم الاتصال فعلًا.

انعطف إلى الشارع المنشود، ورأى المنزل المظلم والممر الأمامي الخالي. السيارة ليست موجودة. توقف شاعرًا بالإحباط. مهلًا، ما زالت الستائر مفتوحة. هذا يعني أنها لم تترك المنزل. تحرك بالسيارة وخرج إلى الطريق العام مجددًا. نظر إلى الساعة وقرر الذهاب إلى المقبرة في زيارةٍ سريعة. يحب السير هناك عادةً. يحب أن يرى بقع الثلج وهي تذوب، فتظهر الأرض بنباتاتٍ جديدة من تحتها مع دخول الربيع. ربما أزهار الربيع، فهي تليق مع الزعفران البنفسجي الذي على وشك النمو بمجرد أن يحل الدفء.

الكنيسة ضخمة ومبهرة، ومبنية بطوبٍ أحمر يلفت النظر إليها ويميزها عما حولها فوق التل المطل على المدينة. لم يحبها بشكلٍ خاص، فهي لافتة أكثر مما يحب، لكن لم يجد مكانًا آخر لدفنها. كان شاهد قبرها مصنوعًا من الرخام الأحمر، ومنقوشًا عليه اسمها فقط، بحروفٍ كبيرة؛ "إليز". لم يكتب التواريخ. فهذا سيجعلها مثل غيرها من الناس، وهي لم تكن كذلك. غرس يده برفقٍ في

الأرض ولمح شتلات صغيرة على وشك النمو، فشعر بالسرور. وقف قليلًا ونظر إلى المنحدر. حسنًا، على الأقل لديها صحبة هنا. فأكثر الأماكن وحشة هي كنيسة بقبرٍ واحد. قال "سيير" لكلبه:

- كيف هو شعور الرقاد هنا يا "كولبيرج"؟ هل تظن المكان باردًا؟

نظر إليه الكلب بعينيه السوداوين ورفع أذنيه.

- هناك مقابر للكلاب الآن. كنت أسخر من الأمر سابقًا، لكنني غيرت تفكيري تدريجيًّا، عندما أصبحت أنت كل ما لديَّ الآن.

ربت على رأس الكلب الكبير وتنهد بقوة.

عاد إلى السيارة، ومرَّ بقبر "مايا دوربان" الذي كان خاليًا إلا من بعض الحشائش الجافة الذابلة. كانت تجب إزالتها. انحنى بسرعة وجمع الحشائش الجافة بيديه، ثم نظف أمام شاهد القبر حتى ظهرت التربة الداكنة الرطبة. رمى الحشائش في القمامة القريبة من مضخة الماء. عاد إلى سيارته وقرر الذهاب إلى مركز الشرطة فجأة.

***

كان "سكاري" في المناوبة. جلس يقرأ كتابًا وهو يسند ساقيه على الطاولة. بدا الغلاف دمويًّا.

قال "سيير" باختصار:

- في الساعات الأولى من الثاني من أكتوبر، وقع شجارٌ في بار "كينجز أرمز"، وكدنا نلقي القبض على رجل بتهمة السكر والشغب.

- كدنا؟

- نعم. من الواضح أنه نجا في اللحظة الأخيرة. أريد معرفة اسمه.

- هذا لو سجلناه أصلًا!

- أنقذه صديقه. بالتحديد "إيجيل إينارسون". قد تجد هذه المعلومة في المحضر. إنهم يلقبونه "بيديك". حاول!

قال "سكاري":

- أتذكره.

ثم انحنى على لوحة المفاتيح وبدأ يبحث وانتظره "سيير". حل المساء أخيرًا، بعد قليل سيشرب كأس "الويسكي" التي يسمح بها لنفسه. انسدل الظلام في الخارج. فبدا المركز وكأنه قفص طيور غطاه شخصٌ ما فجأة. هدأ كل شيء. ضغط "سكاري" الأزرار، ومر بعينيه على بلاغات الاقتحام والعنف المنزلي والدراجات المسروقة. كان "سكاري" يستخدم أصابعه العشرة بمهارة، فسأله "سيير":

- هل أخذت دورةً تدريبية في الكتابة على الكمبيوتر؟

- اسمه "أهرون". "بيتر فريدريك أهرون". يسكن في "تولبوجاتا"، عقار رقم 4.

كتب "سيير" الاسم، وفتح الدرج السفلي بطرف قدمه لكي يسند قدمه عليه، وقال:

- طبعًا، لقد تعاملنا معه عند اختفاء "إينارسون". "بيتر فريدريك". لقد استجوبته بنفسك، صحيح؟

- هذا صحيح. استجوبت الكثير منهم. أحدهم كان يُدعى "أرفيسين" على ما أظن.

- هل تتذكر شيئًا عن "أهرون"؟

- بالتأكيد. أتذكر أنه لم يعجبني، كان متوترًا جدًّا. أتذكر أنني اندهشت قليلًا. من المفترض أنه تشاجر بعنف مع "إينارسون". علمت ذلك لاحقًا بعدما تحدثت مع "أرفيسين". لكن لم يصل الأمر إلى حد الكراهية. تحدث بلطفٍ عن "إينارسون". قال إنه ما كان ليؤذي ذبابة. ولو أن أي شيء حدث له، فهي غلطة بالتأكيد.

- هل تفحصت سجلاتهم لدينا من باب الروتين؟

- فعلت. حصل "أفيرسين" على غرامات لتجاوز السرعة. سجل "إينارسون" نظيف تمامًا. "أهرون" لديه سابقة في القيادة وهو سكران.

- ذاكرتك قوية يا "سكاري".

- هذا صحيح.

- ماذا تقرأ؟

- رواية جريمة.

رفع "سيير" حاجبيه، فسأله "سكاري":

- ألا تقرأ أنت روايات الجريمة؟

- يا إلهي، لا! على الأقل لم أعد أفعل. كنت أقرأها أحيانًا في شبابي.

قال "سكاري" وهو يلوح بالكتاب:

- هذه الرواية رائعة. ممتازة لدرجة أنك لن تتركها قبل إكمالها.

- من الصعب تصديق ذلك.

- عليك تجربتها. يمكنك استعارتها بعدما أنتهي منها.

- لا، شكرًا. لا أريد. لديَّ الكثير من روايات الجريمة في البيت. يمكنك استعارة أيٍّ منها إن كنت تحبها.

- هل هي قديمة جدًّا؟

قال مبتسمًا:

- إنها بمثل عمرك.

ثم أغلق الدرج بركلة خفيفة من قدمه.

الفصل الحادي عشر

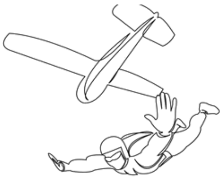

حلَّ فجر السبت بهدوءٍ وصفاء. ذهب إلى مطار "يارلسبيرج". نظر إلى العلم الذي يؤدي دور مقياس الرياح المعلق على الساري. بدا مثل جوربٍ رماه أحدهم من الأعلى. ركن السيارة وأغلقها، وأخذ مظلته من صندوق السيارة، وكذلك بذلة القفز. كان الجو مثاليًا. ربما يقفز مرتين. لمح مجموعة الشباب الأصغر سنًّا. كانوا منشغلين بتحضير أغراضهم. لقد ارتدوا فعلًا بذلات القفز بألوانها المتنوعة بين البنفسجي والأحمر والتركواز. بدوا كما لو أن أحدًا رشهم بالطلاء بعشوائية. بمجرد أن حزموا مظلاتهم خلف ظهورهم، بدت أشبه بحقائب التخييم.

نظر إلى الشباب. بذلات القفز الخفيفة تجعل من السهل تحديد شكل أجسادهم تحتها، سواء كانت نحيلة أم رياضية. قال:

– هذه البذلات رقيقة جدًّا، وكأنكم تطلونها على أجسادكم.

رد شاب بشعرٍ ناعم:

– هذا صحيح. إنها تمنحنا سرعة أفضل من الخيمة التي تحملها.

كان يقصد بذلة العمال التي يستخدمها "سيير". ثم أضاف:

– لكن ربما يكفيك التوتر الموجود في عملك.

– هذا صحيح. هذه البذلة تخفف من سرعة الاندفاع قليلًا.

ترك البذلة والمظلة على الأرض ونظر إلى السماء وهو يضع يده على عينيه، ثم قال:

- أي طائرة ستحملنا؟

- "ذا سيسنا". ستحمل خمسة في كل مرة، والأكبر سنًّا سيقفزون أولًا. "هوجر" و"بيورنبيرج" سيقفزان لاحقًا، لذلك يمكنك أن تُشكِّلَ ثلاثيًّا بسيطًا مع من سيقفز معك في البداية. كلكم بالوزن نفسه على ما أظن. وإلا فلن تتمكن من ممارسة هذه الرايايضة.

قال "سيير" بجفاء:

- سأفكر في الأمر. لكني لن أصعد إلى هناك لكي أتشابك الأيدي مع أحد.

ثم أضاف وهو ينظر إلى السماء:

- أكثر ما أحبه في الأعلى هو الوحدة. تشعر باتساع الكون حقًّا. ستفهم ما أقصد عندما تكبر.

معرفة "سيير" بالتشكيل الجوي لا تتعدى معرفته بالسباحة الإيقاعية. اشترى صودا من آلة البيع، وجلس بالقرب من طاولة التحضيرات. شرب ببطء وشاهد الرياضيين الذين قفزوا فعلًا. بدأوا بالمبتدئين أولًا. بدوا مثل غربان مصابة وهم يهبطون بطرقٍ عجيبة. أولهم هبط برأسه في المقدمة في حقلٍ قريب. والثاني علق في جناحٍ نموذج طائرة موجود وسط العشب. اضطروا إلى مشاركة منطقة قفزهم مع نادي الاستعراض الجوي. وهو ما سبب صراعًا مستمرًّا قد يصل أحيانًا إلى حد العداوة. تصاعدت أصوات السباب والشتائم. لم يهبط أحدهم بطريقةٍ صحيحة. يبدو الوضع أكثر سهولة حين تقفز من على كرسي المطبخ. هكذا يبدأ التدريب. يقفزون عشرًا أو خمس عشرة مرة من على كرسي المطبخ ويتدحرجون ثم ينهضون. لكن الواقع مختلف. لقد كسر كاحله في قفزته الأولى. ابتسمت "إليز" حين رأته يعرج إلى الشقة بقدمه المربوطة بالجبيرة. ليس لأنها قاسية، بل لأنها حذرته مقدَّمًا فعلًا. ثم إن إصابته كانت

بسيطة جدًّا. بعد 2017 قفزة، لم يضطر أبدًا إلى استخدام المظلة الاحتياطية. كان هذا مزعجًا. فالجميع يضطرون إلى استخدامها، وسيحين دوره عاجلًا أم آجلًا. ربما اليوم. هكذا يقول لنفسه في كل مرة وهو يضعها في الحقيبة. يجب ألا ينسى أنه يومًا ما سيجذب الحبل وينظر إلى السماء الزرقاء من فوقه ولن يجد مظلة. لأن مظلته الخضراء والزرقاء احتملته خمس عشرة سنة دون أن يفكر في تغييرها، وقد تهترئ أو تتعطل في أي وقت.

نهض ووضع الزجاجة على الكرسي. نظر إلى الفضاء الممل حوله على الأرض، وتذكر أنه يكون جميلًا كلوحةٍ زيتية حين ينظر إليه من ارتفاع عشرة آلاف قدم. كان الجو صافيًا، والشمس مشرقة ومنعكسة على زجاج السيارات. ارتدى البذلة وربط المظلة وسار نحو الطائرة الحمراء والبيضاء التي بدأت تهبط إلى الأرض ببطء. يوجد شابان وفتاة من ضمن أول ستة عشر ممن قفزوا. كان يجلس إلى جوار الباب. كانوا جميعهم يجلسون مكدسين إلى جوار بعضهم مثل السردين في العلبة. رُكبهم مرفوعة وتلامس أذقانهم، وأذرعتهم تحيط بأرجلهم. أحكم رباط حذائه وارتدى خوذة جلدية، ثم أومأ إلى خامس رجل انحشر معهم وجلس أمامه. استدار الطيار إليهم ورفع إبهامه بمعنى إنهم جاهزون ثم شغل المحرك.

لم تصدر الطائرة صوتًا عاليًا، لكنها اهتزت قليلًا مع إقلاعها. دائمًا يحاول تصفية ذهنه في تلك اللحظات. شاهد السيارات المركونة والطائرة تمر بها، ثم شعر بالعجلات تترك الأرض. راقب مقياس الارتفاع وهم يرتفعون ليتأكد من أنه يعمل. اقتربوا من ارتفاع خمسة آلاف قدم. رأى الخليج وهو يلمع، ورأى الطريق السريع. من هذا الارتفاع بدت السيارات وكأنها تسير بالحركة البطيئة، على الرغم من أنها تسير بسرعة 90 أو 100 كيلومتر في الساعة. تنحنح أحد الموجودين. راجع الشباب الثلاثة التشكيل المتفق عليه. بدوا مثل أطفال صغار يغنون ببذلاتٍ ملونة. سمع

صوت المحرك يهدأ، فأحكم رباط زيه وتأكد من رباط حذائه ومقياس الارتفاع الذي يواصل الزيادة. ابتسم عندما رأى الملصقات على باب الطائرة من الداخل؛ قصاصات على شكل سحب بيضاء عليها كلمات مختلفة: "سماء زرقاء إلى الأبد"، "تراجعوا أيها الجبناء!"، "أرسلوا تحياتي إلى أمي". وقفوا، وأشار "سيير" لـ"تروندسين" ليخبره بأنه سيقفز أولًا. استدار ليعطي ظهره إلى باب الطائرة، ونظر إلى الوجوه الشابة الناعمة كبشرة الأطفال. لم يتذكر أن وجهه كان ناعمًا إلى هذه الدرجة. لكن مرَّ على شبابه زمنٌ طويل، أكثر من ثلاثين عامًا. فتح "تروندسين" الباب، فهاجمته الرياح ومنعته من القفز إلى أن يستعد. قال لنفسه: "قد لا تعمل مظلتك يا كونراد". دائمًا ما يخبر نفسه بذلك في أثناء الانتظار لكيلا ينسى. رفع إبهامه مرة أخيرة للشباب دون أن يبتسم، وهم أيضًا لم يبتسموا. ثم قفز من الطائرة.

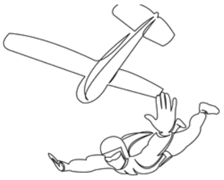

الفصل الثاني عشر

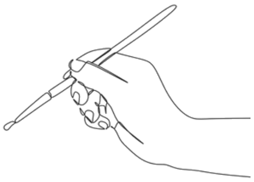

في اليوم التالي أخذ "كولبيرج" معه في السيارة وقاد إلى دار المسنين حيث عاشت والدته أربع سنوات. ركن سيارته في مرآب الزوار، وتحدث مع الكلب ليهدأ حتى يعود، ثم عبر البوابة. دائمًا يحتاج إلى تحضير نفسه قبل الذهاب، فهو يحتاج إلى بعض الطاقة الإضافية. لكن مرَّ أسبوعان منذ زيارته الأخيرة. استقام وأومأ بتحية للممرض الذي مرَّ بجانبه حاملًا سلمًا على كتفه. يسير بسلاسة وهو يبتسم برضا، إنه رجل يحب عمله. على الأرجح لا يعاني أي مشكلة ولا يفهم مشكلات الآخرين. عجيب. من النادر وجود أمثاله. وفجأة لمح "سيير" انعكاس وجهه الكئيب في الباب الزجاجي الذي أمامه. قال لنفسه: "حياتي ليست في غاية السعادة، لكنني لم أهتم أبدًا". صعد إلى الطابق الأول على السلالم، وأومأ لاثنين من الموظفين ثم سار إلى غرفة والدته مباشرةً. كانت تقيم في غرفةٍ منفردة. دقَّ ثلاث مرات ودخل. توقف لحظة حتى تلاحظه، يستغرق هذا بضع لحظات دائمًا. ها هي تدير رأسها. ابتسم وتقدم إليها. جذب كرسيًّا ثم أمسك يدها النحيلة بين يديه. أصبحت عيناها أكثر شحوبًا.

- مرحبًا يا أمي. إنه أنا. جئت لأطمئنَّ عليكِ.

ضغط على يدها برفق لكنها لم تستطع الضغط على يده. كذب قائلًا:

- كنت بالجوار وفكرت في المرور.

شعر بالذنب. كان عليه التحدث في أي موضوع، ولم يكن الأمر سهلًا.

- أرجو أن يكون لديكِ كل ما تحتاجين إليه هنا.

نظر حوله وكأنه يتأكد بنفسه.

- أتمنى أن يهتم الممرضون بالجلوس معكِ بين حينٍ وآخر. قالوا إنهم يفعلون. أرجو أن يكونوا صادقين.

لم تجبه، بل نظرت إليه بعينيها الشاحبتين وكأنها تنتظر منه المزيد.

- لم أحضر معي شيئًا. الأمر صعب. لقد أخبروني أن الأزهار ليست جيدة لصحتكِ، ولا توجد اختيارات كثيرة للهدايا. وهكذا جئت وحدي، و"كولبيرج" في السيارة.

أشاحت بنظرها واستدارت إلى النافذة. قال بسرعة:

- توجد بعض الغيوم، لكنَّ الجو لطيف ومشرق. ليس باردًا جدًّا. أتمنى أن تجلسي في الشرفة عندما يحل الصيف. دائمًا كنتِ تستغلين أي فرصةٍ للخروج، مثلي.

أمسك يدها الأخرى. كانت صغيرة لدرجة أنها اختفت تمامًا في يده. قال فجأة:

- أظافركِ طويلة جدًّا. تحتاج إلى القص.

تحسسها بإصبعه. كانت سميكة وصفراء.

- لن يستغرق الأمر إلا بضع دقائق. يمكنني فعلها، لكن أخشى أنني أخرق قليلًا. أليس لديهم ممرضون متخصصون في هذا النوع من الرعاية؟

نظرت إليه مجددًا بفمٍ مفتوح جزئيًّا. لقد انتزعوا أسنانها الصناعية، قالوا إنها تزعجها. هذا جعل مظهرها أكبر سنًّا مما هي عليه. لكن شعرها كان ممشطًا، وكانت نظيفة. كذلك الملاءات والغرفة. تنهد ونظر إليها مجددًا على أمل أن تتعرَّفه. لكن لا فائدة. أبعدت نظرها مجددًا. عندما نهض وسار إلى الباب، كانت لا تزال تنظر إلى النافذة وكأنها نسيت

وجوده فعلًا. قابل إحدى الممرضات في الممر. ابتسمت إلى هذا الرجل الطويل، فردَّ عليها بابتسامةٍ خفيفة ثم قال بهدوء:

- أظافرها طويلة جدًّا. هل يمكن أن تقصوها؟

ثم غادر وهو يعاني الاكتئاب الذي يصيبه بعد كل زيارة لوالدته. عادةً ما يدوم هذا الشعور ساعتين ثم يتلاشى.

لاحقًا، قاد سيارته إلى خارج "إنجيلستاد"، لكنه أجرى بعض الاتصالات أولًا. طرأ سؤال على ذهنه وكان يحتاج إلى الإجابة لكي يجد ما يفكر فيه في الطريق. أبسط الأفعال قد تؤدي إلى نتائج كبيرة. فالحصاة التي ترميها في الماء قد ينتهي بها المطاف في شاطئٍ لم يخطر على بالك.

فتحت "إيفا ماجنوس" الباب وهي ترتدي قميصًا واسعًا مغطى بطلاءٍ أبيض وأسود، وفي يدها قطعة خشب ملفوفة بورق صنفرة. أدرك من ملامح وجهها أنها كانت تتوقع قدومه، وقررت فعلًا ما ستقوله له. وهذا أغضبه بشدة.

- تسرني رؤيتكِ مجددًا يا سيدة "ماجنوس". لقد مضى بعض الوقت منذ آخر مرة.

أومأت بحركة خفيفة. قال:

- في المرة السابقة كانت "مايا دوربان"، والآن "إيجيل إينارسون". غريب، أليس كذلك؟

سحبت نفسًا عميقًا إثر كلامه. قال:

- لديَّ سؤالٌ بسيط.

تحدث معها بأدب، لكن ليس بتردد، فهو لم يكن مترددًا أبدًا؛ إنه مليء بالثقة والسلطة، ويمكنه جعل الآخرين يرتجفون من التوتر، مثلما يفعل الآن. قالت:

- نعم، أعرف.

تراجعت قليلًا لتفسح له المجال للدخول. أرجعت شعرها الطويل خلف كتفها وأغلقت الباب خلفه.

- اتصل بي "يوستن". لكن ليس لديَّ ما أضيفه. لقد رأيت الرجل المسكين طافيًا على الماء، فاتصلت بكم في نحو الخامسة عصرًا. كانت "إيما" معي. لا أتذكر مع من تحدثت، إن كان هذا ما تتساءل عنه. لكن ليس ذنبي إن لم تسجلوا المكالمة. يمكنك القول إنني أديت واجبي. ليس لديَّ ما أقوله غير ذلك.

لقد أفرغت ما لديها من كلام في مرة واحدة، وكأنها تدربت عليه عدة مرات.

- ساعديني قليلًا في وصف صوت من تحدثتِ إليه لكي أستطيع التعامل مع هذا التقصير. الأمر خطر فعلًا، كل المكالمات يجب تسجيلها. علينا تفسير ما حدث، إن كنتِ تفهمين قصدي.

كانت تقف عند باب غرفة المعيشة وظهرها إليه. لمح اللوحات الضخمة التي لفتت نظره أول مرة بلونيها الأبيض والأسود. لم يستطع رؤية وجهها، لكن من الواضح أنها متوترة جدًّا، مثل القنفذ وهو يستعد لفرد أشواكه. كانت تعلم أنه يخدعها، لكن لم تستطع قول ذلك.

- حسنًا، صوته كان عاديًّا جدًّا. لم أركز عليه.

- هل كانت لهجته مثل أهل شرق النرويج؟

- نعم، لا. لا أتذكر إن كانت لديه لهجة مميزة. لا ألاحظ هذه التفاصيل. كنت متوترة مع وجود "إيما" معي. لم يكن ما رأيته يسرُّ الناظرين.

ذهبت إلى غرفة المعيشة وما زالت توجه ظهرها إليه. تبعها وهو يسألها:

- هل كان شابًّا أم كبيرًا في السن؟

- لا أعرف.

قال كاذبًا:

- في الواقع، كان الضابط المسؤول وقتها أنثى وليس ذكرًا.

توقفت "إيفا" في غرفة المعيشة، وقالت بسرعة:

- حقًّا؟ لا بدَّ أنها كانت في الحمام وردَّ غيرها إذًا. فأنا واثقة من أنني تحدثت إلى رجل.

- بلهجةٍ جنوبية؟
- يا إلهي، لا أعرف. لقد كان رجلًا. لا أتذكر غير ذلك. لقد اتصلت فعلًا وليس لديَّ ما أقوله غير ذلك.
- وماذا قال لكِ؟
- قال؟ ليس كثيرًا، لكنه سألني من أين أتصل.
- وبعدها؟
- لا شيء.
- هل طلب منكِ الانتظار في مسرح الجريمة؟
- لا. لقد وصفت له المكان وحسب.
- ماذا؟
- نعم. قلت إنه بالقرب من مقر حزب العمال، حيث النهر.
- ثم غادرتما؟
- نعم، ذهبنا لنأكل. كانت "إيما" جائعة.
قال ببطء:
- عزيزتي سيدة "ماجنوس"، هل حقًّا تخبرينني أنكِ اتصلتِ للإبلاغ عن جثة، ولم يطلب منكِ الضابط الانتظار في المكان؟
- يا إلهي، لا يمكن أن أكون مسؤولة عن تقصيركم في العمل! ربما كان شابًّا عديم الخبرة. لكنها ليست غلطتي!
- إذًا تظنين أنه كان شابًّا؟
- لا، لا أعرف. لا ألاحظ هذه التفاصيل.
قال ببساطة:
- الرسَّامون دائمًا يلاحظون هذه التفاصيل. إنهم دقيقو الملاحظة لكل تفصيل. أليس كذلك؟
لم تُجِبْ، وأغلقت فمها تمامًا. قال بخفوت:

- سأخبركِ شيئًا. أنا لا أصدقكِ.
- هذه مشكلتك.
- هل أخبركِ السبب؟
- لست مهتمةً.
قال بخفوتٍ أكثر:
- لأن مكالمتك كانت من النوع الذي ينتظره الضباط بلهفة في مناوبة العصر المملة. العثور على جثة. لا شيء يثير حماس ضابطٍ أكثر من العثور على جثةٍ في النهر في مناوبة العصر. إنها مختلفة تمامًا عن بلاغات العنف المنزلي وسرقة السيارات ومشاجرات السكارى في الزنازين. هل فهمتِ؟
- لا بدَّ أن هذه المرة كانت استثناءً إذًا.
رد وهو يرتجف للذكرى:
- لقد رأيت الكثير في أثناء خدمتي، إلا هذا.
الآن ليس لديها ما تفعله إلا أن تنظر إليه بعناد. سألها فجأة:
- هل تعملين على لوحةٍ جديدة؟
- نعم، طبعًا. فهذا مصدر رزقي.
ما زالت واقفة، لذلك لم يستطع الجلوس.
- ليس سهلًا أن تجني رزقكِ من هذه المهنة.
- فعلًا. ليس سهلًا لكننا نتدبر أمورنا.
نفد صبرها لكنها لم تجرؤ على استعجاله. لا أحد يفعل. انتظرت بتوتر على أمل أن يرحل فتتنفس الصُّعداء. قال بحدة:
- الحاجة أم الاختراع. أصبحتِ تدفعين فواتيركِ بانتظامٍ تام، على عكس الوقت السابق لوفاة سيدة "دوربان". حيث كنتِ تتأخرين في دفع كل شيء. هذا مثير للإعجاب.
- كيف عرفتَ هذا؟

- مجرد اتصال لمجلس المدينة وشركة الكهرباء وشركة الاتصالات. من العجيب أن اتصالًا واحدًا من الشرطة يكفي لجمع الكثير من المعلومات.

ترنحت لحظةً، بذلت جهدها لتتماسك وتنظر إليه. ظلت عيناها ترمشان بتوتر، مثل لهبٍ ضعيف وسط عاصفةٍ عاتية. سألها بهدوء:

- هل كانت ابنتكِ معكِ في الكابينة؟

- لا، بل انتظرت في الخارج لأن الكابينة كانت صغيرة، وهي بدينة جدًّا.

أومأ بتفهم، واستدارت هي بعيدًا عنه مجددًا.

- كنتِ تعرفين أن "دوربان" و"إينارسون" يعرفان بعضهما، أليس كذلك؟

أصابها السؤال في مقتل، وظلَّ معلقًا بلا إجابة. فتحت فمها لترد لكنها أغلقته فورًا ثم فتحته مجددًا، وهو ينتظر إجابتها بصبر وينظر مباشرةً إلى عينيها الذهبيتين. شعر كأنه جلاد، لكنها تعرف شيئًا بالتأكيد وعليه استخراجه منها.

عانت مع أفكارها بعض الوقت ثم تمتمت:

- لا أعرف شيئًا عن هذا الأمر.

قال ببطء:

- الكذب كحبات الرمال. يبدأ بحبةٍ واحدة ثم يسيل ويتراكم حتى يصعب عليكِ حمله.

ظلت صامتة. امتلأت عيناها بالدموع فرمشت بسرعة لتمنعها من النزول. عندئذ ابتسم لها. نظرت إليه بارتباك. بدا مختلفًا تمامًا حين ابتسم. سألها:

- ألا ترسمين بالألوان أبدًا؟

- لماذا؟

- لأن الواقع ليس أبيض وأسود.

- ربما لا أرسم الواقع إذًا.

- ماذا ترسمين إذًا؟

– لا أعرف. ربما الشعور.
– أليس الشعور حقيقة من الواقع؟
لم تُجِبْ. وقفت على الباب مدةً طويلة تشاهده وهو يذهب إلى سيارته، وكأنها تريد إيقافه بنظرتها. لقد أرادته حقًّا أن يعود.

***

قاد إلى بيت ابنته. وصل إليه و"ماتيوس" ينتهي من حمامه. كان دافئًا ورطبًا، والآلاف من قطرات الماء ما زالت عالقة بشعره المجعد. ارتدى منامةً صفراء، فبدا مثل قالب شوكولاتة ملفوف بغلافٍ ذهبي.

فاحت منه رائحة الصابون ومعجون الأسنان. لم يفرغوا حوض الاستحمام من الماء بعد، وما زالت فيه سمكة قرش وتمساح وإسفنجة على شكل بطيخة. قالت ابنته بابتسامةٍ وهي تعانقه:
– أخيرًا أتيت.
شعر ببعض الحرج لأنه لا يزورها إلا كل مدة طويلة.
– دائمًا منشغل بالعمل كما تعرفين. لكنني هنا الآن. لا تحضري لي شيئًا مخصوصًا. سأتناول شطيرة واحدة إن كان لديكِ يا "إنجريد". وبعض القهوة أيضًا. هل "إريك" هنا؟
– إنه يلعب كوتشينة. لديَّ بيتزا في الثلاجة، وبيرة باردة.
قال مبتسمًا:
– لن أستطيع القيادة إذا شربت.
عارضته:
– يمكنني أن أطلب لك سيارة أجرة.
– لكِ طريقة فريدة في قلب الأمور إلى مصلحتكِ!
ضحكت وقالت:
– لا، ولكنني سأجبرك على أن تستمع لكلامي.

جلس في غرفة المعيشة مع "ماتيوس" وهو يقرأ معه كتاب أطفال عن الديناصورات. جلس الولد الصغير الذي استحمَّ للتو على حجره. كان دافئًا جدًّا لدرجة أنه بدأ يتعرَّق. قرأ بعض السطور وهو يمرر يده على شعره الأسود الفاحم. دائمًا يندهش من خصلاته المجعدة بشدة. كل خصلة ملفوفة حول نفسها. ملمسه غريب تحت يده. ليس ناعمًا وأملس مثل شعر أطفال النرويج، لكنه خشن مثل سلك تنظيف الصحون.

سأل الطفل الصغير آملًا:

- هل سيبات جدي معنا؟

- سأبات إذا سمحت لي والدتك. وسأشتري لك زيًّ ميكانيكي لكي تلبسه وأنت تصلح دراجتك.

لاحقًا جلس على سرير "ماتيوس". وسمعته ابنته يتمتم ويهمهم بنبراتٍ غريبة. يبدو أنه يغني له لينام. لم يكن بارعًا في الغناء أبدًا، لكن صوته أدى الغرض مع الطفل. سرعان ما نام "ماتيوس" وفمه شبه مفتوح، فظهرت أسنانه البيضاء كاللؤلؤ. تنهد "سيير" وذهب ليأكل مع ابنته التي أصبحت امرأة راشدة الآن، وتكاد تكون بجمال أمها، تقريبًا. أكل ببطء وشرب البيرة. رائحة منزل ابنته تذكره برائحة بيته عندما كانت "إليز" على قيد الحياة. فهي تستخدم المنظفات والمعطرات نفسها. رأى العبوات في الحمام. أيضًا تتبل الطعام بطريقة أمها. في كل مرة تذهب لإحضار المزيد من البيرة، يلاحظ حركاتها. فيجد أنها تشبه أمها في سيرها وفي قدميها الصغيرتين وفي طريقة كلامها وضحكها. دخل لينام في غرفة الضيوف، التي هي في الواقع غرفة أطفال صغيرة جدًّا لم تجد من يشغلها بعد. استلقى يفكر في الأمر. شعر أنه في بيته. وكأن الزمن توقف. أغلق الستائر وأغمض عينيه، ثم شعر أن كل شيء قد حدث منذ زمنٍ طويل. ربما في الصباح ستعود "إليز" لتوقظه.

***

جلست "إيفا ماجنوس" ترتجف بقميص نومٍ خفيف. أرادت الذهاب إلى سريرها، لكنها لم تستطع النهوض من على كرسيها. أصبح من الصعب عليها فعل ما عليها فعله أكثر فأكثر، وكأنه لا فائدة من أي مجهود تبذله. انتفضت حين رنَّ التليفون. خمنت من التوقيت أنه والدها، فلا أحد غيره يتصل في هذا الوقت المتأخر. اعتدلت، وأجابت على التليفون:

- مرحبًا؟

عليها أن تقدر كل لحظة مع والدها، فقد لا يتبقى لها الكثير.

- "إيفا ماري ماجنوس"؟

- نعم.

إنه صوتٌ غريب. لم تسمعه من قبل، أو على الأقل هذا ما تظنه. من قد يتصل في هذا الوقت المتأخر دون أن يعرفها؟

سمعت تكة قصيرة. لقد أغلق الخط. بدأت ترتجف بعنفٍ فجأة، ثم نظرت بخوفٍ من النوافذ. لكن كان كل شيء ساكنًا.

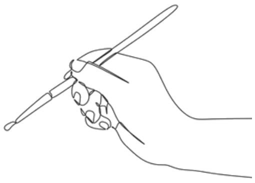

الفصل الثالث عشر

أعطته "إنجريد" مرهمًا للطفح الجلدي. شم المرهم، تغضن أنفه من الرائحة ثم وضعه في الدرج. نظر إلى الصور التي على المكتب أمامه؛ الجميلة "مايا دوربان"، والتقليدي "إينارسون". كان هو رمزًا للقوة والرجولة، في حين كانت هي رمزًا للبراءة. لم يتخيل "سيير" أنهما كانا يعرفان بعضهما، ويختلطان بالدوائر الاجتماعية نفسها أو لديهما معارف مشتركون. لكن "إيفا ماجنوس" كانت حلقة وصل. لقد وجدت "إينارسون" في النهر، ولسببٍ ما لم تبلغ الشرطة. ثم إنها كانت صديقة "دوربان"، ومن آخر الأشخاص الذين رأوها حيَّة. أيام قليلة تفصل بين جريمتي القتل، وكلاهما وقع في الجانب الجنوبي. وإن كان هذا لا يعني الكثير في بلدةٍ صغيرة كهذه.

لم ينزعج من جريمتي القتل قيد التحقيق، فهو لا يشعر بالضغوط بسهولة. بل يصبح أكثر انتباهًا وهو ينظم ويرتب أفكاره بمنطقية، ويجرب العديد من الاحتمالات في ذهنه مثل شريط سينمائي قصير. إنه يستهلك من وقت فراغه، فلديه أكثر مما يحتاج إليه. أخبره حدسه أن بين الضحيتين صلة، على الرغم من نقص الأدلة الدامغة. هل يمكن أن يكون "إينارسون" قد خان زوجته، على الرغم من أن زوجته سخرت من الفكرة؟ بالتأكيد لا تعرف الزوجة كل تفاصيل حياة زوجها. بخلاف "إليز". ثم أدرك فجأة أن وجهه احمرَّ من الذكرى. كان عليه أن يقبض على "إيفا ماجنوس" ويضغط عليها حتى تعترف، لكنه لم يستطع فعل

ذلك من دون أدلَّة قوية. كان يجب أن تكون جالسة أمامه الآن بترددٍ وخوف. وجودها في بيتها يختلف عن وجودها وحيدة في هذا الصرح المهيب، هذا المبنى الرمادي الضخم الذي يخيف كل من يدخله. من السهل أن يتمسك الشخص بقصته في بيته، فالبيت هو الحصن الآمن.

فكر "سيير" بسخرية أنه كان عليه أن يحضر عصَّارة الملابس قديمة الطراز، ويضعها بين البكرتين "ليعصر" منها الكلام. وربما سينزل أيضًا بعض الطلاء الأبيض والأسود الذي يغطي ملابسها. المشكلة أنه لا يملك أدلة ملموسة للقبض عليها. فهي لم تفعل شيئًا غير قانوني. لقد أدلت بشهادتها بعد وفاة "دوربان"، وصدقها وقتها. حياتها عادية كمعظم الناس. تصطحب ابنتها إلى الحضانة، وترسم، وتشتري الطعام. لا تختلط بالناس كثيرًا، ولا حتى مع الرسامين أمثالها. ثم إنها ليست جريمة أن تدفع فواتيرها في موعدها. استاء لأن استجوابها كان سهلًا من البداية. استاء لأنه صدَّق بأنها لا تعرف شيئًا في الاستجواب الأول. ربما قابلت "دوربان" مصادفة فعلًا. وشعرت بالصدمة عندما علمت بمقتلها في اليوم التالي. وهذا كان سبب توترها عندما استجوبها أول مرة. كانت ترتجف. لكن من يجد جثة في النهر، فيتجاهلها ويأكل في "ماكدونالدز"؟! بالإضافة إلى أنها أصبحت تمتلك مالًا أكثر من قبل. من أين جاءت به؟

جلس يفكر وهو ينظر من النافذة، لكن لم يرَ شيئًا غير الأسقف وقمم الأشجار. منظر عادي لكن على الأقل يُظهِر جزءًا من السماء، وهذا هو المهم. هذا ما ينظر إليه السجناء وهم يجلسون في الزنازين. هذا ما يفتقدونه. السماء بألوانها المتنوعة والمتدرجة. حركة السماء المستمرة. زفر "سيير" وفتح درج مكتبه وأخرج كيسًا من أقراص النعناع. رن التليفون بمجرد أن وضع إصبعيه في الكيس. إنها سيدة "برينيجن" من الاستقبال. قالت إنه يوجد ولد صغير يريد التحدث معه للضرورة. وأضافت:

- لكن عليك الإسراع لأنه يريد دخول الحمام!

- ولد صغير؟

- نعم، ولد نحيل اسمه "يان هنري".

قفز "سيير" من مكانه واندفع إلى المصعد الذي نزل بهدوء عبر المبنى. يكره صمت المصاعد. يفضل لو تصدر بعض الضجة. إنها لا توتره أو ما شابه، لكن هذا رأيه.

وقف "يان هنري" صامتًا يترقب ظهوره في قاعة الاستقبال. تأثر "سيير" برؤية الولد النحيل في قاعة الاستقبال الواسعة، لقد بدا تائهًا. أخذه إلى الحمام وانتظره حتى ينتهي. بعدها بدا الولد مرتاحًا. قال الولد:

- ذهبت أمي إلى مصفف الشعر.

- حقًّا؟ هل تعرف أنك هنا؟

- لا، ليس تمامًا. لكنها أخبرتني أنني أستطيع أن أفعل ما أريد لأنها ستستغرق وقتًا طويلًا. ستجعل شعرها مموجًا.

قال "سيير" بنبرة العارف:

- مموج؟ نعم، هذا يستغرق نحو ساعتين. تعال إلى مكتبي وسأريك أين أعمل.

أمسك يد الصغير وقاده إلى المصعد. نظرت إليه سيدة "برينيجن" شاكرة، فلقد انتهت من قراءة معظم المؤامرات والمكايد في الرواية، ولم يبقَ إلا المشاهد الرومانسية.

قال "سيير":

- على الأرجح أنك لا تحب المياه المعدنية يا "يان هنري".

أخذ يجول بنظره في المكتب. لا توجد إلا المياه المعدنية وأقراص النعناع. لا يوجد شيء يمكن تقديمه لطفل صغير ما زال يتمتع بحاسة تذوقٍ قوية.

لكن الولد ردَّ برضا:

- بل أحبها. كان أبي يعطيني منها.

- رائع.

أخذ كوبًا بلاستيكيًّا من الصف المعلق فوق الحوض وملأه ثم وضعه على المكتب أمام الولد. شرب الولد بنهمٍ حتى تجشأ.

سأله المحقق بودٍّ ولاحظ أن نمشه زاد:

- كيف حالك؟

تمتم الولد:

- لا بأس.

ثم أضاف مفسرًا:

- لقد حصلت أمي على حبيب.

- يا إلهي. هذا إذًا سبب تصفيف شعرها وتغييره ليصبح مموجًا.

- لا أعرف. لكن لديه دراجة نارية.

- حقًّا؟ طرازها ياباني؟

- "بي إم دبليو".

- فعلًا! هل ركبتها من قبل؟

- فقط إلى الأمام والخلف بين حبال الغسيل في الحديقة.

- ليس سيئًا، ربما ستقود مسافة أطول بالتدريج. لكنَّكَ ترتدي خوذة، أليس كذلك؟

- نعم.

- هل تركبها والدتك أيضًا؟

- لا، إنها تفضل الموت على ركوبها. لكنه يحاول إقناعها.

شرب "سيير" من زجاجة المياه وابتسم وهو يقول:

- لطفٌ منك أن تأتي. فأنا لا أتلقى زيارات كثيرة في العمل.

- حقًّا؟

- أعني ليس زيارات لطيفة مثل هذه. من النوع الذي لا يتعلق بالعمل. فهمت قصدي؟

- نعم. لكن في الواقع لقد جئت لأعطيك قصاصة الورق. قلت لي أن أخبرك لو تذكرت أي شيء بخصوص قصاصة الورق التي كتبها أبي.

انتبه "سيير" فورًا ومال على المكتب وهو يتمتم:

- قصاصة الورق؟

- وجدتها في المرآب. جلست على طاولة الأدوات بضعة أيام وأخذت أفكر كما طلبت مني. وعندما أغمضت عينيَّ تخيلت أبي في ذلك اليوم، أعني اليوم الذي اختفى فيه ولم يعد. أنا متأكد من أنه أخرج الورقة من جيبه. ثم تذكرت فجأة أنه كان يستلقي تحت السيارة، وسحب الورقة من جيبه. قرأها وتململ قليلًا ثم مد ذراعه هكذا...

مد الولد ذراعه فوق رأسه وكأنه يرمي شيئًا في الهواء، ثم واصل:

- ثم وضعها في رفٍ صغير في أسفل طاولة الأدوات. فنزلت من مكاني ونظرت ووجدتها.

شعر "سيير" بالدم يجري في عروقه، لكن لم تظهر عليه آثار الانفعال لأن جسده تدرب على هذه المواقف. وضع الولد يده في جيبه وأخرج ورقة مجعدة.

ارتجفت يدا "سيير" وهو يفردها ويقرأها.

مكتوب اسم "ليلاند"، ورقم تليفون. كانت الورقة مقسومة إلى نصفين. ربما كانت توجد بقية للكلام. "ليلاند"؟

قال بصدق وهو يصب المزيد من الماء:

- أحسنت أيها الشاب الصغير!

إنه رقمٌ محلي، ولا يثبت شيئًا محددًا. هذا ما يعرفه من خبرة 30 سنة في الشرطة. على الرغم من الظروف، لكن معظم الأطراف المتصلين بالقضية يبدون أبرياء، ولا توجد جريمة في إبداء الاهتمام بسيارة. خاصةً لو كانت "أوبل مانتا"،

فهي تجذب كل من يحب السيارات الألمانية. وبالأخص لو أعلن "إينارسون" نيته في بيعها. ومع ذلك أومأ برضا وفكر في الاتصال فورًا. شعر برغبةٍ في لف سيجارة، لكنه لا يُحضر معه كيس التبغ إلى العمل أبدًا. بل يكتفي بإحضار بعض السجائر العادية ليعرضها على الآخرين. الآن "يان هنري" يستحق جولة في المركز، وربما نظرة سريعة على إحدى زنازين الحبس الاحتياطي وغرف الاستجواب. قاتل "إينارسون" حر طليق منذ أكثر من ستة أشهرٍ فعلًا، لا فارق من الانتظار ساعة أو ساعتين. أمسك يد الولد واصطحبه عبر المبنى. يده أشد نحولًا من يد "ماتيوس" القوية البدينة. ذكر نفسه وهو يعاني لضبط خطواته مع خطوات الولد الصغيرة: "عليَّ ألا أنسَ إحضار بذلة الميكانيكي له". توقف عند أبعد زنزانة وفتح الباب، فألقى "يان هنري" نظرة وسأله وهو يشير إلى فجوةٍ في الأرض:

– هل هذا هو الحمام؟

– نعم.

– ما كنت لأرغب أبدًا في النوم هنا.

– لن تضطر إلى ذلك. فقط اسمع نصائح والدتك.

قال الولد وهو يفرك أصابعه داخل حذائه:

– لماذا الأرضية ساخنة؟

– لأننا لا نريد أن يتجمد المساجين من البرد.

– هل تنظرون إليهم عبر القضبان؟

– نعم. هيا، سنخرج من الزنزانة وسأحملك لتنظر عبر القضبان بنفسك.

قفز الولد الصغير بين ذراعيه وقال ببساطة:

– يبدو حقًّا مثلما تخيلت.

– نعم، مثل السجن تمامًا.

– هل يوجد الكثير من المساجين؟

- لا يوجد الكثير حاليًّا. لدينا زنازين تكفي لتسعة وثلاثين واحدًا، لكن لدينا ثمانية وعشرون الآن. أغلبهم من الرجال، والقليل من النساء.

- نساء أيضًا؟

- نعم.

- لم أعرف أن النساء يدخلن إلى السجن أيضًا.

- حقًّا؟ هل كنت تظن أنهنَّ ألطف منَّا؟

- نعم.

همس له:

- سأخبرك سرًّا. إنهنَّ كذلك فعلًا.

- يبدو أنكم تسمحون لهم بإحضار راديو. فأنا أسمع صوت موسيقى.

أشار "سيير" إلى بابٍ رمادي وقال:

- الصوت يأتي من هنا. فهناك سينما في هذه الغرفة. إنهم يشاهدون الآن فيلم "قائمة شندلر" "Schindler's List".

- سينما؟

- لديهم كل ما يحتاجون إليه؛ مكتبة، مدرسة، طبيب، ورشة عمل. معظم السجناء يعملون في السجن، لكنهم في استراحةٍ الآن. عليهم أن يغسلوا ثيابهم، ويطبخوا طعامهم في المطبخ بالطابق الأعلى. هناك غرفة للرياضة، وغرفة للتسلية. وعندما يريدون بعض الهواء الطلق، نأخذهم إلى الحديقة الموجودة على السطح.

- لديهم كل شيءٍ هنا!

- لست واثقًا. فهم لا يستطيعون التنزه في المدينة وشراء الآيس كريم عندما يكون الجو لطيفًا. أما نحن فنستطيع.

- هل يهربون أحيانًا؟

- نعم، لكن ليس دائمًا.

- هل يطلقون النار على الحراس ويسرقون المفاتيح؟

- لا، الأمر ليس مثيرًا هكذا. إنهم يكسرون النافذة وينزلون منها على جانب المبنى من الخارج. عادةً يكون لديهم شريك في الخارج ينتظرهم في سيارة. أغلب الوقت يصابون بكسورٍ وارتجاجات، فالمسافة مرتفعة إلى الأرض.

- هل يمزقون الملاءات إلى شرائح ويربطونها كما في الأفلام؟

- لا، لا. بل يسرقون حبل نايلون من الورشة. إنهم لا يقضون وقتهم في الزنازين كما ترى، بل يتحركون في المبنى معظم الوقت.

أمسك يده مجددًا ومرَّ بغرفة المراقبة. أشار بيده إلى الشاشات لكي يرى الولد نفسه فيها. فتوقف ولوح للكاميرا، ثم أكملا طريقهما إلى المصعد. بعد ذلك اصطحب "يان هنري" إلى مصفف الشعر، وتأكد من أنه دخل بأمان وجلس على أريكة مزينة بنقوش أزهار. بعدها عاد إلى المركز بسرعة.

بمجرد أن عاد إلى مكتبه، بحث فورًا عن اسم "ليلاند" في دليل التليفونات. وجد ست خانات بهذا الاسم، من ضمنها اسم مؤسسة. مر على الأرقام بإصبعه، لكن لم يجد الرقم المكتوب على قصاصة الورق. غريب. ثم إنه لا توجد بينها امرأة. رفع السماعة واتصل بالرقم بحيرة. رن مرة واثنتين وثلاثة. نظر بسرعة إلى الوقت وعَدَّ الرنات حتى رد شخصٌ ما في الرنة السادسة. سمع صوتًا ذكوريًّا يقول:

- معك "لارسجارد".

- "لارسجارد"؟

سادت لحظات من الصمت وهو يفكر إذا كان قد سمع الاسم من قبل أم لا. لا، لم يتذكره. نظر من النافذة إلى ساحة المركز، بالتحديد إلى النافورة الكبيرة. لكنها جافة الآن، وتنتظر الربيع مثل الجميع.

- نعم، أنا "لارسجارد".

سأله "سيير":

- هل توجد سيدة باسم "ليلاند"؟
- "ليلاند"؟
صمت الرجل لثانية ثم تنحنح وقال:
- لا يا صديقي، لا يوجد. ليس بعد الآن.
- ليس بعد الآن؟ هل سافرت؟
- نعم، يمكنكَ قول هذا. سافرت إلى مسافة بعيدة جدًّا، إلى الأبد. أعني أنها تُوفِّيت. لقد كانت زوجتي. اسم عائلتها قبل الزواج هو "ليلاند". "كريستين ليلاند".
- أنا في غاية الأسف.
- أعلم أنكَ كذلك. لكن لا فكرة لديك عن شعوري.
- هل توفيت مؤخرًا؟
- يا إلهي، لا. لقد توفيت منذ سنوات.
- حقًّا؟ ألا يوجد أي شخص بهذا الاسم مرتبط بهذا الرقم؟
- لا. لا يوجد سواي. أنا أعيش وحدي منذ ذلك الوقت. من أنت؟ وما الأمر بالضبط؟
بدأ الرجل يرتاب. هذا واضح من نبرته الحادة.
- أنا من الشرطة. نحن نحقق في جريمة قتل، ويوجد تفصيل صغير عليَّ التحقيق فيه. هل يمكنني زيارتك والتحدث معك قليلًا؟
- بالتأكيد. تعال في أي وقت، فلا يأتيني الكثير من الزوار على أي حال.
كتب "سيير" العنوان، وخمَّن أن المسافة تستغرق نصف ساعة من القيادة. حرك الدبوس المغناطيسي على السبورة ثم أخذ سترته وغادر المكتب. على الأغلب ستكون مضيعة للوقت، لكنها فرصة للخروج من المبنى. فهو يكره البقاء جالسًا والنظر إلى أسقف المباني وقمم الأشجار من خلال النوافذ المتربة.

قاد ببطءٍ كالعادة عبر البلدة التي بدأوا في تجميلها أخيرًا. نشطت هيئة المرافق العامة والحدائق بشدة. فزرعوا أزهار البيتونيا والمخملية في كل مكان. يبدو أن البرد قضى عليها في الشتاء. عن نفسه، يفضل منظر المدينة بعد عيد الاستقلال في السابع عشر من مايو. استغرق عشرين سنة ليحب هذه المدينة. لكن على الأقل أصبح لها مكان في قلبه، دخلته شيئًا فشيئًا. في البداية مركز الإطفاء القديم، ثم التلال ذات الغابات المطلة على البلدة. أحد جوانب التلال تغطيها مباني فخمة قديمة، كانت جميلة سابقًا. تحول الكثير منها إلى مكاتب ومعارض خاصة. أما جهة التلال الجنوبية فتشغلها في الغالب مبانٍ عالية، يجتمع فيها المهاجرون واللاجئون، بكل ما يوحيه ذلك من تحيزٍ مقيت واضطراب. في النهاية أُسِّس فريق شرطة جديد حتى استقرت الأمور.

أعجبه جسر المدينة بتماثيله الجميلة والميدان الكبير، إنه فخر المدينة ببلاطه المرصوص بعنايةٍ ونظام. يتحول الميدان في الصيف إلى سوقٍ لعرض الخضار والفاكهة والزهور. في اللحظة نفسها سمع صوت الترام الصغير، كالعادة مع اقتراب الصيف. لقد اصطحب "ماتيوس" على متنه ذات مرة. لكنه تعذب ليحشر ساقيه الطويلتين في العربة الصغيرة. إنه الآن يمتلئ بالأمهات المرهقات والأطفال الصغار الذين يحملون دمى أو يلبسون قبعات. كان يهتز كثيرًا لأن الأرض بها بعض التعاريج. غادر وسط المدينة وقاد عائدًا إلى شقته. ثم قال لنفسه إن "كولبيرج" لم يستنشق الهواء الطلق لأنه كان محبوسًا في السيارة بمفرده معظم الوقت. فأمسك حبل الطوق ونزل على السلالم مصطحبًا إياه إلى الخارج مجددًا.

بدا "لارسجارد" مثل شخصٍ كبير السن. لماذا لم يتطابق الاسم والرقم للشخص نفسه؟ فكر في الأمر وهو يقود جنوبًا برزانةٍ تليق بقس. مرَّ بمحطة الكهرباء وموقع التخييم. ظل يراقب المرور من خلفه عبر مرآة السيارة، ليسمح للسائقين غير الصبورين بالمرور. كل من يجد نفسه خلف "سيير" في المرور،

يفقد صبره. لقد تقبل هذه الحقيقة بهدوء. عندما وصل إلى المخبز، انعطف يسارًا وقاد بضع دقائق عبر حقول ومروج، حتى انتهى به المطاف عند مجموعة من أربع أو خمس بيوت. وجد ملكية أرضٍ صغيرة على أطراف البلدة. يعيش "لارسجارد" في البيت الأصفر. إنه جميل وصغير، وله ملحق صغير مكوَّن من ألواحٍ خشبيةٍ حمراء. ركن السيارة وسار إلى سلم البيت. لكن قبل أن يصل، انفتح الباب وظهر رجل نحيل وطويل. كان يرتدي سترة من التريكو و"خفًّا" كاورهات ويمسك بعصا. أخذ "سيير" يفتش في ذاكرته، فلقد بدا الرجل المسن مألوفًا له، لكن لم يعرف السبب.

- هل استغرقت وقتًا طويلًا لتجدني؟

- لا، أبدًا. نحن لسنا في شيكاغو، ولدينا خريطة للطرق.

تصافح الرجلان. ضغط "سيير" يد الرجل النحيلة بحذر، خوفًا من أن يكون مصابًا بالتهاب المفاصل أو أيٍّ من أعراض الشيخوخة المؤلمة. تبعه إلى المنزل. لم يكن مرتبًا لكنه بدا مريحًا في الوقت نفسه. يدخله ضوء خفيف مريح. الهواء نظيف ولا يوجد غبار متراكم.

انحنى "سيير" ليجلس على كرسي بذراعين من طراز الخمسينيات. أعجبه فجلس عليه وهو يسأله:

- قلت إنك تعيش وحدك هنا؟

جلس الرجل على الأريكة بصعوبةٍ كبيرة وأجاب:

- وحدي تمامًا. الوضع ليس سهلًا. ساقاي تؤلمانني لأن الماء يتجمع فيهما. هل يوجد ما هو أسوأ؟ ثم إن قلبي يقع في الجانب الخاطئ، لكنه يعمل على الأقل.

ثم نقر على الخشب الظاهر في الأثاث وهو يقول:

- لنمسك الخشب حتى لا ينفد حظي.

- هل هذا ممكن؟ أعني أن يكون القلب في الجانب الخاطئ فعلًا؟

- نعم. يبدو أنك لا تصدقني. تبدو عليك التعبيرات نفسها التي أراها على كل من أخبره. لقد اضطررت إلى إزالة رئتي اليسرى في صغري. أصبت بالسل حين كنت في مدرسة "فارداسين". لم يكن الأمر بهذا السوء، لكنَّ المشكلة هي أن الرئة تركت فراغًا كبيرًا لدرجة أن قلبي بدأ يتحرك إلى اليمين. المهم أنه يعمل كما قلت. أنا حي حتى الآن. توجد سيدة ترعاني، تأتيني مرة في الأسبوع. تنظف البيت وتغسل الملابس وتخرج القمامة والطعام الذي تعفن في الثلاجة منذ أسبوع، كما تعتني بالنباتات أيضًا. في كل مرة تحضر معها ثلاث أو أربع زجاجات نبيذ. ليس من المفترض أن تشتري لي نبيذًا، إلا إذا كنت معها. لذلك جعلتني أقسم ألا أخبر أحدًا. لكن لا أظنك ستخبر أحدًا. صحيح؟

ابتسم "سيير" وقال ببساطة:

- طبعًا. دائمًا أشرب كأسًا من الويسكي قبل النوم. أفعل ذلك منذ أعوام. فليكن الله في عون الخادمة التي ترفض شراءه لي حين يأتي الوقت الذي أحتاج فيه إلى من يساعدني. أظن أن هذه هي فائدة الخدم.

- كأس ويسكي واحدة؟

- نعم، واحدة تكفيني وتزيد.

- نعم. هل تعلم أنه يمكنك ملء الكأس على آخرها لتساوي أربع جرعات من الكمية العادية؟ هل تشرب ويسكي "بالانتاين"؟

- بل "فيموس جروس". مرسوم على شعاره دجاجة.

- لم أسمع عنه من قبل. لكن ما الذي أتى بك إلى هنا؟ هل كان لدى زوجتي بعض الأسرار الإجرامية وأخفتها عني؟

- لا، أبدًا. لكن أريد أن أريك شيئًا.

أخرج "سيير" قصاصة الورق من جيبه الداخلي، وقال:

- هل تعرف هذا الخط؟

أمسك "لارسجارد" الورقة وقربها من وجهه. اهتزت الورقة بشدةٍ في يده. قال بتردد:

- لا. هل من المفترض أن أعرف صاحبها؟

- لا أعلم. ربما. لا أعرف الكثير في هذه القضية. أنا أحقق في مقتل رجل في الثامنة والثلاثين. وجدنا جثته تطفو على النهر. وطبعًا لم يسقط وهو يصطاد مثلًا. في الليلة التي اختفى فيها منذ ستة أشهر، قال لزوجته إنه ذاهبٌ ليعرض سيارته على شخصٍ مهتم بشرائها. بالتأكيد كان مع الرجل اسم ورقم الشخص في ورقة. وبالمصادفة البحتة استطعت الحصول عليها. أنت تمسكها في يدك الآن. عليها اسم "ليلاند" ورقم تليفونك يا سيد "لارسجارد". هل يمكنك التوضيح؟

لاحظ "سيير" الشيخ وهو يعقد حاجبيه ويهز رأسه نفيًا ويقول بانزعاج:

- لن أحاول حتى، لأنني لا أفهم شيئًا.

جاءت ذكرى مشوشة في باله. عن اتصالٍ خاطئ وكلام عن سيارة. منذ مدة طويلة، ربما ستة أشهر. ربما عليه ذكرها، لكنه تجاهل الأمر.

- هل يوجد من أقارب زوجتك من تعرفه ويحمل لقب العائلة؟

- لا. زوجتي كانت طفلة وحيدة. لقد زال لقب عائلتها الآن.

- لكنَّ شخصًا ما استخدمه. على الأرجح امرأة.

- امرأة؟ هناك الكثير من الأشخاص يحملون اسم "ليلاند".

- لا، بل ستة فقط في هذه المدينة. ولا أحد منهم يحمل هذا الرقم.

أخرج الشيخ سيجارة من العلبة التي على الطاولة، وأشعلها له "سيير".

- ليس لديَّ ما أقوله. إنها غلطة بالتأكيد. والموتى لا يتجولون بسياراتٍ مستعلمة. وعلى كل حال، زوجتي لم تكن تجيد القيادة. ما دمت وجدته ميتًا، فأظنه لم يبع السيارة. وأيضًا كان معه رقمٌ خاطئ بلا شك.

لم يقل "سيير" شيئًا. كان ينظر إلى الشيخ وهو يتحدث، ثم تجولت عيناه على الجدران. فجأة اشتدت قبضته على مسند الكرسي وشعر بقشعريرة عندما رأى لوحة صغيرة فوق رأس "لارسجارد". كانت بالأبيض والأسود مع بعض الرمادي. إنها لوحة مجردة، بدا الأسلوب مألوفًا جدًّا. أغمض عينيه للحظات ثم فتحهما وقال بهدوء:

- يا لها من لوحةٍ جميلة تلك التي تعلقعا فوق الأريكة.

سأله الرجل بسرعة:

- هل تفهم في الفن؟ هل تراها جميلة؟ أخبرت ابنتي أن عليها الرسم بالألوان، ربما عندها ستتمكن من بيع لوحاتها. إنها تحاول الحصول على رزقها منها. لا أعرف الكثير عن الفن، لذلك لا أستطيع الحكم إن كانت جيدة أم لا. لكنها في هذا العمل منذ سنوات ولم تزدد ثراءً.

قال "سيير" برفق:

- "إيفا ماري".

- نعم "إيفا". ماذا؟ هل تعرف ابنتي "إيفا"؟ هل هذا ممكن؟

اهتزَّ جسد الرجل وكأنه قلق من شيءٍ ما. قال "سيير" بسرعة:

- نعم، ربما. لوحاتها جيدة. لكن الناس يستوعبون ببطء. فقط انتظر وستنجح مع الوقت. سترى.

حكَّ فكه بذهولٍ وقال:

- إذًا، أنت والد "إيفا ماجنوس"؟

- هل توجد مشكلة؟

- بالتأكيد لا. هل "ليلاند" اسمها الأوسط؟

- لا. لقبها "ماجنوس". ثم إنها ليس لديها المال الكافي لشراء سيارة. إنها مطلقة الآن، وتعيش مع ابنتها الصغيرة البدينة "إيما"، حفيدتي الوحيدة.

نهض "سيير" وتجاهل نظرة الدهشة على وجه الشيخ، ونظر إلى اللوحة المعلقة على الجدار. فحص التوقيع؛ "E. M. Magnus". كانت الكتابة حادة ومائلة، على الطراز القديم. ثم نظر إلى قصاصة الورق. المكتوب فيها اسم "Liland". أسلوب الكتابة نفسه. لا داعي حتى إلى الاستعانة بخبير خطوط. سحب نفسًا وقال:

– لديك كل الحق في أن تفخر بابنتك. كان عليَّ فقط التحقيق في أمر هذه الورقة.

ثم كرر مجددًا:

– ألا تعرف صاحب هذا الخط حقًّا؟

لم يجب الرجل، بل زمَّ شفتيه تمامًا وكأنه خائفٌ من شيءٍ ما.

أعاد "سيير" الورقة إلى جيبه وقال:

– لن أزعجك مجددًا. يبدو أن هذه غلطة.

– تزعجني؟ هل تمزح؟ أنا لا يأتيني أي زائرين.

قال ببساطة بقدر المستطاع:

– من المحتمل أن أمرَّ عليك مجددًا.

سار ببطءٍ إلى الباب لكي يتبعه الرجل. ثم توقف عند بداية السلم ونظر إلى الحقول. لم يظن أبدًا أنه سيقابل اسم "إيفا ماجنوس" مجددًا. وكأنها متورطة في كل قضية. غريب. قال الشيخ فجأة:

– اسمك "سيير". إنه دنماركي، أليس كذلك؟

– بلى.

– هل كبرت في "هوكيرفيكا"؟

رد بدهشة:

– صحيح.

– أظنني أتذكرك. شاب نحيل يحك جلده باستمرار.

– وما زلتُ أفعل. أين كنت تعيش؟

- في ذلك المنزل الأخضر المتهالك خلف النادي الرياضي. أحبت "إيفا" هذا المنزل كثيرًا. لقد كبرت كثيرًا منذ آخر مرة رأيتك فيها!

أومأ "سيير" ببطءٍ وقال:

- نعم، بالتأكيد كبرت.

نظر الرجل إلى مؤخرة السيارة ورأى الكلب، فقال:

- ماذا لدينا هنا؟

- إنه كلبي.

- يا إلهي. إنه ضخم.

- نعم، إنه كلبٌ كبير.

- ما اسمه؟

- "كولبيرج".

- يا له من اسمٍ غريب! بالتأكيد اخترته لسبب ما. كان عليك إحضاره إلى البيت معك.

- لا أدخله بيوت الناس حتى لا ينزعج أحد.

- لكنني أحب الكلاب. كان لديَّ واحد. كلبة من نوع "دوبرمان". كانت قوية وضخمة. اسمها "ديبا"، لكنَّ اسمها الحقيقي هو "كيركيباكينز فرح ديبا". هل سمعت باسمٍ أسخف من هذا؟

- نعم.

ركب سيارته وشغل المحرك. قال في سره: "ستصبحين في موقفٍ صعب الآن يا "إيفا". لأن والدكِ سيتصل بكِ خلال دقائق ويحقق معك. عليكِ التفكير في ردٍّ مقنع". انزعج بشدة لأنه في كل مرة يتصل بها شخصٌ ما ويحذرها!

- قد ببطء خلال الحقول. فهناك الكثير من الحيوانات تجري على الطريق.

- دائمًا أقود ببطء. فسيارتي قديمة.

- ليس بقدم سيارتي.

لوح له "لارسجارد" وهو يبتعد.

الفصل الرابع عشر

وقفت "إيفا" وفي يدها التليفون.

– لقد وجد الورقة. وجدها بعد ستة أشهر.

الشرطة لديها خبراء في الخطوط. يمكنهم معرفة من كتبها، لكن أولًا يجب أن يكون لديهم عينة للمقارنة. بعدها يدرسون طريقة كتابة كل رمزٍ وحرف للكشف عن صاحب الخط وصفاته وميوله العصبية، وربما حتى جنسه وعمره. لقد درسوا كل هذا في الجامعة. إنه علم قائم بذاته.

لن يستغرق "سيير" وقتًا طويلًا للقيادة من منزل والدها إلى منزلها. ليس لديها الكثير من الوقت. تركت السماعة بعنف واستندت على الجدار. ثم ذهبت بشرودٍ إلى الصالة، وأخذت معطفها من على الشماعة. وضعته على طاولة الطعام مع حقيبتها وعلبة السجائر. أسرعت إلى الحمام وأخذت فرشاة أسنانها وبعض المعجون ووضعتهما في كيس. ثم أضافت فرشاة شعر وعلبة من أقراص "باراسيتامول" المسكنة. ركضت إلى غرفة النوم وأخذت بعض الملابس من الدولاب؛ ملابس داخلية وقمصان وجوارب. ظلت تتفقد الوقت بين لحظةٍ وأخرى. ذهبت إلى المطبخ وفتحت "الفريزر". وجدت علبة من اللحم المقدد، فوضعتها في حقيبتها. عادت إلى غرفة المعيشة

وأطفأت الأنوار، وتأكدت من أن النوافذ مغلقةٌ بإحكام. استغرقت بضع دقائق فقط. وقفت في وسط الغرفة، ونظرت حولها مرة أخيرة. لم تعرف إلى أين ستذهب، لكن المهم أن تهرب وحسب. يمكن أن تعيش "إيما" مع "يوستن". إنها تحب المكان هناك على كل حال. ربما تفضل أن تكون معه فعلًا. صدمتها هذه الخاطرة. لكن لا مجال للبكاء الآن. ذهبت إلى الصالة، وارتدت معطفها، وحملت الحقيبة على كتفها، وفتحت الباب. وجدت رجلًا يقف على السلم وينظر إليها. لم تره من قبل في حياتها.

***

خرج "سيير" من النفق عابسًا. قال:

- هذا حقًّا غريب يا "كولبيرج".

ارتدى نظارة الشمس وقال:

- أتساءل لماذا نعود دائمًا إلى هذه المرأة. علام تنوي يا ترى؟

نظر إلى المدينة التي أصبحت كئيبة وقذرة من أثر الشتاء.

- بالتأكيد لا علاقة للعجوز بالأمر. لا بدَّ أنه في الثمانين من العمر، وربما أكثر. لكن ما علاقة رسَّامة مثقفة بعاملٍ في مصنع خمور؟ لم يكن ثريًّا بالتأكيد. بالمناسبة، هل تشعر بالجوع؟

- "وووف"!

- نعم، وأنا أيضًا. لكن علينا أن نصل إلى "إنجيلستاد" أولًا. بعدها سنتوقف لنشتري الطعام في طريقنا إلى المنزل. سأحضر لنفسي بعض اللحم، وسأحضر لك بسكويت كلاب.

نبح الكلب بحزن، فقال "سيير":

- كنت أمزح. سأحضر لحمًا لكلينا، وبعض البيرة أيضًا.

استلقى الكلب بسعادة. لم يفهم حرفًا من المحادثة، لكنه أحب صوت سيده حين قال الجملة الأخيرة.

الفصل الخامس عشر

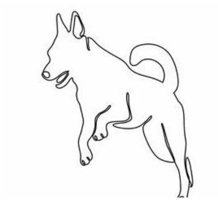

نظرت "إيفا" بدهشةٍ إلى الغريب الذي يقف أمام سيارة "ساب" زرقاء لا تعرفها. قالت بارتباك:

- عذرًا، ظننتك شخصًا آخر.

- حقًّا؟ ولماذا يا "إيفا"؟

طرفت عيناها بحيرة، ثم شعرت بريبةٍ تخترق عقلها كالصاعقة. تجمدت ملامحها وتخشب وجهها. بعد ستة أشهر تظهر الورقة، ولا تعلم من أين. بعد ستة أشهر، أتى إلى منزلها الرجل الذي كانت تنتظره. لقد ظنَّت أنه سيستسلم. صعد السلالم واتكأ بذراعه على إطار الباب حتى شعرت بأنفاسه.

- أتعلمين ماذا وجدت مؤخرًا؟ وأنا أرتب أغراض "مايا"؟ وجدت لوحة. لوحة مثيرة للاهتمام، وعليها توقيعكِ. لم أفكر في هذا من قبل. لقد ذكرتكِ في الليلة التي اتصلت بي فيها، قالت إنها قابلتكِ في المدينة. وأقصد الليلة السابقة لمقتلها. قالت إنكِ صديقة طفولتها التي كانت تتبادل معها كل الأسرار.

كان صوته غليظًا وخشنًا، وكأنه ينتمي إلى فصيلة الزواحف.

- لا يجب أن تتركي لوحاتكِ في كل مكان وهي تحمل توقيعكِ. كنت أنقل بعض الأثاث لبيعه ووجدتها. أبحث عنكِ منذ ستة أشهر. لم يكن الأمر سهلًا، فهناك الكثير من السيدات باسم "إيفا". ماذا حدث يا "إيفا"؟ هل كان الإغراء شديدًا؟ هل أخبرتكِ عن المال ثم قتلتها؟

استندت "إيفا" إلى الجدار وقالت:

- أنا لم أقتلها!

نظر إليها بعينين ضيقتين وقال:

- لا أهتم لهذا الأمر! لكنَّ المال لي وحدي!

تراجعت إلى مدخل البيت وأغلقت الباب. كان عليه مزلاجًا صغيرًا من الداخل. أسرعت إلى غرفة المعيشة وسمعته يعبث به بهدوء في البداية وكأنه يحاول فتحه بأداةٍ ما. لم تضِع وقتًا ونزلت إلى القبو بسرعة. مرَّت إلى جانب طاولة الأدوات القديمة، ووجدت مفتاح الكهرباء الرئيسي. قطعت الكهرباء فأظلم البيت. سمعته يهاجم الباب بعنفٍ بأدواتٍ قوية، فهناك أصوات دق وخربشة. سارت بصعوبةٍ إلى باب القبو، وتحسست الخشب وشعرت بعصبٍ ينبض في رأسها؛ لم يُستخدم الباب منذ سنوات، ربما كان مقفلًا بقفلٍ ثقيل. لم تتذكر لكنها حاولت. يؤدي الباب إلى الحديقة، وخلف سور الشجيرات توجد حديقة جيرانها وشارع جانبي يمكنها أن تهرب منه. سمعت المزيد من الطرقات العنيفة على الباب، مثل اصطدام معدن مع خشب. ربما معه فأس. تحسست مزلاج الباب وتمنت ألا يكون عليه قفل. لم تتحسس أي قفل لكن المزلاج لم يتزحزح. يبدو أنه الصدأ.

خلعت حذاءها بسرعة وطرقت به على المزلاج مرارًا وتكرارًا في حين حطم الرجل باب البيت واقتحم غرفة المعيشة. رفعت يد المزلاج برفقٍ حتى لا يسمعها، فهو الآن يقف منتبهًا لأي صوت. سيرى سلم القبو في أي لحظة ويدرك أنها تقف تحته مباشرةً في الظلام. وسيدرك أيضًا أنها

وجدت مهربًا على الأرجح. لا يجب أن تحرك المزلاج الآن بينما هو صامتٌ هكذا. انتظرت لكي يتحرك مجددًا، وهذا ما فعله. اقترب من السلم، ورنَّ كعب حذائه على الأرضية الخشبية. ارتدت حذاءها مجددًا، ودفعت الباب بكتفها وهي تتمنى ألا يصدر صريرًا. لكنه أصدر صوتًا تردد في القبو. كل ما عليها الآن هو أن تخرج من فتحة القبو العلوية. ظنت أن باب القبو الخارجي مفتوحًا لأنها لا تغلقه بالقفل أبدًا.

صعدت أربع درجات وبدأت تدفع الباب بكتفها عندما سمعت صوت خطواته على السلم. لقد أدرك مكانها، لذلك بدأ يسرع. واصلت الدفع بكتفها مرارًا وتكرارًا. انفتح قليلًا لكنه انغلق مجددًا. ومن خلال الشق الصغير لمحت عصا خشبية استخدمها شخصٌ ما كالمزلاج لغلق الباب. لا بدَّ أنه "يوستن"، لطالما كان عمليًّا. لكن لما كانت عصا خشبية فستنكسر بالتأكيد، لذلك واصلت الدفع بكتفها حتى اتسع الشق. شعرت بكتفها سيتحطم قبل أن تفعل العصا. لقد تخدر حتى لم تعد تحس به. واصلت حتى لمحت حذاء الرجل على أول درجة من سلم القبو. كان حذاءً خفيفًا فاتح اللون. ورأت أسنانه البيضاء. تحرك بضع خطوات ومد ذراعه، وواصلت "إيفا" ضرب الباب بكتفها بكل قوتها. أخيرًا انكسرت العصا وانفتح الباب إلى الخارج بعنف. وقعت من الدرجات الأربع للسلم لكنها قامت مجددًا وخرجت من الفتحة واستعدت لتجري إلى سور الشجيرات. لكنها شعرت فجأة بيدٍ قوية تمسك كاحلها وتسحبها. اصطدمت ذقنها بالسلم. كانت الأرض الخرسانية باردة كالثلج. لم تعد تشعر بكتفها، وفمها ينزف. ترك قدمها لتسقط وتصطدم هي الأخرى بالأرض.

رقدت "إيفا" على معدتها ووقف هو فوقها. شمت رائحة كولونيا ما بعد الحلاقة الخاصة به. بدت رائحته غريبة وسط رائحة القبو الرطب.

تشوشت للحظات ثم فكرت: "إنه ليس ضخمًا، بل نحيلًا إلى حدٍّ ما. باب القبو مفتوح وأنا أطول منه. لو استطعت مباغتته...".

زمجر قائلًا:

- ابقي مكانك.

حاولت التفكير في خطة. عليها ذلك. يجب أن تشتت تركيزه وتفاجئه. تفصلها أربع درجات عن الحديقة. لو قفزت كل درجتين معًا فــ...

قال بهدوء:

- أخبريني أين خبأتِ المال ولن يحدث لكِ شيء. لكن إن لم تتعاوني معي، ستقعين في المتاعب.

أشعل عود كبريت. قاومت شعورها بالغثيان وحاولت التفكير فيما تحتاجه من وقت للوقوف والركض إلى الباب والعبور إلى حديقة الجيران. تخيلت المشهد في عقلها. ستضم ذراعيها وساقيها وتقفز على كل درجتين وتعبر الباب إلى الحديقة ثم الشارع والمرور والناس...

قال بصوتٍ أجش:

- لا أسمع ردكِ.

قالت بحشرجة:

- لا أحتفظ به هنا. بالتأكيد لا تظنني سأفعل ذلك.

ضحك وقال:

- لا يهمني أين وضعته. ستخبرينني عن مكانه في كل الأحوال.

أخذت تفكر كيف يمكن أن تفاجئه. ربما صرخة عالية، من النوع الذي لا يخرج من الحلق في أثناء الفزع، بل يعلق فيه ويعيق التنفس. ربما ستعيقه صرختها لبضع ثوان حتى تنهض من على الأرض.

رفعت رأسها، فقال:

- تكلمي.

سحبت نفسًا عميقًا ملأ رئتيها واستعدت.

- والآن ماذا؟

انطفأ الكبريت وصرخت. ترددت صرختها بين جدران القبو، وانطلقت من غرفةٍ إلى أخرى. نهضت وسحبت نفسًا آخر وصرخت. استعاد توازنه وانطلق خلفها بينما تقفز الدرجات الأربعة في قفزتين وتعبر الحديقة إلى سور الشجيرات التي علقت بملابسها وجرحت جلدها وتشابكت مع شعرها. سمعت معطفها يتمزق، وسمعت أنفاسه خلفها. شقت طريقها بين الأشجار حتى خرجت. زادت سرعتها ودارت حول بيت جيرانها وخرجت من البوابة إلى الشارع الصامت. دخلت بوابة منزلٍ آخر. كانت تجري بأقصى سرعتها. الألم والخوف زاداها قوة. سمعت خطواته خلفها بمسافة قليلة. دارت حول المنزل ووجدت سورًا من الشجيرات. يمكنها أن تعبره وتواصل الهرب إلى منزلٍ آخر. لكنها غيرت رأيها ودارت حول المنزل وتوقفت عند الناصية في الوقت نفسه الذي لمحته فيه. لقد ظنَّ إنها واصلت الركض إلى سور الشجيرات، لكنها خرجت إلى الطريق وركضت على طرفه حتى لا يصدر حذاؤها صوتًا على الأسفلت.

لمحت الطريق الرئيسي وضوء سيارة من بعيد، فأسرعت ولم تنظر خلفها. ظلت تركض ورئتاها تلهث طلبًا للهواء. أخيرًا رأت سيارة تتحرك ببطء، فقفزت أمامها فجأة. أصدرت الإطارات صريرًا عندما اضطر السائق إلى التوقف فجأة. انهارت على غطاء المحرك مثل الشوال. نظر "سيير" إليها بصدمةٍ عبر الزجاج الأمامي. مرت بضع ثوانٍ قبل أن تتعرَّفه. دارت حول السيارة وانتقلت إلى الحارة الأخرى من الطريق، فسمعته يدور بالسيارة نحوها. بعدها سمعت بابًا ينفتح وصوت خطواته على الرصيف. كانت "إيفا" مجهدة تمامًا، لكنها واصلت الركض وتنورتها

ترفرف حول ساقيها. تبعها "سيير" إلى الحديقة. كان يجري على حصى، لذلك سمعته بوضوح على الرغم من شعورها بالصفير في أذنها.

فجأة سمعت صوتًا آخر أرعبها. صوت كلب. أراد "كولبيرج" الانضمام إلى لعبة المطاردة. شاهد باستمتاعٍ سيده وهو يجري، فاستغرق الكلب بضع ثوانٍ ليلحق به. لوح بذيله بحماسٍ وقفز ليتعلق بسترته. فجأة لاحظ المرأة التي تجري أمامهما بمسافةٍ قريبة، ولمح تنورتها الطويلة ترفرف وسط الحديقة خافتة الإضاءة. نسي الكلب "سيير" وركض خلف المرأة. استدارت "إيفا" ورأت الكلب الضخم وفكه الأحمر الذي يتصاعد منه بخار أنفاسه، ولسانه الذي يتطوح من جانبٍ لآخر مثل البندول. كان يخترق الحديقة بسهولة. نسيت "إيفا" أمر "سيير" تمامًا وركزت في الهروب من الكلب بأسنانه الصفراء ومخالبه الطويلة التي تخترق العشب الطويل بقفزاتٍ كبيرة قلصت المسافة فورًا. كان وسط أشجار التفاح القديمة بيت أطفال صغير. انطلقت نحوه بآخر ما تملك من قوة، وفتحت الباب وأغلقته خلفها. كانت في أمانٍ من الكلب في الداخل. من الكلب فقط على الأقل.

هدأ "سيير" وسار ببطءٍ نحو البيت الصغير. ربت الكلب عندما عاد إليه محبطًا، ثم انحنى وأمسك طوقه وسار إلى باب البيت. فتحه بحذرٍ، ووجدها جالسة على الأرض تضم ركبتيها إلى صدرها. إلى جانبها طاولة عليها إبريق صغير وكوبان من الصيني على المفرش. توجد دمية مهملة شعرها مقصوص وملقاة على الأرض. قال بهدوء:

- "إيفا ماجنوس"، أظن أنه من الأفضل لكِ مرافقتي إلى مركز الشرطة.

الفصل السادس عشر

عادت "إيفا" إلى أرض الواقع.

نظرت إلى "سيير" في دهشةٍ من أنه ما زال هنا.

كان يمكن أن يخبرها أن تبدأ بالكلام، لكنه لم يفعل. يمكنه أن ينتظر، فهي في أسوأ وضع. كانت لا تزال ترتدي معطفها. دسَّت يدها في جيبها تبحث عن شيءٍ ما. فسألها:

- سيجارة؟

أخرج من درج مكتبه العلبة التي لا يلمسها أبدًا، وقدمها لها.

أشعل لها سيجارة. ما زالت صامتة، من الواضح أنها تحاول تمالك نفسها لتعرف من أين تبدأ. بدأ الدم يتجلط حول فمها، وشفتها السفلى تتورم. لا يمكنها العودة إلى المنزل. أخيرًا قررت البدء من أول القصة، من اليوم الذي ذهبت "إيما" في إجازة، وركبت هي الحافلة إلى البلدة. ظلت واقفة في شارع "نيدر ستورجايت" شاعرةً بالبرد، وظهرها إلى متجر "جلاسماجاسينيت"، ولا تملك إلا تسعًا وثلاثين كرونة في جيبها. ضمت المعطف حول رقبتها، فاليوم كان آخر أيام سبتمبر والجو بارد.

كان يجب أن تكون في البيت، تعمل. إنها الحادية عشرة صباحًا، لكنها هربت من البيت. لقد اتصلت بشركة الكهرباء وشركة التليفونات، وطلبت تأجيل الفاتورة بضعة أيام وستدفع. حصلت على مدة سماح لسداد فاتورة الكهرباء لأن لديها طفلة صغيرة، لكن سينقطع خط التليفون في اليوم نفسه. حتى لو انهار المنزل فعليها أن تعيش وسط الركام لأنها لم تدفع قيمة التأمين. كل أسبوع تتلقى تهديدًا لسداد ديونها. وتأخرت منحة مجلس الفنون. الثلاجة فارغة. ليس لديها إلا تسعة وثلاثين كرونة. في مرسمها بالبيت أكوام من اللوحات، لا أحد يشتريها منذ سنوات. نظرت إلى يسارها عبر الميدان، حيث رأت لافتة بنك "سبير بانك" مضيئة. تعرض البنك للسرقة منذ بضعة أشهر. رجل يرتدي زيًّا رياضيًّا هرب خلال دقيقتين ومعه أربعمائة ألف كرونة. في مائة ثانية فقط. ولم تُحل القضية.

هزت رأسها بيأسٍ، ونظرت إلى محل الألوان، ثم نظرت في حقيبتها حيث تقبع علبة من مثبت الألوان. كلفتها مائة واثنين كرونة، واتضح أن بها عيبًا. فتحة الرش بها مشكلة، فلا تُخرِج شيئًا، أو الأسوأ أن تخرج كمية كبيرة تفسد اللوحات. مثل لوحة والدها. لا تملك مالًا لتشتري علبة أخرى، ليس أمامها إلا الاستبدال. الكرونات الباقية معها ستشتري بها حليبًا وخبزًا وقهوة. المشكلة هي أن "إيما" تأكل كثيرًا كالحصان. لن يكفيها رغيفُ خبزٍ أبدًا. اتصلت بمجلس الفنون الذي قال إن المنحة ستصلها خلال أيامٍ قد تصل إلى أسبوع. لا فكرة لديها ماذا ستأكل غدًا. لم تفزع أو تنصدم، فهي معتادة ضيقة العيش، لقد عاشا هكذا سنوات، منذ أن أصبحت هي و"إيما" وحدهما دون رجل يصرف على البيت. دائمًا يظهر حل. لكن القلق ينهش في صدرها حتى صار أجوف. أحيانًا يهتز الواقع في عقلها مثل الزلزال. الشيء الوحيد الذي يجعلها تتحمل هو مهمتها الشاقة لسد جوع "إيما". "إيما" هي المرساة التي تتشبث بها.

اليوم ذهبت إلى والدها، فبحثت "إيفا" عن بديل تتشبث به، فلم تجد إلا الكيس الذي تحمله.

"إيفا" طويلة ونحيلة، شاحبة وخائفة دائمًا. لكنَّ السنوات التي عاشتها في ضائقةٍ مادية علمتها التفكير. ربما يمكنها أن تطالب باسترداد مالها بدلًا من استبدال العبوة. عندها سيكون لديها مائة واثنان كرونة لشراء الطعام. لكنه طلب غريب. فهي رسامة، وبالتأكيد تحتاج إلى عبوة مثبت الألوان، وموظف المحل يعرف ذلك. ربما يمكنها أن تسبب شجارًا في المحل وكأنها زبون صعب المراس وتصيح وتشتكي وتهددهم بالاتصال بجهاز حماية المستهلك. عندها سيفهم الحقيقة، أنها مفلسة وغاضبة، وربما يعيد إليها المال. فهو رجل لطيف. مثلما كان "بير تانجوي" عندما يأخذ جزءًا من لوحة "فان جوخ" ثمنًا لمستلزمات الرسم بدلًا من النقود. ثم إنه يفضل شراء أنبوب ألوان على أن يأكل. وكذلك "إيفا"، لكن المشكلة هي أن لديها طفلة بشهيةٍ مفتوحة. لا جدال في هذا. استعدَّت وعبرت الشارع وذهبت إلى المحل. كان الجو في الداخل أكثر دفئًا وهدوءًا، ورائحته تشبه رائحة مرسمها في البيت. وقفت موظفة شابة خلف طاولة الدفع في قسم العطور تتصفح كتيبًا به ألوان لصبغات الشعر. أما الموظف الخاص بقسم الألوان، فلم تره.

قالت "إيفا" بعزم:

- أريد استرجاع هذه. البخاخ لا يعمل. أريد استعادة مالي.

عبست الفتاة وأخذت الكيس وقالت:

- لا يمكن أن تكوني قد اشتريتِ هذه من هنا. فنحن لا نخزِّن هذا النوع من بخاخات الشعر.

قالت "إيفا" بملل وهي تدير عينيها:

- إنه ليس بخاخ شعر، بل مثبت ألوان. لقد فسدت لوحة جميلة بسبب هذه العلبة.

احمرَّ وجه الفتاة بحرج وأخرجت العلبة ورشت فوق رأس "إيفا". لم يخرج شيء. فقالت الفتاة باختصار:

- إنها لا تعمل، يمكنكِ استبدالها.

أصرَّت "إيفا":

- بل أريد ثمنها. أعرف المالك. سيعطيني مالي.

سألتها:

- لماذا؟

ردت باختصار:

- لأنني أطلبه. هذا ما يُسمَّى بالخدمة الجيدة.

تنهدت الفتاة. بدأت العمل منذ مدةٍ قصيرة، وهي تصغر "إيفا" بعشرين عامًا. فتحت درج النقود وأخرجت مائة واثنتين كرونة، وقالت:

- وقعي هنا.

وقعت "إيفا" وأخذت المال وغادرت. حاولت أن تسترخي. الآن ربما يمكنها تدبر أمرها ليومين آخرين. أجرت بعض الحسابات في عقلها، وحسبت أن معها مائة وواحدًا وأربعين كرونة. يمكنها بالكاد أن تشتري لنفسها كوب قهوة في المقهى الداخلي لمتجر "جلاسماجاسينيت". يمكنك شراء قهوة من هناك دون أن تضطر إلى طلب طعام.

عبرت الشارع إلى البوابة الزجاجية التي انفتحت تلقائيًّا لدى اقترابها منها. ألقت نظرة سريعة على قسم الكتب والأدوات المدرسية، ثم اتجهت إلى السلم الكهربائي حين لمحت فجأة امرأة تقف أمام أحد الرفوف. امرأة فاتنة بشعر بني قصير وحاجبين داكنين. كانت تتصفح كتابًا. مرت سنواتٌ طويلة، لكنَّ الوجه مألوف ولا يمكن نسيانه بسهولة. توقفت "إيفا" مصدومة، لم تصدق عينيها. اختفت السنوات فجأة وعادت بالزمن إلى ذلك اليوم عندما كانت في الخامسة عشر، وتجلس على السلالم الحجرية أمام البيت. حزمت عائلتها

أغراضهم في صناديق، ووضعوها في شاحنة نقل. جلست تنظر إليها في دهشةٍ من أن كل أغراضهم موضوعة في شاحنة واحدة صغيرة بعدما كانت تملأ البيت والمرآب والقبو. كانوا ينتقلون. بدا وكأنهم لم يعيشوا هنا يومًا واحدًا. يا له من شعورٍ فظيع. لم ترغب "إيفا" في الرحيل. ظلَّ والدها يدور بعينيه في المكان خوفًا من أن يكون قد نسي شيئًا. لقد حصل على وظيفةٍ أخيرًا، لكنه لم يستطع النظر في عيني "إيفا".

سمعت صوت خطوات ولمحت الفتاة المألوفة تقترب منها.

– كان عليَّ أن آتي لتوديعكِ.

أومأت "إيفا".

– يمكننا أن نكتب لبعضنا رسائل، صحيح؟ لم يكتب لي أحد رسائل من قبل. هل ستعودين في إجازة الصيف؟

تمتمت "إيفا":

– لا أعرف.

لن تجد صديقةً مثلها أبدًا. كانت متأكدة. لقد كبرتا معًا، وتشاركتا كل شيء. لا أحد غيرها يفهم شعورها. بدا المستقبل كئيبًا. أرادت أن تبكي. تعانقت الفتاتان بسرعةٍ وحرج ثم افترقتا. حدث هذا منذ خمسٍ وعشرين سنة تقريبًا. ومن وقتها لم تريا بعضهما أبدًا، حتى الآن.

سألتها وانتظرت الإجابة بترقب:

– "مايا"؟

استدارت المرأة وبحثت عن مصدر الصوت ولمحت "إيفا". اتسعت عيناها وأسرعت إليها وهي تقول:

– غير معقول! لا أصدق عيني. "إيفا ماري"! يا إلهي، لقد أصبحت طويلة جدًّا!

– أما أنتِ فأصغر مما أذكر!

ثم صمتت المرأتان بحرج، وأخذت كل واحدة تتفحص الأخرى لتستوعب كل التغييرات التي حدثت بها. كما رأت كل واحدة آثار الزمن في الأخرى، وأدركت أنها تأثرت بالقدر نفسه، من خلال التجاعيد والخطوط التي ظهرت في الوجه. بعد ذلك بحثت كل واحدة عن الأشياء التي لم تتغير. قالت "مايا":

- سنذهب إلى المقهى. هيا، علينا أن نتحدث يا "إيفا". ما زلتِ تعيشين هنا حقًّا؟ بعد كل هذه السنوات؟

أحاطت خصر "إيفا" بذراعها واصطحبتها وهي ما زالت مندهشة. ما زالت كما تتذكرها "إيفا" تمامًا؛ مبتهجة، متحدثة، عازمة، متحمسة. باختصار، إنها عكس "إيفا" تمامًا. إنهما تكملان بعضهما، لذلك تحتاجان إلى بعضهما. قالت "إيفا":

- لم أتقدم في حياتي قط. هذا المكان بشع. ما كان عليَّ الانتقال أبدًا.

- أنتِ لم تتغيري أبدًا؛ مكتئبة. هيا لنلحق تلك الطاولة المجاورة للنافذة!

أسرعتا للجلوس عليها قبل أن يحجزها أحد وجلستا على الكراسي، لكن "مايا" نهضت مجددًا وقالت:

- اجلسي لتحجزي مكاننا في حين أحضر لنا شيئًا نتناوله. ماذا تحبين؟

- فقط قهوة.

اعترضت "مايا":

- أنتِ تحتاجين إلى بعض الكيك، فأنتِ أنحف مما كنتِ.

قالت مندفعة دون تفكير:

- ليس معي مال.

- أنا معي.

ذهبت وشاهدتها "إيفا" وهي تأخذ كيفما تحب من ركن الكيك. من المحرج أن تعترف بعدم قدرتها على شراء قطعة كيك، لكنها ليست معتادة الكذب على "مايا". لذلك اندفعت الحقيقة من فمها. لا تصدق أن صديقتها أمامها تصب

لهما القهوة. وكأنه لم تمر خمسٌ وعشرون سنة. نظرت إلى "مايا" التي ما زالت تبدو كفتاة صغيرة. فكرت بحسد في أن القوام الممتلئ قليلًا لا يظهر عليه العمر بسرعة. خلعت معطفها. لم تهتم أبدًا. إنها تأكل فقط حين يزعجها الجوع ويفقدها تركيزها. إنها تعيش أساسًا على القهوة والسجائر والنبيذ.

عادت "مايا" ووضعت الصينية على الطاولة ودفعت الطبق نحو "إيفا". توجد قطعة مخبوزات مسكرة "دنش" وقطعة كيك مغطاة بصوص مسكر.

قالت "إيفا":

- لا أستطيع أن آكل كل هذا.

ردَّت "مايا":

- حاولي. إنها مسألة تعود. كلما أكثرتِ من الأكل، اتسعت معدتكِ واحتجتِ إلى المزيد من الطعام. يستغرق الأمر بضعة أيام ليزيد وزنكِ عندما تصلين إلى سنِّ الأربعين. يا إلهي، سنصبح في الأربعين!

غرزت الشوكة في الكيك، فسالت حشوة الكريمة من الجانبين. نظرت "إيفا" إليها وشاهدت كيف تتولى "مايا" القيادة لكي يمكنها هي أن ترتاح وتسترخي وتتبعها وحسب. مثل الأيام الخوالي. في الوقت نفسه لاحظت الخواتم الذهبية في أصابعها، والأساور الذهب في معصميها. يبدو أن حالتها أكثر من ميسورة. قالت "مايا":

- لقد عشت هنا أكثر من ثمانية عشر شهرًا. من الغريب أننا لم نتصادف من قبل!

- لأنني لا أكون في المدينة كثيرًا. ليس لديَّ ما أفعله هنا. أنا أعيش في "إنجيلستاد".

سألتها "مايا" بفضول:

- هل أنتِ متزوجة؟

- كنت، ولديَّ طفلة صغيرة، اسمها "إيما". وهي عند والدها الآن.

- إذًا، أنتِ أم عزباء مع طفلة.

كانت "مايا" تحاول استيعاب الوضع. شعرت "إيفا" بنفسها تتضاءل. بدت مثيرة للشفقة حين قالت "مايا" هذا. على الأرجح واضح عليها حالتها المزرية. كانت تشتري ملابسها من الجمعيات الخيرية، في حين أن "مايا" في غاية الأناقة. ترتدي سترة جلدية وحذاءً برقبة وبنطلونَ جينز ماركة "ليفيز". ملابسها وحدها تساوي ثروة صغيرة.

سألتها "إيفا" وهي تضع يدها تحت قطعة المخبوزات لأن الفتات يتساقط منها:

- أليس لديكِ أطفال؟

- لا. ولماذا أريدهم؟

- لأنهم سيعتنون بكِ عندما تكبرين، وسيكونون مصدر راحة وبهجة في أيامكِ الأخيرة.

- هذه أنتِ فعلًا يا "إيفا ماري". دائمًا تفكرين في الشيخوخة. ألهذا ينجب الناس أطفالًا؟

ضحكت "إيفا" رغمًا عنها. شعرت أنها عادت فتاة صغيرة عندما كانت الفتاتان معًا في كل يوم وكل دقيقة ممكنة. هكذا كان الوضع. بخلاف إجازات الصيف، عندما كانوا يرسلونها إلى عمها في الريف. لم تكن تحتمل تلك الإجازات من دون "مايا".

- ستندمين على هذا يومًا ما. انتظري وسترين.

- أنا لا أندم على شيءٍ أبدًا.

- لا. أما أنا فأندم على كل شيءٍ في حياتي.

- عليكِ التوقف عن هذا يا "إيفا ماري". فهو يضر بصحتكِ.

- لكنني لست نادمة على إنجاب "إيما".

- طبعًا. أظن الناس لا يندمون على إنجاب أطفالهم. لماذا انفصلتما؟

- وجد امرأة أخرى ورحل.

هزت "مايا" رأسها، وقالت:

- وبحسب معرفتي بكِ، أراهن أنكِ حزمتِ معه أمتعته، أليس كذلك؟

- نعم، فعلت. فهو غير عملي بالمرة في هذا الأمر. على كل حال، كان هذا أفضل من الجلوس ومشاهدة الأغراض وهي تختفي.

- لو كنت مكانكِ، لذهبت إلى صديقة لأشرب معها.

- ليس لديَّ أي أصدقاء.

أكلتا الكيك بصمت. ومن آن إلى آخر تهزان رأسيهما وكأنهما لا تصدقان أن القدر جمعهما مجددًا. يوجد الكثير لتتحدثا عنه، ولا تعرفان من أين تبدآن. بالنسبة إلى "إيفا"، كانت في مخيلتها ما زالت جالسة على السلالم الحجرية الباردة تنظر إلى الشاحنة الخضراء.

قالت "مايا" بغضبٍ فجأة:

- أنتِ لم تجيبي عن رسائلي أبدًا.

- لا. حثني أبي على الكتابة كثيرًا، لكنني رفضت. كنت حزينة وغاضبة بسبب الرحيل. على الأرجح أردت الانتقام منه.

- لكن أنا من عانت.

- نعم، أنا حمقاء قليلًا.

ثم سألتها وهي تبحث في حقيبتها:

- هل ما زلتِ تدخنين؟

- مثل المِدخَنة. لكن ليس ذلك النوع الذي تدخنينه.

أخرجت "مايا" علبة تبغ من جيب سترتها وبدأت تلف سجائر وهي تسألها:

- ماذا تعملين؟

ظهر اليأس على وجهها. كان سؤالًا بريئًا لكنها كرهته. فكرت وهلةً في الكذب، لكنها لن تتمكن من خداع "مايا". لم تنجح في ذلك أبدًا.

– لطالما سألت نفسي هذا السؤال. يمكن القول إن عملي غير مربح. أنا أرسم.

رفعت "مايا" حاجبيها وقالت:

– أنتِ فنانة؟

– نعم، نعم. لكن معظم الناس يختلفون معي في الرأي. أعني أنني لا أبيع لوحات كثيرة، لكنني أعتبرها مرحلة انتقالية. وإلا كنت توقفت منذ زمن.

– لكن ألا تعملين مطلقًا؟

نظرت إليها "إيفا" بدهشةٍ وقالت:

– ألا أعمل؟ هل تظنين أن اللوحات ترسم نفسها؟ طبعًا أعمل! وهو ليس عملًا روتينيًّا من ثماني ساعات يوميًّا. بل يطاردني حتى النوم. لا أحصل على أي سلام نفسي. أشعر برغبةٍ في عمل تعديلات طوال الوقت.

ابتسمت "مايا" وقالت:

– اعذريني على سؤالي السخيف. كنت فقط أتساءل لو تعملين عملًا إضافيًّا براتبٍ ثابت.

قالت "إيفا" بتجهم:

– عندها لن أجد وقتًا للرسم.

– نعم. أتفهم هذا. رسم اللوحات يستغرق وقتًا طويلًا.

– ستة أشهر للوحة الواحدة.

– ماذا؟ هل ترسمين لوحاتٍ ضخمة؟

تنهدت "إيفا" وأشعلت سيجارتها. "مايا" تطلي أظافرها بلون أحمر قانٍ، وتعتني بيديها جدًّا. أما هي فمنظر يديها يثير الشفقة.

قالت بيأس:

– لا يفهم الناس صعوبة الرسم. يظنون أن الرسام لديه مصدر إلهام سري يجعله ينقل الصورة من عقله إلى القماش مباشرةً.

قالت "مايا" برقة:

- لا أعرف شيئًا عن الأمر. لكن يدهشني الأشخاص الذين يختارون هذه الحياة على الرغم من صعوبتها. لديك طفلة ومشاغل.

- أنا لم أخترها.

- بالتأكيد فعلتِ.

- لا، ليس حقًّا. أصبحت فنانة لأنني مضطرة. لأنني لم أجد بديلًا.

- لا أفهم. ألا يوجد حلول بديلة لكل شخص؟

يئست "إيفا" من محاولة الشرح. لقد أكلت قطعتي الكيك لترضي "مايا"، والآن تشعر بالغثيان.

- أخبريني عن عملكِ أنتِ؟ من الواضح أنكِ تربحين أكثر مني.

أشعلت "مايا" سيجارتها وقالت:

- تقريبًا. أنا أعمل لصالح نفسي مثلكِ. أنا أدير مؤسسة من امرأة واحدة. أعمل بجهدٍ وفي اتجاهٍ محدد لأوفر بعض المال. وأفكر في التوقف مع العام الجديد لأسافر إلى شمال فرنسا وأفتح فندقًا صغيرًا. ربما في "نورماندي". إنه حلمي منذ زمن.

- واااو!

دخنت "إيفا" وانتظرت سماع المزيد.

- إنه عملٌ شاق، ويحتاج إلى الكثير من الالتزام، لكنه يستحق التعب. إنه وسيلة لتحقيق غايتي. ولن أستسلم حتى أحصل على مرادي.

- أعرفكِ جيدًا.

مالت نحو الطاولة وقالت:

- لو كانت شخصيتكِ مختلفة، لعرضت عليكِ شراكة. من دون رأس مال. وتدريب كامل. كنتِ ستحققين ثروة في وقتٍ قياسي. حقًّا. كنتِ ستدخرين مالًا من أجل معرضكِ الخاص. كنتِ ستفعلين ذلك خلال عامين. أي وسيلة أخرى ستستغرق وقتًا أطول.

سألت "إيفا" صديقتها وهي تنظر إليها بدهشة:

- لكن ماذا تعملين أصلًا؟

طوت "مايا" منديلها عدة مرات وهي تتحدث وهي تنظر إلى "إيفا" مباشرةً:

- لنقل إنها خدمة عملاء من نوعٍ ما. يتصل بي الناس ويحددون موعدًا، فأستقبلهم. الطلب كثير، وهذا المجال عميق جدًّا. أعمق من "خندق ماريانا". بكلمات بسيطة، أنا فتاة تحت الطلب. أو إن كنتِ تفضلين المصطلح القديم، "عاهرة".

احمرَّ وجه "إيفا". لا بدَّ أنها أساءت السمع. أو أن "مايا" تمازحها. لطالما كان مزاحها سيئًا.

- ماذا؟

- ابتسمت "مايا" بسخرية ونفضت رماد سيجارتها.

لم تستطع إيفا" منع نفسها من النظر برؤية مختلفة إلى الذهب والملابس الغالية والساعة والمحفظة المتخمة بالمال إلى جانب كوب القهوة على الطاولة. ثم نظرت إلى وجهها وكأنها تراها أول مرة.

قالت "مايا":

- لطالما كنتِ تنصدمين بسهولة.

- نعم، هذا صحيح. اعذريني، لكنكِ فاجأتني.

حاولت أن تتمالك نفسها، فالمحادثة أصبحت تسير في اتجاهٍ مجهول، وهي تحاول حساب الاحتمالات.

- حسنًا، لا أظنكِ تسيرين في الشوارع بحثًا عن زبائن.

- لا يا "إيفا ماري". لا أجوب الشوارع. ولا أتعاطى المخدرات أيضًا. أنا أعمل بجهد مثل باقي الناس، بخلاف أنني لا أدفع ضريبة دخل.

- كم شخصًا يعرف هذه الحقيقة؟

- زبائني فقط. وهم كثر. لكنَّ معظمهم زبائن دائمين. الوضع جيد جدًّا. العمل مزدهر والاتصالات تسير على قدمٍ وساق. لا أتباهى، لكنني لا أخجل أيضًا.

توقفت لحظةً ثم قالت وهي تسحب نفسًا من السيجارة:

- حسنًا، ما رأيكِ يا "إيفا"؟ هل تظنين أنه يجب أن أخجل؟

هزت "إيفا" رأسها. لكنَّ تخيلها لمهنة "مايا"، وتخيلها لنفسها إن كانت في مكانها، جعلها تشعر بالغثيان.

- يا إلهي. لا أعرف. هذا غير متوقع. لا أعرف سبب اضطراركِ إلى هذا.

- لست مضطرة إلى هذا. لقد اخترته.

- لكن تختارين شيئًا كهذا؟!

- الأمر بسيط. إنها أسرع وسيلة لكسب مالٍ كثير. ومن دون ضرائب.

- ماذا عن صحتكِ؟ واحترامكِ ذاتكِ، عندما تعطين نفسكِ أي شخص؟

- أنا لا أعطي نفسي أحدًا، بل أبيع خدماتي. بأي حال، يجب التمييز بين الحياة العملية والشخصية. لا أرى الأمر صعبًا.

ابتسمت، فلاحظت "إيفا" أن غمازتيها صارتا أعمق بمرور السنوات.

- لكن ماذا لو أحبكِ رجل واكتشف الأمر؟

قالت باختصار:

- سيكون عليه أن يتقبل الواقع أو يغادر.

- لكن أليس هذا عبئًا كبيرًا لتحمليه عامًا بعد عام؟ بالتأكيد لديكِ الكثير من الأشخاص الذين لا تستطيعين إخبارهم.

- أليست لديكِ أسرار؟ كل شخص لديه. إنه الأمر نفسه. أنتِ تصعِّبين الأمور، وتسألين الكثير من الأسئلة. أريد فندقًا صغيرًا على مدينة ساحلية إن أمكن، ربما "نورماندي". أفضل بيتًا قديم الطراز يمكنني تجهيزه بنفسي. أحتاج إلى مليوني كرونة. مع العام الجديد، سأكون قد حصلت عليها، وسأغادر.

رددت "إيفا" بصدمة:

- مليونان؟

- بالإضافة إلى أنني تعلمت الكثير.

- وما الذي يمكن أن تتعلميه من هذه المهنة؟

- الكثير. آهٍ لو علمتِ. أكثر مما تتعلميه من الرسم. وإن تعلمتِ شيئًا، فسيكون عن نفسكِ فقط. دائمًا أظن أن الفنان أناني قليلًا، لأنه يستكشف نفسه وليس المحيطين به.

- تتكلمين كوالدي.

- كيف حاله؟

- ليس جيدًا. إنه يعيش وحده الآن.

- لم أعرف. ماذا حدث لوالدتكِ؟

- سأخبركِ عن هذا في وقتٍ آخر.

حل الصمت بعضَ الوقت، وسرحت الاثنتان في أفكارهما. لو رآهما شخصٌ غريب، لما ربط بينهما أبدًا. يحتاج الأمر إلى عينٍ ثاقبة لترى الرابط بينهما.

قالت "مايا":

- بمصطلحات مهنية بحتة، أنا والعميل غريبان. لكن على الأقل أنا أكسب مالًا. هذا هو الهدف الأساسي من العمل، صحيح؟ لو أنني لا أستطيع شراء قطعة كيك في مقهى، فلن أنجو. أعني، ماذا عن احترامكِ ذاتك؟

ابتسمت "إيفا" لأنها استخدمت جملتها ضدها. لم تعد تستطيع التظاهر، فقالت بصراحة:

- تجعلينني أشعر أنني فاشلة. معي 104 كرونات في حقيبتي، وهناك فواتير مستحقة الدفع في الدرج في البيت. سيقطعون خط التليفون اليوم، ولم أدفع تأمين المنزل.

ثم أضافت بفخر:

– لكنني أنتظر بعض المال في أي يوم الآن. لقد طلبت منحة من مجلس الفنون.

– إذًا، أنتِ تتسولين؟

تبخر هدوء "إيفا" وقالت بانفعال:

– لا! يا إلهي، لا! سأحصل على هذا المال لأن عملي يعتبر مهمًّا وواعدًا! سيعطيني الفرصة للمواصلة والتقدم. عاجلًا أم آجلًا، سأقف على قدمي من جديد بفضل مهارتي الفنية!

أدركت مدى سوء وضعها. قالت "مايا":

– آسفة. أنا فقط لا أعرف المصطلحات المستخدمة هنا. إذًا، هذه المنحة تُعتبر شيئًا جيدًا؟

– طبعًا! إنها ما يتمناه الجميع.

– أنا لا أحصل على إعانةٍ من الحكومة.

قالت "إيفا" وهي تبتسم:

– سيكون مضحكًا لو فعلتِ.

– سأحضر المزيد من القهوة.

أخرجت "إيفا" سيجارة أخرى وتبعت "مايا" بنظرها. لم تستطع أن تتقبل حقيقة ما تفعله "مايا". كانت تظن أنها تعرفها جيدًا. لكن هل يمكنها حقًّا أن تربح مليونين؟ هل الأمر بهذه السهولة؟ فكرت بكل ما يمكنها فعله بمليوني كرونة. يمكنها أن تسدد كل ديونها، وتشتري معرضًا صغيرًا. لا، لا يمكن أن تجني مليونين. لقد كانت تبالغ على الأرجح. لكنها لم تكن أبدًا كاذبة. لم تكذبا على بعضهما أبدًا.

– هأنت ذا. أرجو ألا تتقيئي قهوتكِ بعد أن عرفتِ مصدر المال.

ابتسمت "إيفا" وقالت:

– لا، إنها لذيذة.

- هذا رأيي أيضًا. أتعلمين ما الغريب يا "إيفا"؟ نحن نتصرف وفقًا لاحتياجاتنا ورغباتنا. وعندما نحقق أهدافنا، نشعر برضا مؤقت فقط، ثم نبحث عن أهدافٍ جديدة. على الأقل أنا أفعل ذلك. هذا ما يشعرني بالحياة، بأنه يوجد ما يحدث وأن حياتي مستمرة. أعني، منذ متى وأنتِ محاصرة في الروتين نفسه؟ من الناحية الفنية والمادية؟

- منذ وقتٍ طويل في الواقع. عشر سنوات على الأقل.

- العمر يمر ولن يتوقف. وهذا ليس جيدًا. ماذا ترسمين؟ مناظر طبيعية؟

شربت "إيفا" بعض القهوة وهي تجهز دفاعها، وقالت:

- أرسم لوحات مجرَّدة، باللونين الأبيض والأسود ودرجاتهما.

أومأت "مايا" بصبر.

- لديَّ أسلوب مميز طوَّرته على مدى سنوات. أفرد القماش بالحجم الذي أريده. ألوِّنه بلون أبيض كأساس للوحة. ثم أضيف طبقة كثيفة من الرمادي الفاتح. وعندما يجف، أضيف طبقة داكنة أكثر. وأواصل هكذا حتى أصل إلى طبقة من الأسود الفاحم. وأتركها تجف تمامًا. في النهاية أقف أمام لوحة سوداء بالكامل، وأحاول استخراج الضوء منها.

استمعت لها "مايا" بتهذيب، وهي تواصل:

- بعدها أبدأ العمل.

بدأت تتحمس وهي تتحدث، فنادرًا ما تجد من يستمع لها. أحبت هذا الشعور، وأرادت أن تستغل كل لحظة.

- أبدأ باستخراج اللوحة من وسط الظلام من خلال خربشة الطبقة السوداء بأداةٍ معينة قديمة الطراز وفرشاة معدنية، أو ورق صنفرة وسكين. عندما أخربش برفق، أصل إلى الطبقة الرمادية. وعندما أخربش بقوة، أصل إلى الطبقة البيضاء وأستحضر الضوء.

- وما المفترض أن يرمز إليه ذلك؟

- لا أعرف إن كنت أستطيع الإجابة عن هذا السؤال. يجب أن يقرر المشاهد ماذا يرى. اللوحة تشكل نفسها من الظل والنور. أحب هذا الأسلوب. أظنه جميلًا.

ثم أضافت بتحدٍّ:

- أنا فنانة عظيمة.

- يا للغرور.

- لا. إنها القسوة الضرورية لتغذية النفس حتى تنتج، كما وصفها "تشارلز موريس".

- لا أتفق معكِ. صحيح أن الأمر يبدو مثيرًا، لكنه لا فائدة منه إن لم يرد أحد شراء اللوحات.

قالت "إيفا" بيأس:

- لا أستطيع رسم اللوحات التي يريدها الناس. يجب أن أرسم ما أريده أنا. وإلا لن يكون فنًّا. بل مجرد رسم لوحات روتينية ليعلقها الناس في بيوتهم.

قالت "مايا" مبتسمة:

- لديَّ بعض اللوحات في شقتي. أود أن أعرف رأيكِ فيها.

- من معرفتي بكِ، ستكون جميلة وملونة، فيها طيور وزهور وما شابه.

- هذا صحيح. هل يجب أن أشعر بالحرج منها؟

- ربما. خاصةً إن دفعتِ ثمنًا باهظًا.

- فعلت.

ضحكت "إيفا". قالت "مايا" فجأة:

- ظننت أن الرسامين يستخدمون فرشاة الألوان. ألا تستخدمينها؟

- أبدًا. الأسلوب الذي أستخدمه يعتمد على خربشة طبقات الألوان لإظهار الظلام والنور. يجب أن أستخرج اللوحة. إنه أمرٌ مشوق، لأنني لا أعرف ماذا سأجد. حاولت الرسم بالفرشاة العادية، لكن لم ينفع. شعرت

كأن الفرشاة بمنزلة طرف صناعي يمتد من ذراعي، من ثَمَّ لم تقترب يدي من اللوحة بالدرجة الكافية. كل شخص لديه أسلوبه الخاص، وأنا وجدت أسلوبي. لذلك لوحاتي لا تشبه لوحات غيري. يجب أن أواصل. عاجلًا أو آجلًا سيكتشفني شخصٌ ما. مثل صاحب معرض يُعجَب بأعمالي ويقرر إعطائي فرصة ويعرض لوحاتي في معرضٍ خاص. أحتاج إلى بضعة تقييمات إيجابية في الصحف، وربما لقاء صحفي. عندها سيتحسن حظي. أنا واثقة. لن أستسلم. مستحيل!

تكلمت بعنادٍ حسَّن مزاجها.

- ألا يمكن أن تعملي قليلًا؟ أعني في وظيفة عادية لكي تضمني دخلًا ثابتًا، وترسمين في المساء وأوقات الفراغ.

- هذا يعني وظيفتين بالإضافة إلى الاعتناء بـ"إيما"! أنا لست خارقة يا "مايا"!

- أنا أعمل في وظيفتين. عليَّ أن أكتب وظيفة عادية في الإقرار الضريبي.

- وماذا تعملين؟

- في ملجأ للنساء.

غرابة الموقف جعلت "إيفا" تضحك. فقالت "مايا" بإصرار:

- لا يوجد تضارب في المصالح. أنا أجيد عملي.

- لا شك في ذلك. أراهن أنكِ تحبين هذا العمل تمامًا. لكن لا أظن أن زملاءكِ يعرفون شيئًا عن عملكِ الآخر.

- طبعًا لا. لكنني أملك مهارات أفضل من معظم البنات. فأنا أفهم الرجال ودوافعهم.

واصلتا شرب القهوة ولم تهتما بما حولهما. الناس يأتون ويذهبون، الطاولات تنشغل وتفرغ، السيارات تتحرك في الشارع. هكذا كان الحال دائمًا، تنسيان العالم عندما تكونان معًا.

قالت "مايا":

- هل تذكرين عندما رششنا بخاخ الشعر على خلية نحل سيد "ستراند"؟ وأنتِ تعرضتِ للسع سبع عشرة مرة؟

ابتسمت "إيفا" وقالت:

- نعم، شكرًا للتذكير. وأنتِ دفعتني طوال الطريق إلى البيت في عربة بعجلات. وظللتِ تصيحين فيَّ لكي أتوقف عن الصراخ بألم. يا لها من أيام. ارتفعت حرارتي حتى واحد وأربعين. كان ذلك في الوقت الذي فكر أبي فيه في الرحيل بنا. بأي حال، لا أعرف كيف احتملتِني. لماذا لم تملِّي مني؟ أنا حتى لم أستطع جذب الفتيان.

- لا، لكنكِ اكتفيتِ بالفتيان الذين استطعتِ إيجادهم. لكن ربما لم يكونوا أفضل الموجودين.

- طبعًا لا. لقد أخذتِ أكثرهم وسامةً لنفسكِ، في حين كنت أحصل أنا على أصدقائهم. لكن لولاكِ لظللت عذراء على الأرجح.

نظرت إليها "مايا" وقالت بمديح:

- أنتِ جميلة يا "إيفا". ربما يجب أن تكوني عارضة للرسم بدلًا من رسامة.

- هاها! هل لديكِ فكرة كم أجرهم؟

- على الأقل لديهم أجر ثابت. بالتأكيد ما كنتِ لتجدي صعوبة في إيجاد زبائن لو وافقتِ على العمل معي. لم أرَ فتاة بساقين طويلتين مثل ساقيكِ. كيف تجدين مقاسكِ في البناطيل؟

قالت "إيفا":

- أرتدي تنورات فقط.

بدأت تضحك بهيستريا، فسألتها "مايا":

- ما الأمر؟

- هل تذكرين سيدة "سكولينبورج"؟

- تذكري شيئًا آخر!

حل الصمت بعض الوقت، ثم سألتها "إيفا":

- هل أنتِ مصرَّة على موضوع الفندق في "نورماندي"؟

- نعم، لا فائدة من البقاء هنا في هذا البلد ضيق الأفق.

- عندها سأخسركِ ثانيةً. لقد وجدتكِ للتو.

- عليكِ أن تأتي أيضًا. فرنسا هي البلد المناسبة لفنانة مثلكِ. صحيح؟

- تعلمين أنني لا أستطيع.

- ولماذا؟

- لديَّ "إيما". إنها في السادسة، تكاد تبلغ السابعة. لقد دخلت الحضانة.

- ألا تظنين أن الأطفال يكبرون في فرنسا أيضًا؟

- طبعًا، لكن لديها والد أيضًا.

- لكنها تحت وصايتكِ.

قالت "إيفا" بتنهيدة:

- نعم، نعم.

قالت "مايا" بخفوت:

- أنتِ تصعِّبين الأمور. لطالما فعلتِ ذلك. طبعًا يمكنكِ أن تأتي إلى فرنسا إن أردتِ. تستطيعين البقاء في الفندق. يمكن أن ترتدي منامة بيضاء وتحملي شمعدانًا وتسيري في الممرات ليلًا مثل الأشباح، فأنا أريد واحدًا في فندقي. أما باقي اليوم فارسمي كما يحلو لكِ.

أنهت "إيفا" قهوتها. وهلةً نسيت واقعها، لكنه عاد يؤرقها الآن.

- هل لديكِ خطط للعشاء؟

- لا أتناول العشاء أبدًا. آكل خبزًا وجبنًا فقط، فأنا لا أهتم بالطعام.

- هذا عجيب. لا أندهش أنكِ نحيفةٌ هكذا. كيف يمكنكِ أن ترسمي لوحةً جيدة إن لم تتغذي جيدًا؟ أنتِ تحتاجين إلى لحم. سنتناول العشاء. لنذهب إلى مطعم "هانا".

- لكن هذا أغلى مطعم في المدينة!

- حقًّا؟ لا داعي للقلق، كل ما يهم هو أن لديهم أفضل طعام.

- لقد شبعتُ من الكيك فعلًا.

- بحلول الوقت الذي يقدمون فيه الطعام، ستكونين قد هضمتِ.

استسلمت "إيفا" وتبعت "مايا" كما كان الحال دائمًا. "مايا" هي من تخرج بالأفكار وتتخذ القرارات وتقود الطريق، و"إيما" تتبعها.

الفصل السابع عشر

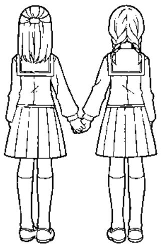

غادرتا "جلاسماجاسينيت" وهما تشبكان ذراعيهما، وتعبران الميدان وهما تشعران بدفء بعضهما كالماضي. لطالما رأت "إيفا" باب مطعم "هانا"، لكن لطالما كانت تجربته حلمًا بعيد المنال. والآن إنه مفتوحٌ لهما. دخلت "مايا" بابتسامةٍ واثقة. حاولت "إيفا" أن ترسم ملامح واثقة على وجهها. ابتسم لها رئيس النُّدُلِ ابتسامة تدل على أنه يعرفها، ابتسامة مجاملة. لو أنه يعرف طبيعة عملها، فلقد أخفى ذلك جيدًا، لأن ابتسامته لم تُظهِر شيئًا. لمس ذراعها برفق وقادهما إلى طاولة فارغة. اضطرت "إيفا" إلى ترك معطفها في غرفة المعاطف. كانت ترتدي تحته قميصًا أصفر، ولم تشعر بالارتياح. قالت "مايا":

- طلبي المعتاد يا "روبرت". لفردين.

أومأ وغادر.

أرجعت "إيفا" ظهرها إلى الوراء ونظرت حولها بدهشة. الجو هادئ لدرجة لم تعتدها من قبل. جلست "مايا" باسترخاء غير عابئة بما حولها.

سألتها "إيفا" بفضول:

- أخبريني قليلًا عن... عن... عملكِ.

مالت "مايا" برأسها وقالت:
– تشعرين بالفضول إذًا. توقعت أن تسألي. الناس لا يقاومون فضولهم أبدًا.
أبدت "إيفا" ملامح انزعاج. قالت "مايا":
– الموضوع تافه جدًّا. إنه يتحول إلى روتين بالتدريج.
فجأة نظرت إلى مفرش الطاولة بحرجٍ وقالت:
– دائمًا أندهش من الرغبة الجنسيةً للرجال. كم هم أقوياء وكم هو ضروري تهدئتهم، ومدى السرعة التي ينتهون بها. ربما يظنون أن هذا هو أفضل أسلوب للعلاقة الجسدية. أعني الأسلوب القوي العنيف، دون ملاطفة أو مداعبة. دون استعداد أو تساؤلات. عشر دقائق وينتهي الأمر. لا يوجد حتى وقت للتفكير. في الواقع، أبذل جهدًا كبيرًا لكيلا أفكر. أبتسم بأفضل مما يمكنني حين يدفعون الفاتورة. لكن في الواقع...
– نعم؟
– سأعتزل قريبًا. لقد أمضيت وقتًا طويلًا في هذا العمل.
– وكم قيمة الفاتورة؟
– نحو ألف. يدفعون مقدمًا، ثم يستمتعون لاحقًا. أستلقي مكاني وأغمض عيني وأبتسم، ولا أصدر صوتًا. لا قبلات أو عناق. دون ملابس، ويجب استخدام واقٍ ذكري. إنه مثل القمار. إن حالفكِ الحظ، يمطر المال عليكِ.
– ألف كرونة؟ وكم زبونًا في اليوم؟
– أربعة أو خمسة، وأحيانًا أكثر. خمسة أيام في الأسبوع، وأربعة أسابيع في الشهر. احسبيها أنتِ.
– في شقتكِ؟
– نعم.
وضع النادل جمبري ونبيذًا أبيض على الطاولة.
– أين تعيشين؟

- في المباني السكنية في "توردينسكيولدزجايت".

- ألا يشك جيرانكِ؟

- إنهم لا يشكون، بل يعرفون. معظمهم زبائن دائمين عندي.

تنهدت "إيفا" ومضغت قطعة جمبري. كان حجمه كبيرًا.

قالت "مايا" فجأة:

- عندي غرفة نومٍ إضافية.

قالت "إيفا" بسخرية:

- سأبدو مثل عذراء مرعوبة في الثانية عشر.

- في الأسبوع الأول فقط، ثم سيصبح مجرد عمل. يمكنكِ العمل بضع ساعات في حين تكون "إيما" في الحضانة. فكري في كل الطعام الذي يمكنكِ إحضاره لها.

- وزنها ثقيل بما فيه الكفاية.

- اشتري لها فاكهة إذًا، ودجاجًا وسلطة.

قالت "إيفا":

- على الرغم من صعوبة التصديق، لكن الأمر يبدو مغريًا. أنا فقط خائفة جدًّا. فهذه ليست طبيعتي.

فكرت في الأمر لحظةً ثم قالت:

- سنرى.

أفرغ النادل الطاولة وعاد فورًا بطبق من شرائح السمك المخلي والجزر والبروكلي والبطاطس. ثم صب لهما النبيذ الأحمر.

- ألا تعملين اليوم؟

- أخذت اليوم إجازة. لكنني سأعمل أكثر غدًا للتعويض. لنشرب!

شعرت "إيفا" بشريحة السمك تذوب على لسانها. كان النبيذ الأحمر بدرجة حرارة الغرفة، ويشبه قليلًا مشروب "كانيبا" الخاص بوالدها. فرغت أول زجاجة، وطلبت "مايا" أخرى.

قالت "إيفا" بدهشة:

- لكن لا أفهم كيف يمكنكِ بيع جسدكِ.

ردت ببساطة:

- هذا أفضل من بيع روحي. أليس هذا ما يفعله الفنانون؟ إن كان يوجد ما علينا الاحتفاظ به، فهي الروح. أما الجسد فمجرد حاوية تحملنا. إنه ليس بهذه الحساسية. ما المانع في مشاركته ما دام يمكن الاستمتاع به؟ أما الروح، فهي تحمل أحلامكِ ورغباتكِ وقلقكِ ويأسكِ، وتعرضينها على العالم أجمع، ثم تأخذين مالًا في المقابل. هذا ما أسميه دعارة حقيقية.

استاءت "إيفا" وقالت وهي تمضغ قطعة جزر:

- الأمر ليس هكذا.

- حقًّا؟ أليس هذا ما يقوله كل الفنانين؟ أنه يجب أن تتحلي بالشجاعة لتقفي عارية تمامًا؟

- من أين سمعتِ هذا؟

مسحت فمها بالمنديل وقالت:

- لست حمقاء لمجرد أنني عاهرة. إنها فكرة مغلوطة. تمامًا مثل الفكرة التي تقول بأن العاهرة امرأة بائسة لا تحترم ذاتها، وتترنح في الشوارع بجوارب خفيفة، ولا تحصل إلا على جنس عنيف يجعلها مستلقية بإنهاك باقي اليوم في حالة أشبه بغيبوبة المخدرات.

واصلت وهي تمضغ شريحة سمك:

- كل هذا مجرد جزء من العمل. العاهرات اللاتي أعرفهنَّ مجتهدات وذكيات ويعرفن ماذا يردن. أنا أتعاطف مع العاهرات، إنهنَّ ألطف سيدات يمكن أن تقابليهنَّ.

أشارت إلى النادل لكي يملأ كأسيهما مجددًا. تمتمت "إيفا" وقد بدأت تشعر بالثمالة:

- ومع ذلك أنا لست مناسبة لهذا العمل. لقد قلتِ إنني نحيلة جدًّا.

- ها! أنتِ رائعة جدًّا! ربما مختلفة قليلًا عن المعتاد، لكنكِ امرأة، وهذا يساوي كنزًا. هذا ما يريده الرجال. إنهم مباشرون جدًّا، أو على الأقل زبائني كذلك.

وصل طبق الحلو. مزيج بارد من الفراولة والتوت، على طبقة من الفانيليا الساخنة. أزالت الأوراق الخضراء للفواكه وهي تقول:

- أوراق خضراء في طبق الحلو؟ هذا غريب.

ثم أضافت:

- أنا لا أفهم الرجال. ماذا يريدون بالضبط؟

- امرأة ملفوفة القوام ودافئة القلب وشغوفة بالحياة. وبالتأكيد لا توجد نساء كثيرات بهذه المواصفات. أما النساء فلديهنَّ معايير مستحيلة. لا أفهمهنَّ مطلقًا. يبدون وكأنهنَّ لا يردن الاستمتاع. كنت أشاهد عرض موضة الخريف مؤخرًا على التليفزيون، حيث كانت العارضات يلبسن أحدث صيحة. "ناعومي كامبيل" - بالتأكيد تعرفينها - كانت ترتدي ثوبًا قصيرًا بالكاد يصل إلى فخذيها، وتتمايل بأنحف ساقين رأيتهما في حياتي. بدت المرأة وكأنها من البلاستيك. عندما أنظر إلى هؤلاء الفتيات، أتساءل إن كنَّ يذهبن إلى الحمام ويقضين حاجتهن كالبشر الطبيعيين.

انفجرت "إيفا" بالضحك حتى تناثرت الفانيليا على مفرش الطاولة. واصلت "مايا":

- ليس عليكِ الحياة بهذه الجدية. كلنا سنموت في النهاية. خلال مائة عام لن يتذكر أحد أي شيء. بعض المال لن يضرَّ. أنتِ تحلمين بأن تكوني فنانة عظيمة، صحيح؟

- أنا فنانة عظيمة، لكن لا أحد يدرك ذلك بعد. أنا ثملة جدًّا الآن.

بدأت تظهر عليها آثار الثمالة فعلًا.

- جيد. ستصل القهوة و"الكونياك" في أي لحظةٍ الآن. وتوقفي عن النحيب. عليكِ أن تنضجي.

سألتها "إيفا":

- هل تؤمنين بوجود إله؟

مسحت "مايا" الفانيليا عن فمها وهي تقول:

- مهلًا. أنا أنقذ الناس من اليأس، وأفعل خيرًا. أحب أن أرى الأمر من هذا المنظور. ليس كل رجل يجد امرأة تناسبه. ذات مرة زارني شاب صغير، يزيِّن جسده بالخواتم واللآلئ. في كل شبر من جسده حرفيًّا. كان يلمع تحت الضوء مثل شجرة كريسماس على الطراز الأمريكي. لم تعد الفتيات يرغبن فيه.

- وماذا فعلتِ معه؟

- جعلته يقضي وقتًا ممتعًا. وطلبت منه أجرًا أعلى قليلًا.

شربت "إيفا" "الكونياك" وأشعلت سيجارة لكن من الطرف الخطأ. قالت "مايا":

- تعالي معي لرؤية شقتي. أعطي نفسكِ فرصة لتخرجي من الحفرة التي دفنتِ نفسكِ بها. إنها مجرد مرحلة في حياتكِ. اعتبري الأمر تجربة جديدة.

لم تجب "إيفا". تجمدت تمامًا، وكأنها خائفة من شيءٍ غريب. لكن من المحتمل أن اقتراح "مايا" بدأ يتسلل داخلها لتقيِّمَه.

***

استلقت الفتاتان على سرير "مايا" الكبير. وأصيبت "إيفا" بنوبة من الفواق. سألت "إيفا":

- "مايا"، ما هو "خندق ماريانا"؟

- إنه أعمق بقعة في المحيط في العالم. أحد عشر ألف متر. تخيلي العمق. أحد عشر ألف متر!

- كيف تعرفين هذا؟

- لا أعرف. على الأرجح قرأت المعلومة في مكانٍ ما. بالمقارنة، فإن النهر القذر الذي يمر بالمدينة عمقه ثمانية فاصل ثمانيةً أمتار تحت الجسر الذي يعتبر أعمق نقطةٍ له.

- يا إلهي، أنتِ تعرفين الكثير.

ردَّت "مايا":

- لا أمضي وقت الفراغ القليل الذي أحظى به في قراءة مجلة "كوكتيل" كما تظنين.

- كنتِ تفعلين هذا.

- كان هذا منذ خمسة وعشرين عامًا. وأنتِ أيضًا كنتِ كذلك.

ضحك الاثنتان بشدة.

- "مايا"، إن اللوحات على جدرانكِ فظيعة. في رأيي "الدعارة الحقيقية" من الناحية الفنية هي رسم اللوحات لبيعها. دون اعتبار لشيءٍ آخر.

- الناس تحتاج إلى المال لشراء الطعام.

- القليل منه وحسب، أنا لا أحتاج الكثير.

- وتوجد فواتير الكهرباء والتليفون.

- نعم.

- سأعطيكِ عشرة آلاف كرونة وأنتِ مغادرة.

- ماذا؟

نهضت "إيفا" منتفضة، فأضافت "مايا" بسرعة:

- وستحضرين لي لوحة وأنتِ قادمة غدًا. لوحة جيدة تقدر بعشرة آلاف. سأشتري لوحةً منكِ. أشعر بالفضول نحو عملكِ. ربما ستكونين مشهورة يومًا ما، وربما يمكنني بيعها بسعرٍ أعلى في المستقبل.

- دعينا نأمل ذلك.

ابتسمت "مايا" برضا وقالت:

- ستتحسن الأمور بالنسبة إليكِ يا "إيفا". فقط انتظري. متى ستعود "إيما" إلى المنزل؟

- لا أعرف بعد. عادةً تتصل عندما تشبع من البقاء هناك.

- في هذه الحالة، يمكنكِ البدء غدًا. مجرد محاولة طبعًا. سأساعدكِ. فتوجد بعض الأشياء التي عليكِ معرفتها. سأرسل إليكِ سيارة أجرة. لِنَقُل في السادسة مساء الغد؟ سأتولى أنا أمر الملابس وما إلى ذلك.

- ملابس؟

- لا يمكنكِ العمل بهذه الملابس؛ ليست سيئة، لكنها ليست جذابة.

- ولماذا يجب أن أبدو جذابة؟

جلست "مايا" ونظرت إليها بدهشةٍ وقالت:

- أنتِ لستِ مختلفة كثيرًا عن باقي النساء. أراهن أنكِ تريدين رجلًا، أليس كذلك؟

ردت "إيفا" بإرهاق:

- نعم، أظنني كذلك.

- إذًا، عليكِ التوقف عن ارتداء ملابس تشبه فزاعة الغربان.

- يا لقدرتكِ على المجاملة.

- أنا أحسدكِ. فأنتِ راقية. أما أنا فلست سوى امرأة ممتلئة، بوجهٍ فاتن وجسد جذاب.

قالت "إيفا" لتذكرها بكلامها السابق:

- لا، بل أنتِ امرأة ملفوفة القوام ذات قلبٍ دافئ وشغوفة بالحياة. أليس لديكِ احترام لذاتكِ؟

- بل أملك ضعف احترامكِ لذاتكِ.

- كنت أتساءل فقط.

– أستطيع أن أتخيل الأقاويل التي ستنتشر كالنار في البلدة عن الرسامة طويلة الساقين. ربما ستسرقين زبائني مني وأضطر إلى التخلي عن مصدر رزقي.

– إن كان لديكِ ما يقارب مليوني كرونة حقًّا، فلن أشعر بالأسف عليكِ.

***

عادت "إيفا" إلى منزلها في سيارة أجرة دفعت "مايا" أجرتها. في الوقت نفسه استغلَّت الفرصة لتطلب سيارة أجرة للمساء التالي الساعة السادسة. عبثت بالمفاتيح ودخلت إلى مرسمها وبدأت تتفحص لوحاتها بنظرةٍ نقدية. كانت ثملة، لذلك تأثرت بها كثيرًا وشعرت بالرضا. استلقت على الأريكة ونامت بملابسها.

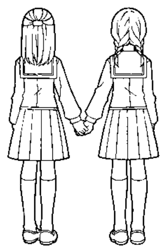

الفصل الثامن عشر

عندما استيقظت وقبل أن تشعر بدوار ما بعد الشرب، تذكرت ما كانت تحلم به. حلمت بـ"مايا". لكن لحظةَ أن فتحت عينيها، عاد الواقع إليها بوضوح ونهضت منتفضة. أدركت لدهشتها أنها نامت في مرسمها وبكامل ثيابها.

دخلت إلى الحمام واقتربت من المرآة غير واثقة في نفسها. كانت "الماسكارا" مضادة للماء، لذلك لم تذب. لكنَّ رموشها برزت من عينيها المحمرتين مثل عيدان قش محروقة. أما مسام بشرتها فكانت مفتوحة وخشنة وكأنما عضها ثعبان. زمجرت ثم فتحت الماء البارد. عمَّ كانتا تتحدثان؟ بدأت تتذكر ببطء، وقلبها يرتجف مع كل كلمة. "مايا"، "مايا" صديقة طفولتها وأعز صديقاتها التي لم ترَها منذ خمسة وعشرين عامًا، تعمل عاهرة! عاهرة غنية. تذكرت برعبٍ كيف أنهما ناقشتا إمكانية عملها معها لتسديد ديونها. كيف فكرت في هذا الاحتمال أصلًا! رشت الماء البارد على وجهها وزمجرت مجددًا ثم فتحت باب خزانة الأدوية وأخرجت علبة من المسكن. ابتلعت حبتين بالماء ثم خلعت قميصها وملابسها الداخلية.

قالت لنفسها: "ربما أجد بيرة في الثلاجة". شعرت أنها مرهقة جدًّا وغير قادرة على العمل. هذا يعني يومًا آخر دون إنجاز. استحمَّت وظلت تفرك جسدها طويلًا. شعرت بأن مفعول الأقراص بدأ يعمل. ارتدت رداء البيت، كان أسود وعلى ظهره تنانين صينية. ذهبت إلى غرفة المعيشة لتبحث عن سجائر في حقيبتها. فتحتها فوجدت أمامها رزمةً من المال. نظرت إليها بدهشةٍ ثم تذكرت أن "مايا" أعطتها إياها. عدتها فوجدتها عشرة آلاف كرونة. ما يكفي لدفع كل الفواتير المتراكمة في الدرج. هزت رأسها بعدم تصديق ثم ذهبت إلى مرسمها ونظرت إلى اللوحات مجددًا. توجد واحدة منها موضوعة وحدها على الأرض. متى أخرجتها من المجموعة؟

إنها على الأرجح أفضل واحدة لديها. معظمها أسود، مع شريط أبيض في المنتصف، وكأنها مقسومة إلى نصفين. ابتسمت عندما تخيلت ردَّ فعل "مايا" حين تدخل عليها بها. واصلت البحث في حقيبتها حتى وجدت علبة فيها سيجارة واحدة. أشعلتها وبحثت في الثلاجة. كانت شبه خالية. لا يوجد إلا زبدة وصلصة طماطم وزيت الصويا. زفرت ثم تذكرت فجأة رزمة المال وابتسمت. ما تحتاج إليه الآن هو بيرة باردة. لذلك ارتدت ملابسها وعلقت معطفها على كتفيها وخرجت إلى المحل الصغير القريب منها. يفتح محل "عمر" في الثامنة صباحًا، إنه المنقذ في التوقيت الصعب. ولا يرتاب حين يشتري منه أي شخص بيرة في وقتٍ مبكر. يقع المحل في منطقة البيوت المنفصلة، لذلك يبدو غريبًا في المكان في نظر الكثير من السكان، لكن وجوده يسعد "إيفا".

عندما دخلت المحل، ابتسم لها بأسنانه البيضاء. أخذت زجاجتين من البيرة من صندوق، بالإضافة إلى صحيفة وعلبة سجائر. فابتسم بتشجيعٍ، وقال:

- يا له من يومٍ جميل!

قالت "إيفا":

- ربما سيكون كذلك يومًا ما، لكن ليس اليوم.

- أنا متأكد أنه يومٌ جميل. لكن إن ساء الوضع، فلن تكفي زجاجتان لنسيان الهموم.

قالت وهي تأخذ زجاجة أخرى:

- أنت محق.

ثم ذهبت لتدفع الحساب، وتذكرت:

- أظن أنه لديَّ فواتير مستحقة هنا. سأدفعها أيضًا.

- يبدو أنه يومٌ جميل لي أيضًا!

أخذ يفتش في الصندوق الذي يضع فيه كشوفات حساب الزبائن، ثم قال:

- سبعمائة واثنان وخمسون كرونة.

اندهشت "إيفا" من المبلغ، فهو لم يذكره من قبل. ناولته ورقة بألف كرونة، ونظرت إلى الكتالوج الذي كان يتصفحه وسألته:

- هل يوجد ما يجذب؟

- نعم، كنت أشتري شيئًا لزوجتي. سيصل الطرد خلال أسبوعين.

نظرت "إيفا" وسألته:

- ما هذا؟

- مزيل للوبر. مفيد مع السترات ووسائد الأريكة. لا يوجد وبر في نسيج بلادي. لديكم خامات غريبة هنا.

قالت "إيفا":

- أحب الوبر. يذكرني بدمى الدببة القطنية القديمة. الدمية التي كانت لديَّ في صغري كانت مليئة بالوبر.

- نعم، نعم. إنها ذكرى سعيدة لكِ. لكن في بلادي لا توجد دمى الدببة القطنية. أيضًا.

***

كانت البيرة فاترة. وضعت زجاجة تحت الماء البارد ثم أمسكت دليل التليفونات لتبحث عن رقم "مايا" وتخبرها أن تنسى حديث السكارى بالأمس. فهي لم تكن في كامل وعيها. لم تجد حرارة في التليفون. طبعًا قطعوا الخط. أطلقت سبابًا بصوتٍ خافت ثم ذهبت إلى الحمام وجلست على المقعد ورفعت تنورتها. قالت لنفسها: "الآن أبدو كالعاهرات فعلًا. ربما هذه هي حقيقتي. ربما يمكنني البدء اليوم". انتهت وخلعت تنورتها وارتدت رداء البيت مجددًا. خرجت إلى الممر ونظرت إلى نفسها في مرآة الصالة لترى نفسها بالكامل. مجرد نظرة لن تضر.

تبلغ "إيفا" مترًا وثلاثة وثمانين سم، معظم طولها في ساقيها. وجهها نحيل وشاحب. عيناها باللون الذهبي، لكنه ليس داكنًا كفاية ليكون بنيًّا. المسافة بين كتفيها قصيرة، ورقبتها أطول من المعتاد. ذراعاها طويلتان، ومعصماها نحيلان. قدماها ضخمتان بمقاس واحد وأربعين. هذا محزن. جسدها نحيل، به بعض المنحنيات لكنها ليست أنثوية جدًّا. أما عيناها فجميلتان، على الأقل هذا ما كان يقوله "يوستن" دائمًا. إنهما واسعتان ومسحوبتان. المسافة التي تفصل بينهما مضبوطة. بعض المكياج البارع قادر على صنع العجائب، لكنها لا تفهم في هذه الأمور. تدلى شعرها الطويل حولها، إنه طويل وداكن وبه لمحة من الأحمر. مالت أقرب إلى المرآة. بدأ الشعر ينمو أعلى شفتها. ربما انخفض مستوى هرمون "الإستروجين" لديها. انفتح رداؤها، فسحبته إلى الجانبين لترى صدرها الصغير وبطنها المسحوبة وفخذيها الشاحبتين مثل وجهها. جرَّبت أن تميل بجسدها وتطوح رأسها ليتطاير شعرها. قالت لنفسها: "لو أن "مايا" يمكنها جمع الملايين بجسدها القصير الممتلئ، فأنا أستطيع فعلها بالتأكيد!". تخيلت رزمة المال مجددًا وفكرت في مصدرها وهزت رأسها، وكأنها لا تستطيع استيعاب ما حدث ليلة أمس.

أغلقت رداء البيت حولها وأخذت زجاجة البيرة من تحت الماء البارد. ما كانت لتفكر أبدًا أنه يمكنها فعل هذا. لكن ربما يمكن أن تعمل مدةً قصيرةً، حتى الكريسماس مثلًا، لكي تحل أزمتها المالية. شربت بعض البيرة واسترخت. قالت لنفسها: "أنا لم أتغير، بل اكتشفت جانبًا جديدًا لنفسي". شربت ودخَّنت وحلمت بمعرضها الصغير الذي سيكون إلى جانب النهر، ويفضل على الجهة الشمالي. معرض "ماجنوس". هذا يبدو جميلًا. فكرت في إضافة بعض الألوان إلى لوحاتها. ربما الأحمر الداكن. يمكنها أن تبدأ بخطٍّ صغير خفيف في اللوحة الأولى، وتزيده تدريجيًّا. شعرت بالإلهام. فتحت زجاجة أخرى، وفكرت في أن هذا هو ما كانت تفتقده. كانت تفتقد "مايا"! لكنها عادت الآن. فكرت بقناعة في أن كل شيء سيكون على ما يرام. إنها نقطة تحول في حياتها. عندما أنهت كل الزجاجات، نامت.

***

وصلت سيارة الأجرة في السادسة.

غلَّفت "إيفا" اللوحة بغطاءٍ قديم، ووضعها السائق بعناية في صندوق السيارة. قالت له:

– قد بعنايةٍ أرجوك. فاللوحة ثمنها عشرة آلاف كرونة.

أعطته العنوان في "توردينسكيولدزجايت"، وفجأة شعرت أنه يحدق إليها في المرآة. ربما يعرف "مايا". ربما كل رجل في الشارع قد نام معها فعلًا. عدَّلت تنورتها وشعرت بالتوتر. بدأت نشوة البيرة تتبخر والواقع يعود، لكن من العجيب أنه عندما ابتعدت "إيما"، وضعت "إيفا" دورها ومهامها كأم في درجٍ وأغلقته، وعادت إلى كونها "إيفا" فقط. "هذا أنا الآن، أنا "إيفا". لا يهمني ما يظنه الآخرون. سأفعل ما أريد". ابتسمت لنفسها. لاحظها السائق فبادلها الابتسام. قالت في سرها: "إياك أن تخطر على بالك أي أفكار. فأنا لست متاحةً بالمجان".

الفصل التاسع عشر

فتحت "مايا" ذراعيها واستقبلتها. لم تترك حفلة الشرب أثرًا على وجهها المستدير.

- تعالي يا "إيفا". لقد أحضرتِ اللوحة!
- ستفقدين وعيكِ من المفاجأة على الأرجح.
- أنا لا أفقد الوعي أبدًا.

فتحتا اللوحة وأسندتاها إلى الجدار.

- يا إلهي!

تفحصت "مايا" اللوحة بصدمةٍ وقالت:

- حسنًا، سأقول إنها مختلفة عن المعتاد. هل لها عنوان؟
- لا، لا بدَّ أنكِ تمزحين.
- لماذا؟
- لأنني بذلك سأقرر ماذا ترين فيها. وأنا لا أريد فعل هذا. يجب أن تري ما فيها بنفسكِ وتخبريني، ثم سأردُّ عليكِ.

فكرت "مايا" قليلًا ثم قالت:

- إنها صاعقة برق. هذا ما أراه.

- لا بأس. فهمت قصدكِ، لكنني أرى أشياء أخرى أيضًا. الأرض تنشق في أثناء زلزال. أو نهر يجري في المدينة ليلًا تحت ضوء القمر. أو حمم بركانية تسيل على منحدرٍ أسود. ربما ترين شيئًا آخر غدًا. بأي حال، هذا ما كنت أقصده أثناء الرسم. يجب أن تتخلصي من المفاهيم السالفة لديكِ عن الفن يا "مايا".

- سأحتفظ بنظرية البرق. فأنا لا أحب الأشياء المتغيرة والمتحولة. والآن حان دوركِ لتتخلصي من المفاهيم السالفة يا عزيزتي. لديَّ غرفة إضافية فعلًا. تعالي لتريها. هل أكلتِ؟

- شربت فقط.

- أنتِ أسوأ من الأطفال. ما زلتِ تحتاجين إلى من يطعمكِ. أتساءل هل يمكنكِ حتى أن تمضغي الطعام بنفسكِ إن أعددت لكِ شطيرة؟

أخذت "إيفا" إلى الغرفة الإضافية. كانت غرفة مظلمة فيها الكثير من اللون الأحمر في النسيج القطيفة والستائر السميكة. كان السرير ضخمًا، وظهره مزينًا باللون الذهبي. الأرض مغطاة بسجادة سميكة باللونين الأحمر والأسود، وتشعر أنها تنبض تحت قدميك وهي تسير عليها.

قالت "مايا" بتأكيد:

- إنها ألوانكِ المفضلة. ولديَّ رداء بيت أحمر من السهل خلعه. مصنوع من القطيفة الخفيفة.

ذهبت إلى آخر الغرفة وفتحت الستارة وهي تقول:

- انظري، يوجد حوض وكابينة للاستحمام.

نظرت "إيفا" في الداخل.

- يمكنكِ العمل هنا في حين أعمل في الملجأ. لقد طلبت صنع نسخة من المفتاح. هيا، يجب أن تأكلي.

- هل فعلتِ كل هذا اليوم؟

- نعم. ماذا فعلتِ أنتِ؟

- نمت.

- إذًا، ستعملين حتى وقتٍ متأخر.

- يا إلهي. لست متأكدة من أنني أجرؤ على هذا. أظن أن مرة واحدة ستكون كافية في أول مرة.

ثم تساءلت بخوف:

- "مايا"، هل يوجد الكثير من الأشخاص المخيفين؟

- لا، لا.

- لكن هل أحيانًا يقول أو يفعل شخصٌ ما شيئًا مقززًا؟

- لا.

- لكن ألستِ خائفة؟ عندما تكونين وحدكِ مع رجال أغراب ليلة بعد ليلة؟

- هم من يخافون لأن ضميرهم يؤنبهم. هم من اضطروا إلى خلق أكاذيب معقدة ليأتوا إلى هنا، وعليهم أن يأخذوا من أموال بيوتهم لكي يدفعوا الفاتورة. الذهاب إلى عاهرة هذه الأيام أصبح شاقًّا. أما في الماضي، كانت زيارة بيوت الدعارة هي دليل الرجولة. أنا لا أخاف أبدًا، فأنا محترفة.

قضمت "إيفا" الشطيرة ومضغت ببطء. إنها تونة بالليمون والمايونيز.

- هل يطلبون طلبات خاصة؟

- لا، نادرًا جدًّا. فهم يحصلون على كل المعلومات سالفًا قبل زيارتهم الأولى.

فتحت علبة صودا وشربت رشفة طويلة ثم واصلت:

- إنهم يعرفون أنني عاهرة محترمة، وأن الألعاب المنحرفة ممنوعة. كل من يأتي هنا تقريبًا هم من الزبائن الدائمين ويعرفونني. يعرفون القواعد ويعرفون الحدود. لو أساؤوا التصرف، فلن أسمح لهم بالعودة. وهم لا يريدون المخاطرة.

ثم تجشأت في نهاية المحادثة.

- هل يأتون وهم ثملون؟

– نعم، لكن قليلًا. عادةً يشربون كأسين قبل المجيء. معظمهم يأتي من بار "كينجز أرمز" في آخر الشارع مباشرةً. لكن الآخرين يأتون في وقت الغداء وهم يرتدون بذلات ويحملون حقائب رسمية.

– هل يرفضون الدفع؟

– لم يحدث هذا على حد علمي.

– هل ضربكِ أحد من قبل؟

– لا.

– لا أعرف إن كنت أجرؤ.

– لماذا تصعِّبين الأمر على نفسكِ؟

– لا أعرف. أسمع الكثير من الأقاويل.

– عندما لا يحصل الرجل على ما يريد، يغضب. صحيح؟

– صحيح.

– يأتون ليشتروا شيئًا يحتاجون إليه، ويحصلون عليه. ليس لديهم سبب لافتعال المشكلات. هل توجد مشكلة في النوم مع أحد؟

– لا. بخلاف أن معظمهم متزوج ولديه أطفال.

– من الطبيعي أن يأتي هؤلاء بالذات. فالمتزوجون لا يحصلون على ما يكفي من العلاقة الزوجية.

– أنا و"يوستن" كنا نحصل على كفايتنا.

– نعم، ربما في البداية، لكن كيف الحال بعد عشر سنوات؟

احمرَّ وجه "إيفا"، وواصلت "مايا":

– أم هل تظنين أن الفتيات عليهنَّ الحفاظ على أنفسهنَّ من أجل حب حياتهنَّ؟

قالت وهي وتشرب بعض الصودا:

– طبعًا لا. هل وقع أحدهم في حبكِ؟

- نعم، خاصةً الشباب. هذا لطيف، ويجعلني أبذل المزيد من الجهد من أجلهم. في الربيع الماضي جاءني شاب ذو اسمٍ رائع. مزيج من الإسبانية والفرنسية. "جان لوكاس كوردوبا". هل سمعتِ اسمًا بهذا الوقع من قبل؟ تخيلي أن يناديكِ أحدهم هكذا. هذا الشاب يمكن أن تتزوجيه من أجل اسمه الرائع، أليس كذلك؟ وهناك أيضًا "جوران"، لن أنساه طبعًا. كان بتولًا، لذلك اضطررت إلى إعطائه بعض الإرشادات أولًا. بعدها تأثر كثيرًا وشعر بالشُكر. ليس سهلًا أن يكون الشاب بتولًا في الخامسة والعشرين ويعمل ضابط شرطة. لا بدَّ أنه احتاج إلى شجاعة كبيرة ليأتي إلى هنا.

أنهت "إيفا" الشطيرة، وأفرغت كأسها، ثم أبعدت شعرها عن وجهها وسألتها:

- هل تتحدثون عن أي شيء؟

- نتبادل القليل من الكلام. عادةً الكلمات التقليدية نفسها كل مرة. أخبرهم ما يريدون سماعه. إنهم ليسوا متطلبين كثيرًا يا "إيفا". سترين بنفسكِ.

وضعت الزجاجة وقالت:

- إنها الآن السابعة إلا عشر دقائق. سيأتي أول زبون في الثامنة. لقد جاء من قبل. إنه من النوع الفظ، لكنه ينتهي سريعًا. سأنتهي منه ثم سأخبره إننا أصبحنا اثنتين وسنتقاسم الزبائن، وأننا في مجال العمل نفسه. عندها سيعرفون ماذا يتوقعون منكِ، وستحصلين على نوع الزبائن نفسه الذي يأتيني.

تنهدت "إيفا" وقالت:

- أتمنى لو أمكنني الاختباء في الدولاب ومراقبتكِ سرًّا لأتعلم كيف تجري الأمور. أصعب خطوة هي إيجاد الكلام المناسب.

- لا توجد مساحة كافية في الدولاب. لكن يمكنكِ أن تري بشكلٍ أفضل من فتحة الباب الموارب.

- ماذا؟

- لا يمكنكِ أن تقفي عند السرير، لكن يمكنكِ المشاهدة من الغرفة الأخرى. سنطفئ الأنوار ونوارب الباب قليلًا. عندها يمكنكِ إلقاء نظرة وفهم الأمور. تعرفين أنني لست خجولة أبدًا.

- يا إلهي. أحتاج إلى مشروب، فأنا أرتجف.

صنعت "مايا" مسدسًا بأصابعها وأطلقت النار عليها وهي تقول:

- إياكِ والتفكير في هذا! الكحوليات والمخدرات ممنوعة وقت العمل. فهي تجعل الأمور تخرج عن السيطرة يا "إيفا". لكن لاحقًا سنذهب إلى مطعم "هانا" ونأكل. أعدكِ بشيءٍ واحد؛ عندما تبدئين بجني المال، ستحبينه. عندما أريد شيئًا، أمدُّ يدي في برطمان النقود وأخرج رزمة. لديَّ مال في كل مكان، في الأدراج والدواليب والحمام والمطبخ والأحذية العادية وذات الرقبة. لم أعد أعرف مكانها من كثرتها.

شحب وجه "إيفا" وقالت:

- بالتأكيد لم تضعي مليوني كرونة في أرجاء الشقة؟

- لا، لا. بل أترك ما أحتاج إليه لمصاريفي اليومية فقط. أما معظم مدخراتي أخفيها في كوخ الإجازات.

- كوخ الإجازات؟

- كوخ أبي. لقد توفي منذ مدة، لذلك الكوخ ملكي الآن. لقد ذهبتِ إلى هناك مرة، ألا تذكرين عندما ذهبت مع مجموعة من الفتيات في رحلةٍ إلى هناك؟ على هضبة "هاردانجر"؟

- والدكِ توفي؟

- نعم، منذ أربع سنوات. يمكنكِ أن تتخيلي ما أصابه في النهاية.

لم ترد "إيفا" من باب الأدب. ثم قالت:

- تخيلي ماذا سيحدث لو اقتحم أحدهم المكان.

- المال مخبَّأ جيدًا. لن يفكر أحد في البحث هناك. بالإضافة إلى أن الأوراق المالية مسطحة ولا تأخذ مكانًا كبيرًا. لا يمكنني وضعها في البنك بأي حال.

قالت "إيفا" بتفلسف:

- المال ليس كل شيء. ربما تموتين قبل أن تصرفيه.

عارضتها "مايا":

- وربما تموتين قبل أن تعيشي حياتكِ أصلًا. لكن إن متُّ فجأة، يمكنكِ أن ترثيني. أريدكِ أن تأخذي المال.

- حسنًا، شكرًا. الآن أحتاج إلى أن أستحمَّ لأنني تعرقت من الخوف.

- اذهبي. سأحضر لكِ ثوبًا. هل أخبركِ أحد أنكِ تبدين جميلة في اللون الأسود؟

- شكرًا.

- لم تكن مجاملة. بل أعني أنكِ دائمًا ترتدين اللون الأسود!

ردَّت "إيفا" بحرج:

- فهمتُ. لا، لم يخبرني أحد بذلك. لكن "يوستن" لم يكن يحتمله.

- لا أعرف لماذا تعارضين الألوان.؟

- إنها تشتتني.

- عن ماذا؟

- عن الأشياء المهمة.

- وما هي؟

- أي شيء مهم!

تنهدت "مايا" وأفرغت الكؤوس والأطباق وقالت:

- الرسامون صعبو المراس.

ضحكت "إيفا" وقالت:

- صحيح. لكن على أحدهم أن يحمل مسؤولية إظهار عمق الوجود حتى يتسنى للآخرين أن ينعموا بالحياة السطحية.

***

دخلت إلى الغرفة المخصصة لها وخلعت ثيابها. سمعت "مايا" تدندن في الغرفة المجاورة وسمعت صوت شماعة الملابس. كانت غرفة "مايا" باللونين الأخضر والذهبي. ففكرت "إيفا" في بيتها ذي اللونين الأبيض والأسود. وأدركت الاختلاف الكبير بينها وبين "مايا".

كانت كابينة الاستحمام ضيقة، وفيها مرآة ضخمة معلقة على الجدار الأسود. عكست المرآة جسدها الطويل. من الغريب أنها شعرت وكأنها تخلَّت فجأة عن كل حقوقها في جسدها. بدأ البخار يتجمَّع على المرآة. وهلةً بدت شابة وناعمة، بالإضافة إلى اللون الوردي الذي انعكس عليها من الستائر المطبوع عليها أزهار. ثم اختفت صورتها بسبب البخار.

قالت لنفسها:

- لا يجب أن أفكر، بل فقط أن أفعل ما تخبرني به "مايا".

جففت نفسها وسارت إلى الغرفة التي بدت باردة مقارنةً بالحمام. دخلت "مايا" وفي يدها شيء أحمر. إنه رداء البيت. لبسته "إيفا".

- رائع. إنه ما تحتاجين إليه بالضبط. عليكِ بشراء المزيد من الملابس الحمراء. تبدين كامرأة حقيقية بدلًا من عمود إنارة حين ترتدين الأحمر. هل يمكنكِ التصرف بشأن شعركِ؟

- لا.

- حسنًا، يوجد شيء عليَّ أن أريكِ إياه. استلقي على السرير يا "إيفا".

- ماذا؟

- افعلي ما أقول. استلقي على السرير.

ترددت "إيفا" ثم ذهبت إلى السرير واستلقت في منتصف السرير.

- لا، على الطرف. في الجهة اليمنى، وإلا ستشعرين بالمفصلات من تحتكِ.

زحفت "إيفا" إلى الطرف.

- حركي يدكِ اليمنى إلى الأرض.

- ماذا؟

- أسقطي ذراعكِ إلى جانب السرير. هل تشعرين بشيءٍ صلب تحت السرير؟

- نعم.

- اسحبيه بقوة لأنه مثبت مكانه بشريطٍ لاصق.

حركت "إيفا" يدها تحت السرير. شعرت بشيءٍ طويل وناعم مثبت على جانب السرير. أمسكته وسحبته. إنه سكين.

- هل ترين هذا السكين يا "إيفا"؟ إنه سكين صيد، ماركة "بروسليتو". إن ظننتِ أنه يبدو خطيرًا، فهذا هو الغرض. إن حاول أي رجل إساءة التصرف، اسحبي السكين وهو يقف أمامكِ عاريًا وعضوه متدلٍّ. عندها سيهدأ فورًا.

تمتمت "إيفا" بتلعثم وقد بدأت تتوتر:

- لكنكِ قلتِ إن شيئًا كهذا لا يحدث أبدًا.

قالت بمراوغة:

- لا يحدث شيء فعلًا. مجرد محاولات مثيرة للشفقة.

انحنت وأعادت السكين إلى مكانه. لم تستطع "إيفا" رؤية وجهها وهي تواصل:

- أحيانًا قد يتمادى شخصٌ ما. فأنا لا أعرف الجميع. ولا تنسي أن الرجال أقوى منا بكثير.

عبثت بالشريط اللاصق وهي تضيف:

- أكاد أنسى أمر السكين. لكنني أتذكر بسرعة إن شعرت بشيء. هذا أكيد.

نهضت وعادت إليها ابتسامتها المعتادة.

- قد أكون متهورة، لكنني مستعدة دائمًا. هيا، تحتاجين إلى أحمر شفاه.

ترددت "إيفا" لحظةً ثم سارت على السجادة السميكة وهي تفكر. "هذا عالم مختلف، وله قواعده الخاصة. عندما أعود إلى البيت، سيكون كل شيءٍ كالمعتاد. سيكون لديَّ عالمان بينهما جدار فاصل".

الفصل العشرون

جلست بثبات على كرسي صغير خلف الباب. الغرفة غارقة في الظلام، لذلك لا أحدَ يمكنه رؤيتها من الخارج. استطاعت من مكانها أن ترى سرير "مايا" والطاولة المجاورة له والأباجورة الكبيرة المزينة بطيور الفلامنجو. عدا ذلك كانت الغرفة خافتة الإضاءة. انتظرت الجرس أن يرن مرتين قصيرتين كما هي الإشارة. الساعة الثامنة إلا خمسة. يقع المبنى في شارعٍ هادئ، لا توجد همسة في الخارج. لا تسمع سوى الصوت الخافت لمشغلِ الموسيقى. إنها أغنية لـ"جو كروكر". قالت "إيفا" إن صوته يصبح أجشَّ أكثر كل عام. يوجد صوت سيارة توقفت عند البناية مباشرةً. نظرت إلى الساعة مجددًا، باقٍ ثلاث دقائق، وعاد قلبها ينتفض. سمعت صوت غلق باب سيارة، ثم صوت باب المبنى. غمرتها رغبة مفاجئة في الذهاب إلى النافذة. رأت سيارة بيضاء مركونة بمحاذاة الرصيف تمامًا. إنها سيارة رياضية. كانت تنظر من فتحة صغيرة بين الستائر، لكن لديها نظر ثاقب للتفاصيل. إنها سيارة "أوبل". جميلة، لكنَّ الموديل ليس جديدًا. بدت مألوفة، فـ"يوستن" كان يقود واحدة مثلها عندما تقابلا منذ سنوات. عادت إلى الكرسي، ووضعت يدها في حجرها. رنَّ الجرس مرتين متتاليتين.

نهضت "مايا" وسارت عبر الغرفة. ثم استدارت فجأة ورفعت إبهاميها لـ"إيفا" قبل أن تذهب لتفتح الباب. حاولت أن تتنفس بهدوء. في الغرفة الكثير من الأغراض، لدرجة أشعرتها أنها تنطبق عليها. دخل رجل. لم تستطع رؤيته بوضوح، لكنه بدا في الثلاثينيات. قصير وممتلئ، شعره خفيف وناعم وطويل، ويربطه خلف رأسه. لم يكن الجينز يناسبه بسبب بطنه الكبير. إنها تكره الرجال الذين لا تناسبهم البناطيل بسبب بطونهم. "يوستن" كان كذلك. خلع الرجل سترته وألقاها بإهمالٍ على السرير وكأنه في بيته. لم تحب "إيفا" هذا التصرف، لأنه بدا وقحًا. ثم مد يده في جيبه الخلفي وأخرج ورقة نقدية ألقاها على السرير أيضًا. سمعت صوت "مايا"، لكنه كان منخفضًا جدًّا لدرجة أنها اضطررت للتركيز بشدة لتفهم ما تقول. اقتربت بحذرٍ من الباب بقدر المستطاع حتى تسمع. سمعتها تقول:

- كنت أنتظرك. تعال!

فكرت "إيفا" بإحباط: "صوتها ناعمٌ كالحرير. لا أستطيع التحدث هكذا". اقترب الرجل فجأة، فبدت "مايا" صغيرة مقارنةً به، مع أنه لم يكن طويلًا. لم يكن في الغرفة ضوء كافٍ، لكنها رأته يفتح رداء "مايا" الأخضر ويخلعه، فيسقط على الأرض. نظرت "إيفا" إلى جسد "مايا" الأبيض الملفوف، وإلى الرجل. لكنها لم تستطع رؤية التعبير الذي على وجهه. دارت الموسيقى بهدوء في الخلفية، وذهبت "مايا" إلى السرير واستلقت على ظهرها ببطء وذراعاها إلى جانبيها. تبعها الرجل. كان يرتدي قميصًا كاروهات، سرعان ما أخرجه من بنطلونه. لقد دفع الثمن وحان دوره ليأخذ البضاعة. وقد فعل. ركع إلى جانبها وبدأ يفتح حزامه. رأت "إيفا" ملابس "مايا" الداخلية السوداء، وفخذيها الممتلئين. لم يتحدثا مطلقًا. كانا يتحركان ببطءٍ معتاد، فلقد فعلا هذا كثيرًا ولديهما روتين محدد. فجأة

انطلق نحو هدفه. خلع حزامه، وسمعت "إيفا" صوت السَحَّاب ينفتح. صرَّ السرير وهو يتخذ موضعه. ظلَّت "مايا" ساكنة، وكذلك "إيفا".

رأت من شق الباب الرجل وهو يُنزِل بنطلونه ثم يخلع ملابس "مايا". ساعدته بأن رفعت مؤخرتها قليلًا باعدت بين ساقيها. عندها تغيَّر شيءٌ فيه. بدأ يتنفس بقوة، واعتلى "مايا" وهو يفتح ساقيها أكثر. بعدها أقحم عضوه. أدارت "مايا" وجهها جانبًا. لم تر "إيفا" إلا شعر الرجل اللزج ومؤخرته البيضاء وهي تتحرك بسرعةٍ متزايدة. بعدها بقليل رفع جسده وفرد ذراعيه وهو يميل برأسه إلى الخلف. أطلق أنينًا أجشَّ طويلًا ثم هدأ. استغرق نحو دقيقة قبل أن ينهار بذقنه على السرير. أنزل يده على الحافة، وأخذ يحركها على جانب السرير وكأنه يبحث عن موطئ يد. سمع صوت اصطدام بسيط، فمال ونظر إلى الأسفل.

رأته "إيفا" يحرك يده على السجادة وكأنه يسعى لشيءٍ ما. أدارت "مايا" رأسها، ورفعت حاجبيها الداكنين عندما نهض فجأة ممسكًا بالسكين الذي لمع تحت ضوء الصباح المزين بالفلامنجو. نظر إلى السكين بدهشةٍ ثم إلى "مايا" التي كانت تحاول النهوض. وضعت "إيفا" يدها على فمها لتكتم شهقتها. ساد صمتٌ تام على الغرفة بعض الوقت. انتهى "جو كروكر" من أغنية "Up Where We Belong" وصمت قليلًا استعدادًا للأغنية التالية. المنظر الذي شهدته عبر شق الباب كان كفيلًا بتجميد الدم في عروقها لدرجة أنها وجدت صعوبة في التنفس. ما زالت "مايا" عارية ومستلقية على السرير، وتراقب بحذر الرجل الذي يعلوها وهو عارٍ ويمسك بسكين. سأل بريبة:

- ما هذا بحق الجحيم؟

كان ينظر إلى "مايا"، لكنها كانت رقيقة ولطيفة مثلما كانت منذ أن وصل. إنها محترفة.

- مجرد وسيلة حماية بسيطة لامرأة وحيدة مثلي. فالكثير من الأشخاص الغرباء يأتون إلى هنا.

فكرت "إيفا": "حقًّا؟".

قال الرجل:

- حقًّا؟ أهكذا تفكرين فينا؟ ألم تكوني تفكرين في حشر هذا النصل في جسدي؟

ضحكت "مايا" وقالت:

- في الواقع، أنت من تحشر "شيئًا" آخر بداخلي.

كان راكعًا على السرير ومعه السكين ولم يتحرك. قال:

- لقد سمعت عن عاهرات يقتلن الناس هكذا.

نظر إلى السكين وأداره في يده، ثم نظر إلى جسده الأبيض العاري وكأنه يعجبه. قالت:

- شكرًا لك. لقد تلقيتُ أجري فعلًا. الآن عليك أن تترك هذا الشيء، فأنا لا أحب أن توجه السكين نحوي.

- وأنا لا أحب أن أجد سكينًا في السرير عندما آتي لأداء عملٍ نزيه. النساء مخادعات كالشياطين!

بدأ ينفعل، وعضت "إيفا" شفتها وتوقفت عن التنفس تقريبًا. حاولت "مايا" أن تنهض، لكنه دفعها إلى الأسفل.

قالت "مايا" بصوتٍ عالٍ:

- اهدأ الآن! لا تبالغ في الحساسية!

صرخ فيها:

- أنا لا أبالغ في الحساسية. بل أنتِ. هل تظنين أن الجميع يلهث خلفكِ طوال الوقت. اللعنة! سكاكين! هل لديكِ مسدس أيضًا؟

- بالتأكيد.

- أنتِ من النوع المريض بالشك. توقعت هذا.

- بل أنت المريض بالشك. ليس لديَّ سبب لأطعنك بالسكين. على الأقل لم يكن لديَّ وقتها. لكن هذا يكفي. ابتعد الآن وإلا ستدفع أكثر.

قال وهو يمسك بنطلونه ويعبث بالسَحَّاب:

- ها! سأغادر وقتما أنتهي وأريد.

- لقد انتهيتَ منذ وقتٍ طويل. يوجد آخرون ينتظرون.

- فلينتظروا. أنتنَّ العاهرات جشعات. لقد دفعتُ ألف كرونة مقابل خمس دقائق؟! هل تعرفين كم أستغرق لكسب هذا المبلغ في مصنع الخمور؟

قال "مايا" بملل:

- لا.

كانت تنظر إلى السقف و"إيفا" تنتظر بقلق وهي تكتم فمها.

تمتم بغيظ وهو يمسك حلية حزامه:

- عاهرات!

- هذا يكفي فعلًا! لا تأتي مجددًا! أنت لستَ مرحَّبًا بك. كان عليَّ قول هذا من البداية.

توقف وأومأ وهو يقول وكأنما أدرك الحقيقة فجأة:

- فهمت! هكذا الأمر إذًا! أنتنَّ ترحبن بنا حتى تفرغن جيوبنا، لكنكنَّ في الحقيقة تحتقرننا! أليس كذلك؟ يا إلهي، العاهرات هنَّ أكثر الناس إثارةً للسخرية!

نهضت "مايا" بصعوبةٍ بالغة على مرفقيها، وحاولت أن تسحب ساقيها لكن الرجل كان غاضبًا فمنعها. ضربته بمرفقها وعبرت من بين ساقيه وهي تمدُّ يدها إلى السكين وتجذبه بكل قوتها حتى أمسكت به. نهضت على ركبتيها ورفعت السكين والنصل يهتز. نظرت إلى الرجل الذي ما زال راكعًا على السرير وكأنه على وشك أن يقفز. شعرت "إيفا" أن ضفيرته تشبه قضيب ولد صغير. كانت تعضُّ على يدها بقوة لكيلا تفلت منها صرخة. لو أدار وجهه فقط، لرأى عيني "إيفا" تلمعان في الظلام خلف الباب الموارب. لكنه لم يفعل. بل أمسك وسادة ورفعها أمامه ليحمي

نفسه. نظر شذرًا إلى "مايا" التي كانت راكعة على السرير وترتجف وهي تحمل السكين. وسادة في مواجهة سكين. خيم صمتٌ قاتل.

دفنت "إيفا" وجهها بين يديها لكي تحاول إخفاء المشهد من عقلها. كانت مرعوبة من أن يراها الرجل فيأتي مندفعًا عبر الباب. ماذا سيفعل حينها يا ترى؟ أي غضب سيعتريه عندما يعلم أنها كانت جالسة في الظلام تراقبهما طوال الوقت؟ انكمشت مكانها كالتمثال، وعانت لتتنفس بهدوء. لاحظت أن "جو كروكر" بدأ أغنية أخرى، وهي "Woman Cries When A". وسط يأسها، شعرت بارتياحٍ شديد. ما حدث علَّمها أنها لن تستقبل أبدًا رجالًا أغراب في هذه الغرفة، ولنً تدعهم يخلعون ثيابها. ستنهي مسيرتها قبل أن تبدأ، وستقنع "مايا" بالتوقف أيضًا. "مايا" إنسانة محترمة وعطوفة، ومعها قرابة المليونين. عليها أن تكتفي بهما وترضى بفندقٍ صغير.

نظرت "إيفا" عبر الشق، ورأت الرجل نهض عن السرير أخيرًا وأخذ سترته. رأت مؤخرة رأسه وهي تدور في الغرفة وكأنه يريد التأكد من أنه لم ينسَ شيئًا. كتمت نفسها حين رأى أن بابها موارب. دقق النظر بضع ثوانٍ ثم استدار وغادر الغرفة. يوجد خطأٌ ما. فالمكان هدأ فجأة دون أي كلمة. رأتً قدميْ "مايا" على السرير بلا حَراك. والرجل لم يعد يماطل وفتح الباب بسرعةٍ وخرج.

لم تتحرك "إيفا".

كانت تنتظر "مايا" أن تناديها. شعرت بالغضب نحو "مايا" لأنها جرَّتها إلى هذه الشقة المشؤومة وقالت إنها آمنة. لكنها لم تسمع أي صوت قادم من السرير. أخيرًا نهضت وفتحت الباب، فأصبح بإمكانها رؤية كل شيء. جسد "مايا" الأبيض ملقى على السرير بشكلٍ مائل. كانت ساكنة تمامًا وهناك وسادة على وجهها.

لم تصرخ "إيفا"، فهذه خدعة معتادة وتقليدية من "مايا". إنها لا تتوانى عن شيء في سبيل خدعة مضحكة. شبكت ذراعيها وهزت رأسها وقالت:

- إن أدخلتِ هذا الرجل مجددًا، ستخسرين كل احترامي لكِ.

سمعت صوت سيارة، فذهبت إلى النافذة بسرعة ونظرت إلى السيارة التي تحركت من الرصيف إلى الشارع. إنها "أوبل مانتا"، مثل السيارة التي كان يملكها "يوستن". لمحت جزءًا من الرقم؛ "BL74...".

أطلقت الإطارات صريرًا غاضبًا وهو ينطلق. انعطف بالسيارة بحدة، وكاد يصطدم بلافتة على حافة الرصيف. ثم اندفع في اتجاه البار. تبعته "إيفا" بنظرها ثم استدارت وسارت إلى السرير وأزالت الوسادة. ثم صرخت.

كانت صرخةً مدوية خرجت عميقًا من حلقها مباشرةً. كانت "مايا" تحدق إلى السقف بعينينٍ مفتوحتين عن آخرهما، وأصابعها مفرودة على الغطاء. تراجعت "إيفا" برعب، واصطدمت بطاولة السرير، فتأرجح مصباح الفلامنجو بشدة. رفعت يديها تلقائيًا لتمنعه من السقوط. استدارت وركضت إلى النافذة لتنظر إلى الشارع الذي أصبح مهجورًا تمامًا بلا سيارات أو مارة. لكنها سمعت صوت مرور خفيف عن بعد. عادت مجددًا وانحنت وأمسكت كتفيها وأخذت تهزها بقوة، فانفتح فمها قليلًا. الآن أصبحت ملقاة على السرير بفمٍ مفتوح. بحثت حولها بيأس عن تليفون، لكنها لم ترَ واحدًا في أي مكان. أسرعت إلى الغرفة الأخرى، وبحثت على طاولة السرير وإلى جانب النافذة ثم عادت. لم يخطر في بالها أنها تضيء المزيد من الأنوار، وما زالت لم تجد أي تليفون. لم ترَ إلا نموذج سيارة رياضية حمراء لامعة على أحد الرفوف. إنه التليفون! أمسكته وكانت على وشك الاتصال بالشرطة، لكنها لم تتذكر رقم النجدة. لقد تغير الرقم مؤخرًا. سمعت هذا في الأخبار. الآن عليها أن تجد دليل تليفونات وتبحث فيه. لكنها لم تجد دليل تليفونات. أعادت التليفون وانهارت على كرسي. نظرت إلى ردائها الأحمر، وتخيلت الغرفة وهي تمتلئ برجال

الشرطة والمصورين بينما هي جالسة لا ترتدي شيئًا إلا رداء نوم أحمر مثل أي عاهرة.

نعم، مثل العاهرة.

ماذا ستقول؟ إنها كانت جالسة تشاهدهما من خلف الباب؟ تساءلت بذهول: "لماذا لم أفعل شيئًا؟". لأنَّ كل شيء حدث بسرعة. لأنها كانت خائفة من أن يكتشف مكانها، وأن يوجه غضبه إليها. كانت واثقة من أن "مايا" يمكنها تولي الموقف. لأن "مايا" محترفة. نهضت فجأة وذهبت إلى الغرفة الأخرى. وجدت ملابسها فارتدتها بسرعة. كانت تسترق السمع طوال الوقت. ماذا لو رنَّ الباب فجأة ووجدت زبونًا آخر؟ الفكرة جعلتها تجري إلى الباب لتتأكد من أنه مغلق بالقفل. ارتعشت أصابعها، فعانت لتغلق الأزرار. طوال الوقت كانت تلمح قدميْ "مايا" البيضاوين بطرف عينيها. "لا أحد يعرف أنني كنت هنا. لا أحد إلا "مايا". لو عرف أي شخص، "يوستن" أو الشرطة أو رعاية الطفل، سيأخذون "إيما" مني. سأعود إلى المنزل بسرعة وسأتظاهر أنه لم يحدث شيء. لا علاقةَ لهذا بي أو بحياتي. أنا لا أنتمي إلى هذه الشقة المليئة بالقطيفة". بحثت في الغرف بسرعة حتى وجدت حقيبتها ومعطفها الطويل. ثم أدركت فجأة أن بصماتها في كل مكان. توقفت مكانها بصدمة. لكن لما كانت ليست مسجلة في أي ملف لدى الشرطة، فلن يمكنهم تجريمها. أو هكذا ظنت.

توقفت عند السرير مرة أخرى ومالت عند ظهر السرير. كانت على وجه "مايا" ذبابة، طارت على جانب فمها ثم سارت على خدها واستقرت على جانب عينها وبدأت تفرك سيقانها الطويلة. نظرت إليها بيأس وحاولت أن تبعدها. لكنها واصلت العودة إلى وجهها وإلى خدها وتحت رموشها وعلى عينها.

وضعت "إيفا" يدها على فمها وجرت إلى الحمام. شعرت بغثيانٍ شديد، فانحنت بأقصى ما يمكن على الحمام لكيلا تُحدِث فوضى. ظلت تلهثُ وتتقيأ

مدةً طويلة حتى أصبح طعم فمها مرًّا. أطلقت الماء ثم كادت تذهب لتشرب كأسًا. لكنها انزلقت بسبب قيئها فسقطت وصدمت ذقنها بمقعد الحمام. انفتحت شفتها السفلى وعضت لسانها، فسال الدم منها. انهمرت دموعها وهي تفكر أنه ليس عليها النظر إلى "مايا" وإلا لن تخرج أبدًا. سحبت الكثير من المناديل وبدأت تمسح الأرض. بعض القيء تناثر على الجدران وعلى مقعد الحمام. واصلت المسح بالمناديل. كانت تلقي القليل من المناديل في الحمام وتطلق الماء قبل أن تتراكم لكيلا ينسد الحمام. لكنه انسد بأي حال بالمناديل التي تحمل قيئها وتقف في الصرف. استسلمت وذهبت إلى الحوض. شربت بعض الماء وحبستْ بعضه في فمها لكي يتوقف النزيف. أخيرًا عادت إلى الغرفة ثم وقفت وهي تدير ظهرها، وتساءلت إلى متى ستظل "مايا" ملقاة هكذا قبل أن يجدها أحد. ثم جلست.

كان المبنى هادئًا في المساء. لا داعي لتكون في عجلةٍ الآن. لو رنَّ الجرس، فستظل ساكنة مكانها. تساءلت إن كان يمكن اتهامها بالتورط في جريمة القتل، لأنها ظلت جالسة مكانها تشاهد ما يحدث. لو اتصلت بالشرطة وأخبرتهم كل شيء منذ لقائهما مصادفة في "جلاسماجاسينيت"، هل سيصدقونها؟ نظرت حولها إلى كل أغراض "مايا". لديها ذوق مسرف، وتحب الألوان. هناك سلطانية على شكل فراولة، ولها غطاء على شكل أوراق خضراء. كانت تستقر على طاولة صغيرة إلى جانب النافذة. نهضت "إيفا" ببطء، لا تعرف لماذا نهضت وذهبت إليه. فتحت الغطاء فوجدت الكثير من الأوراق المالية. استدارت ونظرت إلى "مايا" بسرعة، لكنها طبعًا لم ترها. كانت رزمة المال سميكة. لا بدَّ أنها عدة آلاف. نظرت حولها بحثًا عن أماكن سرية أخرى. لمحت مزهرية باللونين الأزرق والأبيض وبها ورد صناعي. رفعت الورد فوجدت رزمة مال أخرى. هناك علبة خياطة اتضح أنها مليئة بالنقود أيضًا. فجأة تذكرت الأحذية الطويلة

في الجزامة. خرجت إلى الصالة وفتحت الجزامة، ثم قلبت الأحذية الثلاثة فوقع المال منها.

تعرقت "إيفا" بشدة وهي تضع المال في حقيبتها وتواصل البحث. وجدت نقودًا في طاولتي السرير وفي خزانة الأدوية في الحمام. زاد غضبها تدريجيًّا وهي تضع النقود في حقيبتها. تجنبت النظر إلى جثة "مايا" تمامًا؛ حطَّمت صديقتها شيئًا في حياتها. كشفت جانبًا من طبيعتها لم تعرف عنه شيئًا، وكانت تفضل لو أنها لم تعرفه أبدًا. إنها غلطة "مايا"، وهي لم تعد في حاجةٍ إلى المال. امتلأت حقيبتها بالكامل بأوراق مالية فئة خمسين ومائة وألف كرونة. وضعت يدها على جبهتها لتمسح العرق. رن الجرس فجأة، فانزوت في ركنٍ صغير خوفًا من أن يراها من بالخارج عبر ثقب المفتاح. رنتان قصيرتان. "ذلك الرجل كان سيكون زبوني الأول". كتمت أنفاسها والتصقت بالجدار. رن الجرس مجددًا. عليها أن تنتظر قبل مغادرة الشقة الآن، فلا يمكن أن يراها أحد. لم تكن أبدًا جزءًا من هذا. إنه مجرد حادث. أخيرًا سمعت خطواته تتراجع إلى السلم ثم صوت باب المبنى يفتح ويغلق. نظرت إلى الساعة فوجدتها التاسعة إلا ربعًا. نظرت إلى "مايا" مرة أخيرة. لم تكن جميلة الآن، بفمها المفتوح وعينيها الجاحظتين. قالت وهي تبكي "إنها غلطتكِ". انتظرت خمس دقائق وظهرها للجثة، ثم فتحت الباب وتسللت خارجًا.

لم تقابل أحدًا على السلم. كان الجو مظلمًا ورطبًا عندما خرجت من باب المبنى واستدارت إلى يسارها. لم تتجه يمينًا إلى بار "كينجز أرمز"، بل يسارًا نحو الكنيسة البروتستانتية المنهجية، ومرت بمحطة البنزين ثم استدارت يسارًا عند شركة تأمين "جينسيديج فورسيكينج"، وسارت مع النهر وصولًا إلى الطريق الدائري. شعرت بالخدر والألم في لسانها، لكن النزيف توقف على الأقل. أمسكت حقيبتها بإحكام. واصلت السير أعلى التل بسرعةٍ ثابتة. أخفضت رأسها وكانت حريصة ألا تنظر إلى أي أحد.

يجب ألا تسير بسرعة. لا يجب أن ينتبه أحد لامرأة تسير بسرعة في المساء في ساعةٍ كهذه، فسارت ببطء. لا يوجد ما يريب في امرأة تتمشى في البلدة. لكن لحظةَ أن وصلت إلى الجسر انطلقت.

***

بعد ساعة، عادت إلى غرفة معيشتها وهي ما زالت تتشبث بحقيبتها. كانت منهكة بعدما سارت كل هذا الطريق، لكنها لم تجرؤ على إيقاف سيارة أجرة. كانت تلهث، وشفتها مجروحة. أرادت أن تجلس، لكن عليها أن تخفي حقيبتها أولًا. لم يعد بإمكانها أن تضعها على الطاولة كالعادة، فهي مليئة بالمال. يجب إخفاؤها. ربما يأتي أحد. بحثت عن خزانة أو درج، لكنها رفضت الفكرة وذهبت إلى غرفة الغسل. نظرت في الغسالة، ووجدتها فارغة، فوضعت الحقيبة فيها وأغلقت الباب. ثم عادت إلى غرفة المعيشة، وكانت على وشك أن تجلس، لكنها استدارت نحو المطبخ لتحضر بعض النبيذ. كانت الزجاجة مفتوحة، ملأت كأسًا كبيرةً وعادت. جلست تنظر عبر النافذة إلى الظلام والصمت في الخارج. شربت رشفتين كبيرتين ثم قررت أن تغلق الستائر فجأة، حتى لا يستطيع أحد رؤيتها. على الرغم من أنه لا يوجد أحد بالخارج.

أغلقت كل الستائر وكانت على وشك أن تجلس بكأسها، لكنها تذكرت فجأة أن علبة السجائر في حقيبتها في الغسالة. ذهبت إلى غرفة الغسل وأخذت السجائر. عندما عادت نسيت أنها في حاجةٍ إلى قداحة، فاضطرت إلى العودة. كان نبضها يتسارع طوال الوقت. وجدت القداحة، وفكرت أن عليها الجلوس أخيرًا، لكنها تذكرت أنها تحتاج إلى الطفاية. نهضت مجددًا وشعرت بأصابعها ترتجف. دخلت سيارة ببطءٍ إلى شارعها. فجرت إلى النافذة واختلست النظر عبر الستارة. إنها سيارة أجرة. قالت لنفسها إنها تبحث عن منزلٍ فقط. ذهبت لتحضر طفاية من المطبخ وتشعل سيجارة. استراحت عندما تذكرت أن خط التليفون مقطوع، فلا أحد يمكنه الوصول إليها الآن. والباب مغلق. سحبت

نفسًا من السيجارة، وتركتها في الطفاية. لو أطفأت معظم الأنوار، سيبدو وكأنها ليست في المنزل. تجولت في المنزل تطفئ الأنوار واحدًا تلو الآخر. حل الظلام تدريجيًّا، أما أركان البيت فأظلمت تمامًا.

أخيرًا، جلست على طرف الكرسي وهي مستعدة أن تنهض مجددًا في أي لحظة. فلديها إحساس مزعج أنها نسيت شيئًا. جلست تشرب النبيذ وتدخن وهي تتنفس بسرعة وباضطراب حتى شعرت بالدوار. حاولت أن تُخرِج أفكارها في شكل جمل. لكن كلما انتهت من بعضها، تدفق المزيد، فزاد ارتباكها. لذلك أخذت تشرب وتدخن أكثر. الساعة الحادية عشرة تقريبًا. ربما وجدوا جثة "مايا" فعلًا. ربما حاول أحد زبائنها فتح الباب ووجده مفتوحًا. لكنه لو كان رجلًا متزوجًا ولديه أطفال فعلى الأرجح سيهرب مثلها. فكرت بفزع أن العاهرة يمكنها أن تموت دون أن يهتم أحد. قد تظل مستلقية مكانها وقتًا طويلًا قبل أن يتحمل أحد مسؤولية الإبلاغ. ربما أيام أو أسابيع. إلى أن تفوح الرائحة العفنة في السلم ويتساءل الناس عن مصدرها. ذهبت إلى المطبخ وأحضرت المزيد من النبيذ. ستعود "إيما" إلى البيت قريبًا، وستعود حياتها إلى طبيعتها.

وقفت عند طاولة المطبخ وأنهت كوبها ثم ذهبت إلى الحمام. من الأفضل أن تذهب إلى السرير وتنام لكي يمر الوقت بسرعة. كلما مر الوقت أسرع، كان أفضل. نظفت أسنانها ونزلت تحت الغطاء. ربما ستتتبع الشرطة أثرها بأي حال، ومن الأفضل أن تفكر فيما ستقوله.

أغمضت عينيها وحاولت أن تنام، لكن ظلت تؤرقها أفكار جديدة. هل رآها أحد وهي تدخل إلى المبنى؟ لا تظن. ماذا عن مطعم "هانا" والمقهى في "جلاسماجاسينيت"؟ لا يمكنها أن تخفي حقيقة لقائها بها، فهذه مخاطرة كبيرة. سيكون عليها أن تصف ذلك اليوم بالتفصيل. ستقول إنهما تقابلتا

لتناول الطعام ثم ذهبتا إلى شقة "مايا". مالت نحو جدار غرفة المعيشة وقد تذكرت اللوحة فجأة.

يمكنها أن تقول إنها عادت إلى بيتها لتحضرها لها في اليوم نفسه. هل يجب أن تعترف بأنها كانت تعلم بأن "مايا" عاهرة؟ أليس من الأفضل أن تقول ما يمكن من الحقيقة؟ نعم، كانت تعرف لأن "مايا" أخبرتها طوعًا، فهما لم تخفيا أي أسرار عن بعضهما. أغمضت عينيها بالإجبار مجددًا لكي تهرب من أفكارها. لكنها تذكرت فجأة سيارة الأجرة التي طلبتاها. لقد أوصلها إلى "توردينسكيولدزجايت" ومعها اللوحة ملفوفة بغطاء. هل ستستطيع الشرطة تتبع ذلك الخيط؟ يمكنها أن تقول إنها أوصلتها لها وجلست معها قليلًا ثم اضطرت إلى المغادرة لأن "مايا" كانت تنتظر زبونًا. هكذا صار الأمر. تقابلتا صباح الأربعاء وشربتا قهوة معًا، فهما لم تريا بعضهما منذ خمسٍ وعشرين سنة. لاحقًا تناولتا العشاء، ودفعت "مايا" الحساب. أرادت أن تشتري إحدى لوحاتها، فأرسلت إليها سيارة أجرة في اليوم التالي لاصطحابها. هل رأت الرجل؟ هل سمعت اسمه؟ هل قابلت أي أحد على السلم أو في الشارع؟ لا، لا، لقد غادرت قبل موعده بكثير. إنها لم تعرف شيئًا عن هذا الرجل، ولم ترغب في المعرفة. فلقد ظنت الأمر مرعبًا ومخيفًا. "لا أعرف كيف ماتت؟ لا أعرف إلا ما قرأته في الصحف. يجب أن أقرأ الصحف وأستمع للراديو. لا يمكن أن أرتكب أي غلطة".

ظلت تحدق إلى السقف وهي تفرك يديها تحت الغطاء. متى تذاع أول نشرة في اليوم؟ السادسة؟ نظرت إلى الساعة التي أشارت إلى منتصف الليل تقريبًا. العقارب الخضراء كانت مفرودة مثل ساقي "مايا" المفرودتين على السرير. أخذت ترمش ثم فتحت عينيها، فالكوابيس تزاحمت لمهاجمتها. نهضت من السرير وذهبت إلى الحمام وارتدت رداء البيت ثم جلست في غرفة المعيشة. نهضت مجددًا وشغلت الراديو الذي كان يذيع موسيقى. قالت لنفسها: "من الأفضل أن أظل مستيقظة. هكذا سأظل على علمٍ بما يحدث".

الفصل الحادي والعشرون

"مقتولة في سريرها".

قرأت "إيفا" عناوين الأخبار على رف الصحف خارج محل "عمر" قبل أن تخرج حتى من سيارتها.

انتشر الخبر عبر البلاد خلال ساعات الليل القليلة. أسرعت لتضع النقود على طاولة الدفع، ثم عادت للسيارة لكي تفتح الصحيفة وتقرأها وهي ترتعش يداها.

"عُثِرَ مساء أمس على امرأة في التاسعة والثلاثين من العمر ميتة في سريرها. بدا أن المرأة تعرضت للخنق، لكن الشرطة لم تدلِ بأي تفاصيل، نظرًا لأن التحقيق ما زال جاريًا. لا توجد آثار للشجار في الشقة. ولا يوجد ما يدل على سرقة شيء. كانت المرأة معروفة لدى الشرطة بعملها في الدعارة. عثر عليها أحد معارفها من الرجال في العاشرة ليلًا. أخبر الصحافة أنه ذهب ليقيم معها علاقة لكنه وجد الباب مفتوحًا. دخل الشقة فوجد المرأة ميتة في سريرها. عندها اتصل بالشرطة فورًا. تقول إحدى النظريات إن أحد زبائنها قتلها، لكن الدافع مجهول. المزيد من التفاصيل في صفحتي 6 و7".

قلبت "إيفا" الصفحات لكنها لم تجد شيئًا إلا بعض الصور الكبيرة. صورة للمبنى مع علامة "إكس" على نافذة شقة "مايا". لا بدَّ أنها صورة

قديمة، فالأشجار ما زالت مليئة بالأوراق. وتوجد صورة للرجل الذي عثر عليها، لكنها ضبابية ومأخوذة من الخلف لكيلا يتعرَّفه أحد. وصورة لضابط الشرطة المسؤول عن القضية. رجل بقميص أزرق فاتح، ملامحه جادَّة، وخطا الشيب على شعره. إنه المفتش "كونراد سيير". يا له من اسم. ناشدت الشرطة كل من كان في المنطقة مساء الخميس أن يتواصل معهم.

طوت الصحيفة وفكرت. لو اكتشفت الشرطة أنها كانت مع "مايا"، لأتوا إليها بسرعة، ربما خلال اليوم. لو مضى أسبوع دون أن يظهروا، فستشعر بالأمان. لكن خطوتهم الأولى بالتأكيد هي التحقيق في أحداث الأيام الأخيرة ليعرفوا ماذا فعلت "مايا" ومن قابلت. حرَّكت "إيفا" السيارة وقادت ببطء عائدة إلى بيتها. بمجرد أن دخلت البيت قررت أن تؤدي بعض الأعمال المنزلية كغسل الملابس والترتيب وهي تفكر فيما ستقول. كانت غرفة الغسل تمتلئ بالملابس المتسخة، فبدأت تضعها في الغسالة. أخذت تتدرب مع نفسها: "أنا و"مايا" كنا أصدقاء طفولة، لكننا لم نتواصل منذ 1969 لأن عائلتي انتقلت إلى مكانٍ آخر. كنا في الخامسة عشر آنذاك".

وضعت مسحوق الغسيل في الغسالة وضغطت زر التشغيل.

"لم نرَ بعضنا منذ قرابة خمس وعشرين سنة. قابلتها في "جلاسماجاسينيت" عندما كنت ذاهبة إلى محل للألوان لكي أستبدل عبوة مثبت ألوان. ذهبنا إلى المقهى في الطابق الأول وشربنا قهوة".

ذهبت إلى المطبخ وملأت الحوض بالماء.

"ثم تحدثنا عن الماضي كما تفعل الفتيات. هل كنت أعلم إنها عاهرة؟ نعم، في الواقع لقد أخبرتني. ولم تشعر بالحرج من ذلك. دعتني إلى العشاء وذهبنا إلى مطعم هانا".

أضافت سائل تنظيف الصحون إلى الماء الساخن، ثم وضعت الكؤوس والأطباق في الحوض. بدأت الغسالة تمتلئ بالماء ببطء.

"بعد العشاء، ذهبت معها إلى منزلها. نعم، هذا صحيح، ركبنا سيارة أجرة. لكن لم أبقَ طويلًا. نعم، تحدثت عن زبائنها، لكنها لم تذكر أسماء أو أي معلومات. اللوحة؟".

أمسكت "إيفا" كأسًا ورفعتها إلى النور وبدأت تغسلها.

"نعم، إنها لوحتي. أو بالأحرى "مايا" اشترتها مني بعشرة آلاف كرونة. لكن فقط لأنها شعرت بالأسى عليَّ. لا أظنها أحبتها حقًّا. لم تكن تفهم في الفن على كل حال. في المساء التالي أخذت سيارة أجرة وذهبت لتوصيل اللوحة. شربت كوبًا من القهوة وغادرت سريعًا. فلقد كانت تنتظر زبونًا. هل رأيتُه؟ لا، لا، لم أرَ أحدًا. لقد غادرت قبل وصوله. فأنا لم أرغب في أن أكون عندها".

غسلت الكأس بالماء وأخذت غيرها. من المخيف أن ترى كَم كؤوس النبيذ المتراكمة بسبب شربها. بدأت الغسالة مرحلة الشطف. الأمر بسيط ولا يمكن الاشتباه بها في الجريمة. فالمرأة لا تقتل صديقًا، خاصةً إذا كانت امرأة مثلها. لهذا لا سبب لديهم للاشتباه بها. لا أحد يمكنه إثبات ما رأته.

لكن المال الذي أخذته...

سحبت نفسًا عميقًا وحاولت أن تهدأ. فجأة شعرت بفداحة ما فعلته. لقد أخذت مال "مايا". لماذا فعلت هذا بحق الجحيم؟ لأنها احتاجت إليه ببساطة؟ كانت تأخذ كأسًا أخرى عندما رنَّ الجرس فجأة. كانت الرنة قوية وتوحي بالخطر.

لا! لا يمكن! فزعت "إيفا" بشدة لدرجة أنها حطمت الكأس. بدأت يدها تنزف، واصطبغ الماء بدمها. مالت إلى الأمام نحو النافذة لتختلس النظر، لكنها لم تستطع رؤية من الطارق. لم ترَ إلا شخصًا يقف أمام باب بيتها. يا إلهي، من عساه يكون؟

رفعت يدها ولفتها بقطعة قماش لكيلا يتساقط الدم على الأرض. خرجت إلى الصالة وهي نادمة لأنها اختارت زجاجًا مصنفر للنافذة الصغيرة المجاورة للباب، فأصبح من المستحيل الرؤية عبرها. فتحت الباب لتجد رجلًا طويلًا ونحيلًا ورمادي الشعر. بدا مألوفًا. إنه يشبه ذلك الرجل في الصحيفة، الضابط المسؤول عن التحقيق في القضية. لكنه جاء مبكرًا عن المتوقع. إنه صباح الجمعة، لم تمضِ إلا ليلة واحدة، ولا يمكنهم اكتشاف الكثير فيها. لكنهم فعلًا...

قال الرجل:

- "كونراد سيير"، من الشرطة.

وقع قلبها في قدميها، وغصَّ حلقها حتى لم يصدر عنها صوت. وقف بلا حَراك ينظر إليها بتساؤل. وعندما لم تجب، أشار برأسه إلى قطعة القماش وسألها:

- هل حدث شيء؟

ردت وهي عاجزة عن تحريك قدميها:

- لا، كنت أغسل الصحون.

- "إيفا ماري ماجنوس"؟

- نعم، أنا.

نظر إليها بثبات وقال:

- هل يمكنني الدخول؟

"كيف وجدني؟ خلال بضع ساعات فقط..."

- نعم، طبعًا. كنت على وشك معالجة يدي. سأحضر ضمادة. كانت كأسًا رخيصة، لذلك لا يهم. لكنني أنزف كخنزير مذبوح. من المزعج أن يتناثر الدم على الأثاث، لأن إزالته صعبة. قلت إنك من الشرطة؟

تراجعت لتفسح له الطريق. شعرت أنها نسيت كل ما تدربت عليه. لكن عمومًا عليه أن يسأل سؤالًا أولًا لكي تجيب هي عنه. أفضل حل هو أن تقول أقل القليل. يكفي أن تجيب السؤال مباشرةً دون ثرثرة فارغة وإلا ظن أنها متوترة، وهذا حقيقي، لكن لا يجب أن يعرف.

دخلا إلى غرفة المعيشة. قال لها ببساطة:

- عالجي جرح يدكِ أولًا. سأنتظركِ هنا حتى تكوني مستعدة.

نظر إليها بإمعان ولاحظ شفتها المشقوقة المتورمة.

ذهبت إلى الحمام ولم تجرؤ على النظر إلى نفسها في المرآة خوفًا من الصدمة. أخذت لفة من الضمادات من الصيدلية وقطعت جزءًا منها، ثم لفته على الجرح وتنفست بعمقٍ ثلاث مرات. همست لنفسها: "أنا و"مايا" كنا أصدقاء طفولة". ثم عادت.

كان ما زال واقفًا، فأشارت إليه بالجلوس. في اللحظة التي تحدث فيها تذكرت بفزع أنه يوجد شيء مهم جدًّا نسيت التفكير فيه تمامًا. أرادت أن تفكر في حلٍّ بسرعة، لكن فات الأوان. لقد بدأ يتحدث فعلًا ولم يعد يمكنها التفكير.

- هل تعرفين "مايا دوربان"؟

اتكأت على ظهر الكرسي وقالت:

- نعم، نعم، أعرفها.

- هل مضى وقتٌ طويل منذ آخر مرة رأيتها فيها؟

- لا، لقد كان هذا بالأمس. مساء أمس تحديدًا.

أومأ ببطءٍ وقال:

- متى بالأمس بالضبط؟

- ما بين السادسة والسابعة على ما أظن.

- هل تعرفين أنه عُثِرَ عليها ميتة في شقتها في العاشرة مساء أمس؟

جلست "إيفا" ورطبت شفتيها بلسانها وابتلعت ريقها. "ظلت تتساءل: "هل كنت أعرف؟ هل سمعت بالخبر في هذا الوقت المبكر؟". فجأة وجدت نفسها تنظر إلى الصفحة الأولى في الصحيفة. فقالت:

- نعم، قرأت الخبر.

التقط الصحيفة وقلبها لينظر إلى ظهرها وقال:

- ليس مطبوعًا عليها عنوانكِ. هذا يعني أنكِ لستِ مشتركة في خدمة توصيل البريد. هل تخرجين لشراء الصحف بنفسكِ في الصباح الباكر؟

توجد هالة من القوة تحيط به. إنه من النوع القادر على جعل الحجر يتكلم. لا فرصة لها في الصمود أمامه.

- ليس يوميًّا، لكن أحيانًا.

- كيف عرفتِ أن سيدة "دوربان" هي القتيلة؟

- ماذا تعني؟

قال بهدوء:

- اسمها ليس مكتوبًا في المقال.

شعرت "إيفا" أنها على وشك أن تفقد وعيها.

- لقد تعرَّفت المبنى في الصورة. وهناك علامة على نافذتها. وعرفت من محتويات المقال أنها "مايا". فهناك تفاصيل مميزة.

مالت إلى الأمام وأشارت بإصبعها وهي تضيف:

- مكتوب أنها معروفة لدى الشرطة بممارسة الدعارة. وأنها في التاسعة والثلاثين. لذلك عرفت أنها هي فورًا.

- نعم. وماذا جاء ببالكِ وقتها؟ لحظةَ أن عرفتِ بمقتلها.

تسارع تفكير "إيفا" لتجد الكلمات المناسبة:

- أنها كان عليها الاستماع لنصيحتي. لقد حذرتها.

كان صامتًا. ظنت أنه سيواصل استجوابها، لكنه لم يفعل. نظر حوله في غرفة المعيشة وتفحص اللوحات الكبيرة باهتمامٍ معين. ثم نظر إليها مجددًا بعض الوقت دون أن يتكلم. شعرت "إيفا" بجسدها يتعرق وبيدها تؤلمها. قال:

- كنتِ ستتواصلين معنا لو لم آتِ إليكِ أولًا، أليس كذلك؟

- ماذا تعني؟

- لقد زرتِ صديقةً، وفي اليوم التالي تقرئين خبر مقتلها في الصحيفة. أظنك كنتِ ستأتين لكي تدلي بشهادتكِ، لمساعدة الشرطة؟

- نعم، طبعًا. لم أجد وقتًا وحسب.

- هل كان الغسيل أهم؟

كانت "إيفا" تنهار حرفيًّا أمامه. قالت بضعف:

- أنا و"مايا" كنا أصدقاء طفولة.

- أكملي.

كان اليأس يتملك منها. حاولت أن تتمالك نفسها لكنها لم تعد تتذكر القصة التي تدربت عليها.

- تقابلنا مصادفة في "جلاسماجاسينيت". لم نرَ بعضنا منذ خمسة وعشرين عامًا، لذلك ذهبنا لنشرب القهوة معًا، وأخبرتني عن مهنتها.

- نعم، إنها تمارسها منذ مدة.

كان صامتًا، لكنها لم تستطع الالتزام بخطتها في الاكتفاء بالإجابة عن الأسئلة فقط.

- تناولنا العشاء معًا مساء الأربعاء، وبعدها شربنا القهوة في بيتها.

- إذًا، ذهبتِ إلى شقتها؟

- نعم، في زيارة سريعة. أخذت سيارة أجرة تلك الليلة. وأرادت "مايا" مني أن أحضر لها لوحة أرادت شراءها. أنا رسامة، وهي ظنت أن هذه

المهنة لا فائدة منها لأنني لا أبيع شيئًا تقريبًا. وعندما قلت إنهم قطعوا عني خط التليفون، أرادت مساعدتي بشراء لوحة. فلديها الكثير من المال.

فكرت في المال الذي في الكوخ، لكنها لم تذكره له.

– كم دفعت مقابل اللوحة؟

– عشرة آلاف. هذه قيمة فواتيري.

قال فجأة:

– هذه صفقةٌ رابحة.

اتسعت عيناها بدهشة من ردِّ فعله.

– إذًا، طلبت منكِ العودة إلى منزلها مجددًا، وفعلتِ؟

قالت بسرعة:

– نعم، لكن لكي أوصل اللوحة فقط. ركبت سيارة أجرة. لففت اللوحة ببطانية و...

قال مبتسمًا:

– نعرف ذلك. مرت سيارة الأجرة رقم "F16" بكِ. يا لها من رحلة. كم بقيتِ هناك؟

عانت "إيفا" لتتماسك وهي تجيب:

– ربما ساعة. تناولت شطيرة ثم تحدثنا قليلًا.

نهضت لتبحث عن سيجارة. فتحت حقيبتها التي تركتها على طاولة الطعام، فوجدت نفسها تنظر إلى رزم الأموال. فأغلقتها بسرعة.

سألها وهو يعرض عليها علبة سجائر "برينس":

– هل تدخنين؟

أخذت سيجارة من العلبة ثم أخذت الولاعة التي وضعها على الطاولة أمامها.

– مرت سيارة الأجرة عليكِ في السادسة. هذا يعني أنكِ وصلتِ عند سيدة "دوربان" في السادسة وعشرين دقيقة، صحيح؟

- نعم. هذا صحيح على الأرجح. لكن لم أتأكد من الساعة.

سحبت نفسًا عميقًا من السيجارة ثم زفرت لتبدد بعض التوتر الذي يتزايد بداخلها. لكن بلا فائدة.

- وبقيتِ معها ساعة، أي غادرتِ في السابعة وعشرين دقيقة تقريبًا؟

- كما قلت، لم أكن أتفقد الساعة. لكنها كانت تنتظر زبونًا، ولم أرغب في الحضور وقتها. لذلك غادرت قبل موعده بكثير.

- ومتى كان موعده؟

- في الثامنة. لقد أخبرتني مباشرةً إن لديها زبونًا في الثامنة. إنهم يرنون الجرس مرتين، هذه هي الإشارة.

أومأ "سيير" وقال:

- ألا تعلمين من هو؟

- لا. لم أرد أن أعرف. كنت أرى أن عملها بشع ومقزز. لا أفهم كيف يمكن لها أو لأي شخص ممارسته.

- قد تكونين آخر من رآها على قيد الحياة. والرجل الذي جاء في الثامنة قد يكون القاتل.

شهقتْ وكأنها فزعتْ من الفكرة:

- حقًّا؟

- هل قابلتِ أي شخص في الشارع؟

- لا.

- في أي طريقٍ سرتِ؟

قالت لنفسها: "قولي الحقيقة بقدر المستطاع".

- إلى اليسار. مررت بمحطة بنزين "إيسو" وشركة تأمين "جينسيديج". ثم سرت مع النهر وعبرت الجسر.

- لكن هذا الطريق أطول.

- لم أرد المرور بالبار.
- لِمَ لا؟
- الكثير من السكارى يقفون خارجه في المساء.
هذا صحيح. إنها تكره المرور إلى جانب جماعات الرجال السكارى.
قال وهو ينظر إلى جرح يدها:
- فهمتُ. هل رافقتكِ حتى الباب؟
- لا.
- هل أغلقت الباب خلفكِ؟
- لا أظن. لكنني لم أنتبه للأمر.
- ألم تقابلي أي شخص على السلم أو الرصيف؟
- لا، لا أحد.
- هل لاحظتِ وجود أي سيارات مركونة في الشارع؟
- لا أتذكر.
- حسنًا. ماذا فعلتِ بعدما عبرتِ الجسر؟
- ماذا تعني؟
- أين ذهبتِ بعدها؟
- سرت حتى البيت.
- سرتِ حتى البيت؟ من "توردينسكيولدزجايت" إلى "إنجيلستاد"؟
- نعم.
- إنها رحلةٌ طويلة، أليس كذلك؟
- أظن هذا. لكنني أردت السير، فقد كان لديَّ الكثير لأفكر فيه.
- ماذا كان يشغل بالكِ ليستغرق كل هذه المسافة؟
- "مايا" وأحوالها. أعني ما اكتشفته عنها. كنا على معرفة وثيقة في الماضي. لم أتصوَّر أن تصبح هكذا. ظننت أنني أعرفها جيدًا.

كانت تتكلم بشرود وكأنها تكلم نفسها. ثم أطفأت سيجارتها بعنف وأرجعت شعرها خلف كتفها.

قال "سيير":

- إذًا، قابلتِ "مايا" صباح الأربعاء، وكان أول لقاء منذ خمس وعشرين سنة؟

- نعم.

- وذهبتِ إليها بالأمس في زيارة قصيرة ما بين السادسة والسابعة؟

- نعم.

- هذا كل شيء؟

- نعم، هذا كل شيءٍ فعلًا.

- ألم تنسي شيئًا؟

- نعم، نعم أظن.

نهض من على الأريكة وأومأ برأسه، ثم أخذ القداحة التي أصبحت تحمل بصمات "إيفا"، ووضعها في جيبه.

- هل بدت لكِ قلقة من شيء؟

- لا، بالتأكيد لا. كانت مرحة كالمعتاد. لم تكن تواجه أي مشكلات.

- وفي أثناء حديثكما، ألم تلمِّح إلى أي شخص يسعى خلفها؟ أو في صراعٍ معها؟

- لا، لا يوجد أي شيء من هذا النوع.

- هل تلقت أي مكالمات في أثناء وجودكِ معها؟

- لا.

- حسنًا، لن أزعجكِ أكثر من هذا. من فضلكِ، اتصلي بنا إن تذكرتِ أي شيء قد يكون مهمًّا. أي شيء.

- حسنًا!

- سأجعلهم يعيدون الاتصال إلى تليفونكِ فورًا.

- ماذا؟
- لقد حاولت الاتصال بكِ، لكن قال موظف الشركة إنكِ لم تدفعي الفاتورة.
- نعم، شكرًا لك.
- هذا ضروري في حال احتجنا إلى الاتصال بكِ مجددًا.
عضت "إيفا" على شفتها بارتباك، ثم سألت باهتمام:
- كيف عرفتم أنني كنت هناك؟
أخرج من جيبه مفكرة صغيرة بغلاف جلدي أحمر، وقال:
- من مفكرة السيدة "دوربان". مكتوب بتاريخ الثلاثين من سبتمبر: "قابلت "إيفا" في "جلاسماجاسينيت". وتناولنا العشاء في مطعم "هانا". وفي ظهر الصفحة كتبت اسمكِ وعنوانكِ.
يا للبساطة!
- لا تنهضي، سأخرج بنفسي.
انهارت جالسة وشعرت أن قواها قد خارت تمامًا. أخذت تفرك يديها في حجرها حتى عاد الجرح ينزف. سار "سيير" عبر الغرفة، وتوقف فجأة عند إحدى لوحاتها. ثم استدار إليها وسألها:
- ماذا تمثل؟
قالت بارتباك:
- لا أحاول عادةً تفسير لوحاتي.
- أفهم ذلك لكن...
أشار إلى لوحة تُظهر برجًا أبيض وسط الظلام، وقال:
- هذه تذكرني بكنيسة. وهذا الشكل الرمادي الصغير في الخلفية قد يكون شاهد قبر. إنه مقوَّس قليلًا، ويبعد بعض الشيء عن الكنيسة، لكن يمكنكِ ملاحظة الصلة بينهما.
أضاف ببساطة:

- هذه ساحة كنيسة، فيها شاهد قبر واحد. من المدفون هنا؟

نظرت "إيفا" إليه بدهشةٍ وقالت:

- إنها أنا على ما أظن.

سار نحو الباب وهو يقول:

- هذه أقوى صورة رأيتها في حياتي.

لحظةَ أن انغلق الباب، خطر على بالها أنه كان عليها ذرف بعض الدموع. لكن فات الأوان الآن. جلست ويداها في حجرها تستمع للغسالة. لقد بدأت دورة التجفيف، لذلك أخذت تدور بسرعةٍ متزايدة حتى بدا صوتها مثل أنين مشؤوم.

الفصل الثاني والعشرون

نفضت عنها الخوف، وبدلًا عنه بدأ يتصاعد بداخلها الغضب ببطء. كان شعورًا غريبًا، فهي لم تشعر بالغضب قط، بل الإحباط فقط. أخذت حقيبتها من على طاولة الطعام. فتحتها وقلبتها حتى وقعت منها النقود. معظمها من فئة مائة كرونة، والقليل منها من فئة الخمسين، وتوجد رزمة من فئة الألف. أخذت تعد وهي لا تصدق عينيها. إنها أكثر من ستين ألف كرونة! قالت "مايا" إنها مصاريفها اليومية. رتَّبت الأوراق النقدية وهي تهز رأسها. يمكنها أن تعيش على الستين ألف كرونة، ستة أشهرٍ على الأقل. لن يتأثر أحد بغياب المال، لأنه لا يعرف بأمره أحد. أين سيذهب لو لم تأخذه هي؟ إلى الدولة؟ راود "إيفا" شعور غريب أنها تستحقه. إنه لها. جمعت المال وربطته بشريط مطاطي بنظام. لم تعد منزعجة من أخذها المال. لا تعرف السبب، لكن كان يجب أن يؤرقها الأمر. فهي لم تسرق شيئًا من قبل، بخلاف برقوق سيدة "سكولينبورج". لماذا قد تترك المال ملقى في الأوعية والمزهريات وهي في أشد الحاجة إليه؟

بعد تفكيرٍ قصير، نزلت إلى القبو، وأخذت تبحث على طاولة الأدوات حتى وجدت علبة طلاء فارغة وقد جفت بقايا اللون فيها. لون أخضر لامع. وضعت رزمة النقود في العلبة وأعادت الغطاء مكانه ثم وضعت

العلبة تحت الطاولة. فكرت بدهشة: "إذا احتجت إلى شيء، سأمدُّ يدي في العلبة وآخذ بعض النقود، مثلما كانت تفعل مايا". عادت إلى الأعلى وهي ما زالت تفكر: "فعلت هذا لأنه لن يكتشفني أحد. ربما كلنا لصوص في طبيعتنا ولا ننتظر إلا فرصةً جيدة. وهذه كانت فرصتي الذهبية. لم يعد هذا المال ملكًا لأحد، وقد ذهب إلى شخصٍ يحتاج إليه بشدة. مثلي ومثل "إيما". و"مايا" ما زال لديها مليونان مخفيان في الكوخ". هزت رأسها وقالت لنفسها: "لا فائدة من التفكير في هذه المبالغ الكبيرة. لكن ماذا لو كان مخفيًّا بمهارة فلا يجده أحد؟ هل سيظل ملقًى هناك حتى يتعفن؟

قالت "مايا" إنها تريدني أن آخذ المال". ربما قالتها كمزحةٍ وقتها، لكنَّ الفكرة جعلتها تشهق. ربما قصدت كل كلمة قالتها حقًّا. توجد نظرية بدأت تتسلل إلى عقلها، لكنها نفضتها. لا أحد يعرف شيئًا عن هذا المال. من المستحيل أن تتخيل ماذا ستفعل بمبلغ كهذا. "لن ينجح الأمر أبدًا. لن أنجح في إخفاء ثروةٍ كهذه. حتى "إيما" ستبدأ في طرح الأسئلة لو وجدت كل هذا المال في متناول يديها فجأة. ستثرثر بذلك لـ"يوستن" الذي بدوره سيشك ويسأل، وربما ستخبر أبي أو أصدقاءها أو آباءهم. لهذا من الصعب أن تكون لصًّا. ستجد دائمًا من يشك فيك، خاصةً إن كان يعرف ظروفك الصعبة من قبل. والأقاويل تنتشر بسرعة. آهٍ لو تعرف "مايا" فيما تفكر الآن. ربما هي الآن في ثلاجة باردة، مع بطاقة هوية مربوطة في إصبع قدمها. مكتوب عليها: "دوربان، مايا"، تاريخ الميلاد 4/8/1954.

ارتجفت، لكنَّ الرجل الذي يربط شعره ذيل حصان لن يظلَّ طليقًا مدةً طويلةً. فهم دائمًا يقعون في قبضة الشرطة. إنها مسألة وقت ليس إلا حتى يضيقون عليه الخناق. ليست لديه فرصة في النجاة مع كل وسائل اختبار الحمض النووي "DNA" المتطورة، وهو فعلًا أقام علاقة مع "مايا" قبل قتلها. لقد ترك أثرًا قويًّا، بالإضافة إلى بصمات أصابعه وخصلات من شعره

وألياف من ملابسه، وكل هذه الأشياء التي قرأت عنها من قبل في روايات الجريمة. فجأة أدركت بفزع أنها أيضًا تركت الكثير من الآثار. سيعود الضابط إليها مجددًا بالتأكيد، وعليها أن تقول القصة مثلما قالتها أول مرة بالضبط. ربما سيكون الأمر أسهل في المرة الثانية. دخلت إلى مرسمها بعزم، ولبست رداء الرسم ونظرت بحدة إلى قطعة القماش السوداء المعلقة على الحامل. ستون في تسعين سنتيمترًا. مقاس مناسب، ليست كبيرة جدًّا أو صغيرة جدًّا. لديها ورق صنفرة وقوالب صلبة في الدرج. قصت قطعة من ورق الصنفرة ولفَّتها حول أحد القوالب، ثم أمسكته بيدها بقوة وحركته في الهواء بحركاتٍ مدروسة. بعدها نزلت على اللوحة بعنف.

هاجمت الجزء الأيمن بأربع أو خمس ضرباتٍ قوية. وصلت إلى طبقة الرمادي المتوسط، درجته تشبه لون الرصاص. لكنه كان فاتحًا في الأجزاء التي كان فيها القماش أشد سمكًا. تراجعت قليلًا وفكرت: "ماذا لو لم يجدوه؟ ماذا لو أفلت بفعلته؟ "أوبل مانتا"، رقم اللوحة "BL 74". هذا نوعها ورقمها، أليس كذلك؟ إنهم لا يقبضون على الجميع. كيف سيجدونه لو لم يكن مسجلًا في ملفٍ عندهم؟ حدث كل شيءٍ بسرعةٍ وصمت. لقد تسلل واختفى في ثوانٍ". لو أنها الوحيدة التي رأت السيارة، فلن يعرفوا أبدًا أنه كان يقود "أوبل مانتا". هذه السيارة ليست مألوفة هنا، ومن السهل تعقبها.

عادت تعمل على اللوحة، على الجانب الأيسر، بحركاتٍ أصغر لكن أقوى. "ماذا قال؟ لقد قال شيئًا عن عمله وعن الوقت الذي يستغرقه ليكسب ألف كرونة". تذكرت في عقلها ظهره ومؤخرة رأسه بشعره الناعم المربوط في ذيل حصان يصل إلى عنقه. "ألم يقل مصنع الخمور"؟

توقفت عندما وصلت إلى طبقة القماش البيضاء وأخرجت بصيص النور من ظلام اللوحة. وقع قالب الصنفرة منها على الأرض. نظرت إلى

الساعة وفكرت قليلًا ثم هزت رأسها بقوة. واصلت خدش اللوحة ثم نظرت إلى الساعة مجددًا وخلعت رداء الرسم وارتدت ملابسها وخرجت.

***

احتاجت السيارة إلى مجهود حتى تدور. زأرت بصخب ثم أطلقت غيمة من العادم الأسود وهي تغير السرعة وتخرج إلى الطريق. ربما عَبَر حدود السويد. ربما لديه كوخ يختبئ فيه الآن. ربما انتحر. وربما هو في العمل مثل أي شخص عادي، وكأن شيئًا لم يكن. في مصنع الخمور، وسيارته "المانتا" مركونة في الخارج.

جلست منحنية على المقود وهي تقود بسرعة. أرادت أن تعرف إذا كانت محقَّة. إذا كانت السيارة مركونة في الخارج فعلًا. إذا كانت موجودة حقًّا وليست من نسج خيالها. مرت بشركة الكهرباء وتذكرت الفواتير المستحقة. عليها ألا تنسى دفعها، فلديها المال الآن. لديها ما يكفي حتى لتركيب إطارات للوحاتها. لا أحد يشتري لوحات دون إطارات، ولا تفهم السبب. مرت بمطعم "سبايس جاردن" على يسارها وواصلت صعود المنحدر، ومرت بالضباط الكسالى التسعة المتمركزين في لجنة الطريق هناك. نزلت بالسرعة إلى اثنين وهي تفكر "إنه لا يعرف من أنا، ولا ماذا رأيت أصلًا. لكنه خائف، وسيكون حذرًا. عليَّ أن أحذر أيضًا". عبرت المطب الأول. "لو أنه ذكي، فسيواصل حياته وكأن شيئًا لم يكن. سيذهب إلى العمل، ويمزح مع رفاقه بسماجة في الكافيتريا". جاءتها خاطرة فجأة. "ربما لديه زوجة وأطفال".

قادت بحرص على المطبات لكي ترحم السيارة القديمة. أطلقت على الرجل سرًّا اسم "إلمر". إنه يناسبه، فهو سخيف. لم تتخيله بأي اسمٍ عادي، مثل "تريجفي" أو "كاري" أو "جينز". ليس بعدما رأته راكعًا على السرير خالعًا بنطلونه وممسكًا بسكينٍ حاد يلمع نصله. لا شيء عادي في هذا الرجل. هل يشعر بأي شيء الآن؟ هل يرتجف خوفًا أم هو غاضبٌ لأنه ارتكب شيئًا قد يكلفه الكثير؟ ما شعوره حقًّا؟

أسرعت "إيفا" وانعطفت في الطريق الدائري. مرت بمصنع المصابيح، ولاحظت رفَّ الصحف خارج المخبز. مكتوب في العناوين: "ماتت خنقًا". رأت الصحف نفسها موجودة في محطة بنزين "إيسو". انتشرت أخبار "مايا" في المدينة، وبالتأكيد "إلمر" قرأها إذا كان يتابع الصحف، وكذلك الجميع بالتأكيد. خففت السرعة عندما وصلت إلى "أوسكارزجايت"، ومرت بجوار بوابة مصنع الخمور ثم واصلت إلى حمامات السباحة وركنت السيارة في الخلف. ظلت جالسة مكانها بعض الوقت. كان مرآب مصنع الخمور واسعًا، وفيه الكثير من السيارات البيضاء. خرجت من السيارة وأغلقتها ثم سارت ببطء ومرت بجانب حمامات السباحة. شمت رائحة الكلور وواصلت إلى الجزء الخاص بسيارات المديرين بجانب بوابة المصنع الرئيسية. بالتأكيد لم يكن "إلمر" أحد المديرين. فملابسه لم توحِ بذلك، ثم إنه تذمَّر من الأجور.

سارت ببطءٍ حتى أصبح المرآب إلى يسارها. كان حوله حاجز، وتوجد ماكينة تعمل ببطاقات المرور وتنير بضوءٍ أحمر، وعلى يمينها لافتة كبيرة تقول إن المرآب تحت المراقبة، لكن لم تذكر أي نوع من المراقبة، وهي لم ترَ كاميرات في أي مكان. عبرت الحاجز واستدارت يسارًا. بدأت تبحث بنظام لأنه يوجد الكثير من السيارات. دقَّ قلبها بعنف. وضعت يديها في جيب معطفها وحاولت السير بهدوء، وبين حين وآخر تنظر إلى الشمس. رسمت على وجهها ابتسامة صغيرة في محاولة منها أن تبدو طبيعية ولا تثير الشكوك. رأت "هوندا سيفيك"، لكنها كانت لامعة بشكل مبالغ فيه، وكأنها خرجت من المعرض للتو. واصلت البحث في الصف نفسه، فعليها رؤية كل السيارات وأرقام لوحاتها. لكن يبدو أنها نست التحقق أكان يوجد من يلاحظها أم لا. هل يمكن لرجل أن يقتل شخصًا في المساء ويذهب إلى العمل في اليوم التالي مباشرةً؟ هل هذا ممكن؟ هذه سيارة "بي

إم دبليو" متهالكة وقذرة، وتوجد قاذورات على لوحة العدادات. وتلك سيارة "بيتلز" بلون أقرب إلى أصفر متسخ وليس أبيض.

وصلت إلى الصف الثاني، وشعرت بالقليل من دفء الشمس على الرغم من أنه ما زال أكتوبر. مجرد لمسة خفيفة على خدها. فجأة بدأت تستوعب ما تراه أمامها. غير معقول. لم تكن واثقة مما رأته. وكأنها ظهرت من العدم واختفت. وكأنها حلم مر بها سريعًا. "مرسيدس" بيضاء، "أودي" قديمة.. كانت تسير بساقيها الطويلتين بين السيارات ومعطفها مفتوح، وفجأة اعترض رجلٌ طريقها. كان يرتدي بذلة عمال كحلية اللون عليها الكثير من الشرائط العاكسة للضوء. إنه من الأمن.

- هل لديكِ بطاقة مرور؟

عبست "إيفا". إنه فتى مليء بالنمش لكنه ضخم الجثة.

- ماذا؟

- هذا مرآب خاص. هل تبحثين عن شيء؟

- نعم، سيارة. أنا لم ألمس شيئًا.

- عليكِ المغادرة. هذا المكان خاص بالموظفين فقط.

شعره أشقر ومدبب، ويبدو شديد الثقة بنفسه.

- أريد التحقق من شيءٍ ما. سألقي نظرة فقط. الأمر يهمني بشدة.

- مستحيل! هيا، سأصحبكِ إلى الخارج.

اقترب نحوها وهو يمد ذراعه بأسلوبٍ آمر.

- يمكنك أن تتبعني إن أردت. لا أريد سوى النظر إلى السيارات. فأنا أبحث عن رجلٍ معين. الأمر مهم. أرجوك. لديَّ فعلًا سيارة وبها مشغل أغاني.

تردد ثم قال:

- حسنًا إذًا. لكن بسرعة. وظيفتي هي إبعاد الأشخاص غير المسموح لهم بدخول المرآب.

واصلت السير بين صفوف السيارات وهي تسمع خطواته خلفها.

سألها بضيق:

- ما نوع السيارة؟

لم تجب. لا يجب أن يعلم "إلمر" أن شخصًا يبحث عنه. وهذا الجرو ذو البذلة الزرقاء سيخبره بالتأكيد.

أضاف الرجل:

- أعرف الكثير من الرجال الذي يعملون هنا.

"تويوتا تيرسيل"، "فولفو" قديمة، "نيسان صاني"...

سعل رجل الأمن وسألها:

- هل هو في خط الإنتاج؟ أم التعبئة؟

قالت باختصار:

- أنا لا أعرفه شخصيًّا، بل سيارته فقط.

- هل هو سرٌّ كبير؟

- صحيح.

توقف وأومأ، ثم شبك ذراعيه وهو يشعر بالحماقة. فامرأة وحيدة تقتحم ملكية خاصة وهو يتبعها ككلبٍ صغير. أي رجل أمن هو؟ تبخر جزء من ثقته بنفسه.

تجاوزها واستند على مقدمة سيارة وسألها:

- ماذا تريدين من شخصٍ لا تعرفينه؟

قالت وهي تبتسم بلطف:

- أفكر في خنقه.

- نعم، صحيح.

ضحك وكأنه فهم قصدها. التصقت بذلة العمال الزرقاء بجسده الرياضي بشكلٍ غريب. نظرت "إيفا" بين ساقيه إلى لوحة السيارة التي يستند عليها.

"BL 744". استدارت إلى السيارة المقابلة لها والتي كانت "جولف" فضية. سارت إليها ونظرت عبر النافذة. تبعها رجل الأمن وقال لها:

- صاحب هذه السيارة يعمل في الكافيتريا. لا أتذكر اسمه. إنه قصير وبدين وشعره مموج. هل هذا هو؟

ابتسمت له بصبر ثم استقامت وألقت نظرة سريعة على "الأوبل" البيضاء خلفه. استطاعت أن ترى اللوحة كاملة؛ "BL 74470". إنها "مانتا". لقد كانت محقَّة. إنها تشبه سيارة "يوستن" القديمة، لكن هذه أجمل وأجدد ويبدو أن صاحبها يعتني بها جيدًا. أطراف المقاعد حمراء. سارت نحو الحاجز بعدما رأت ما يكفي. لقد وجدته بسهولة. إنه عامل بسيط في مصنع خمور، يحمل في ضميره ذنب جريمة قتل. و"إيفا" تعرف ما يكفي لرميه في السجن خمس عشرة أو عشرين سنة في زنزانة صغيرة. غير معقول. بالأمس قتل "مايا"، واليوم ذهب إلى العمل وكأن شيئًا لم يكن. إنه ذكي. بلا شعور. ربما يتحدث عن جريمة القتل وهو يتناول ساندويتشًا في الكافيتريا. يمكنها أن تتخيله وهو يأكل ساندويتشًا، والمايونيز يلطخ شفتيه. ربما يقول: "هذا فظيع يا رفاق. أعني مقتل تلك المرأة. لا بدَّ أن العميل كان متحمسًا جدًّا". ثم سيشرب بعض الصودا ويتناول بعض الليمون والبقدونس قبل أن يقضم الساندويتش مجددًا.

خطر على بالها فجأة: "ربما الكثير منهم زار "مايا" فعلًا. وربما يشاركها الشعور نفسه، أنه لا يصدق ما حدث، فنفض الذكرى من عقله كأنها كابوس مزعج.

صاح رجل الأمن فجأة:

- تذكرت اسمه! صاحب السيارة "الجولف" اسمه "بينديكسين"، إنه من "فينبارك"!

لوَّحت له "إيفا" دون أن تستدير وواصلت السير. ثم توقفت مجددًا وسألته:

- هل يعملون في مناوبات؟

– من السابعة إلى الثالثة، ومن الثالثة إلى الحادية عشرة، ومن الحادية عشرة إلى السابعة.

أومأت مجددًا ونظرت إلى ساعتها ثم خرجت من المرآب ومرت بحمامات السباحة لكي تصل إلى سيارتها. أخذ قلبها ينتفض. كانت تحمل سرًّا خطيرًا ولا تعرف ماذا تفعل به. أدارت المحرك واتجهت إلى المنزل. ما زال الوقت باكرًا على الساعة الثالثة. يمكنها أن تنتظر خروجه ثم تتبعه لتعرف أين يسكن وهل كانت لديه زوجة وأولاد. غمرتها رغبة قوية في أن تجعله يعرف بأنه مُطارد! ليس أكثر من ذلك. لم تحتمل فكرة شعوره بالأمان، أنه نهض في الصباح وذهب إلى عمله كالمعتاد بعدما قتل "مايا" بلا أي سبب. لم تفهم لماذا فعل ما فعل. من أين جاءه كل هذا الغضب. وكأن السكين الذي وجده إلى جانب السرير أشد إهانة تعرض لها. لكنَّ القتلة ليسوا كباقي الناس.

تحركت بالسيارة لتسمح لدراجة بالمرور عن يمينها، وهي تفكر. لا بدَّ أن القتلة يعانون خللًا ما. ربما كان خائفًا من السكين. هل ظنَّ حقًّا أن "مايا" ستطعنه؟ تساءلت إن كان يمكن لمحامٍ ماكر إنقاذه من خلال إقناع القضاة إنه تصرف بهدف الدفاعٍ عن النفس. "في هذه الحالة سيكون عليَّ أن أظهر". لكنها رفضت الفكرةً بسرعة. لا يمكنها أن تقدم دليلًا بصفتها صديقة العاهرة. "أنا لست جبانة، ليس حقًّا. لكن عليَّ التفكير في إيما". ظلَّت تكرر هذا لنفسها مرارًا وتكرارًا. لكنها شعرت باضطرابٍ شديد، وكأن ألف نملة تزحف في عروقها. لا أحد يعرف شيئًا. من كان يتوقع أن شيئًا بهذه البشاعة قد يحدث لصديقتها العزيزة المقربة. من يتوقع أن أمرها قد ينتهي بخبرٍ في صحيفة.

الفصل الثالث والعشرون

رنَّ التليفون في حين كانت تغلق باب المنزل.

فزعت. لقد عاد التليفون يعمل. ترددت وهلةً ثم اتخذت قرارًا سريعًا ورفعت السماعة.

- عزيزتي "إيفا"! يا إلهي، أين كنت؟ أحاول الاتصال بكِ منذ أيام!

- الخدمة كانت مفصولة، لكنها عادت الآن. لقد تأخرت في الدفع.

قال والدها بغضب:

- أخبرتكِ أن تخبريني إن احتجتِ إلى شيء.

قالت ببساطة:

- لن أموت دون تليفون بضعة أيام. ثم إنك لست ثريًّا أيضًا.

- أفضل أن أجوع أنا بدلًا منكِ. أحضري "إيما" لكي أسمع صوتها البريء.

- إنها عند "يوستن" بضعة أيام. إنها إجازة الخريف. أخبرني، ألا يبدو صوتي بريئًا كفاية لك؟

- توجد نبرة تشوب صوتكِ بين حينٍ وآخر. ثم إنني أشعر بأنكِ لا تخبرينني إلا جزءًا بسيطًا من حياتكِ.

- نعم، هذا صحيح، لأنني أشعر بك أيضًا، فأنت لم تعد شابًّا كما تعلم.

- أظن أنه عليكِ المجيء قريبًا لكي نمازح بعضنا وجهًا لوجه. فأنا لا أجيد الرد في التليفون.

بدا في صوته أنه مصاب بالبرد.

- سآتي قريبًا. يمكنك أن تتصل بـ"يوستن" في أي وقت وتطلب التحدث مع "إيما". ولا أظنها بريئة تمامًا، فهي تشبهك كثيرًا.

- سأعتبر هذه مجاملة. هل سيشعر بالحرج إن اتصلتُ به؟

- لا، لا تمزح. إنه يحبك جدًّا. إنه خائفٌ من أن تكون غاضبًا عليه بسبب تركه إيانا. لذلك سيسعد إن اتصلت به.

- أنا غاضبٌ جدًّا فعلًا! بالتأكيد لم تظني غير هذا، صحيح؟

- لا تقل له هذا.

- لن أفهم أبدًا كيف تظلين وفية لرجلٍ هجركِ هكذا.

- سأخبرك يومًا ما ونحن نشرب كأسًا من النبيذ.

عاتبها باستياء:

- على الأب أن يعرف كل شيء عن أبنائه. أما حياتكِ فكلها أسرار.

ردَّت بخفوت:

- نعم، إنها كذلك يا أبي. لكن الحقائق المهمة تنكشف في الوقت المناسب.

- الوقت يكاد ينفد مني، فأنا شيخ.

- هذا ما تقوله دائمًا عندما تشعر بالأسف على نفسك. اشرب بعض النبيذ، وسآتي إليك. سأتصل وأبلغك متى. هل ترتدي "الخفين"؟

- هذا شأني، وسأتركِ تتساءلين. عندما تلبسين كالنساء سألبس كالشيوخ.

- اتفقنا يا أبي.

صمتا قليلًا، واستطاعت أن تسمع صوت أنفاسه. شعرت "إيفا" أنه قريبٌ جدًّا لدرجة أنها كادت تحس بأنفاسه الدافئة عبر التليفون. كان والدها هو المصدر الأساسي الذي تستمد منه قوتها. لكنها كانت تعلم أنه سيموت قريبًا، وسيختفي معه أي حب عرفته في الدنيا، وكأنما يسلخها أحد حية.

شعرت بالبرودة من مجرد التفكير.

– لا تبدين سعيدة يا "إيفا".
– سآتي قريبًا. لا أظن أن الحياة حلوة حقًّا.
– إذًا، يمكننا مواساة بعضنا.

أغلقت الخط وساد الهدوء. ذهبت إلى النافذة وأفكارها تعصف بها مهما حاولت التحكم بها. "ما الطريق الذي ذهبنا منه إلى الكوخ في آخر مرة؟ ألم نذهب عبر "كونجزبيرج" أولًا؟ كان هذا منذ زمنٍ طويل، أكثر من خمسٍ وعشرين سنة". قاد والد "مايا" بهما في شاحنةٍ. شربوا حتى الثمالة، وامتلأ العشب حول الكوخ بزجاجات الكحول. واضطروا إلى نشر بعض ملابسهم في الخارج ليلًا. "عبر "كونجزبيرج"، ثم على الجسر، وصعودًا نحو "سيجدال". أليس هذا هو الطريق؟ كوخ أحمر بإطارات نوافذ خضراء. كوخ صغير في مكان معزول. لكن الطريق طويل. نحو مائتي أو ثلاثمائة كيلومتر. لكن في سبيل مليوني كرونة. ما حجم المساحة التي يمكن وضع مبلغٍ كهذا بها؟ لو كان من فئات مختلفة، فمن الصعب أن تضعه في صندوقٍ أحذية مثلًا. وكيف يمكن أن تخفي مبلغًا كهذا في كوخٍ صغير؟ في القبو؟ أم المدخنة؟ أو ربما في الحمام الخارجي.

كانوا مضطرين إلى رمي الكثير من الطين ولحاء الشجر في هذا الحمام كلما استخدموه. هل خبأته في علب طعام فارغة في الثلاجة؟ "مايا" عبقرية بحق. لن يكون سهلًا على أي شخص أن يبحث عن المال. لكن من قد يبحث عنه؟ لا أحد يعلم بشأنه، ومن ثَمَّ سيظل في مكانه حتى يتحول إلى غبار. أم إنها قد أخبرت أحدًا آخر؟ لو أن الحال هكذا، فيوجد آخرون يفكرون مثلها الآن. يفكرون في المليونين ويحلمون.

عادت إلى المرسم وبدأت تكشط في اللوحة السوداء مجددًا. طقس أكتوبر لا يناسب التخييم في الأكواخ الجبلية بسبب ارتفاعها. لذلك ربما لا يوجد أحد هناك الآن، ويمكنها أن تذهب دون أن يراها أي شخص. يمكنها أن تركن السيارة

بعيدًا بعض الشيء وتسير على قدميها في الجزء الأخير من الطريق، هذا إن تذكرت الطريق أصلًا. بدأت تتذكر تدريجيًّا. تنعطف يسارًا عند محل أصفر اللون ثم تصعد الطريق المنحدر حتى تصل إلى مجموعة من الأشجار المتراصَّة وحولها الكثير من الأغنام. هناك أيضًا فندق للسياح وبحيرة كبيرة. يمكنها أن تركن السيارة هناك على الشاطئ. واصلت كشط اللوحة وهي تفكر في المليونين وتحلم بفتح مرسمها الخاص. لن تفعل سوى الرسم، ولن تقلق حيال المال أبدًا، ليس قبل عدة سنوات. ستعتني بوالدها و"إيما". وكلما احتاجت إلى مال، ستمد يدها في أي وعاء. أو يمكنها أن تضعه في صندوق ودائع.

لماذا لم تضع "مايا" المال في صندوق ودائع بحق الجحيم؟ ربما لأن صندوق الودائع له سجلات ويمكن تتبعه، ومالها لم يكن من مصدر قانوني بأي حال. كشطت "إيفا" بقوة أكبر. لو أرادت الحصول على المال فعليها أن تقتحم الكوخ. لا تظن أنها تجرؤ على اقتحام الكوخ. فخلع الباب بعتلةٍ حديدية أو كسر النافذة سيصدر صوتًا مسموعًا عن بعد. لكن لو لم يكن هناك أحد فلن تكون مشكلة. يمكنها أن تنطلق في المساء وتصل ليلًا، على الرغم من صعوبة البحث في الظلام. قد تستخدم مصباحًا. ألقت بورق الصنفرة، ونزلت إلى القبو ببطء. هناك مصباح تركه "يوستن" في درج طاولة الأدوات، لكنَّ ضوءه كان ضعيفًا جدًّا. مدت يدها إلى علبة الطلاء الفارغة التي خبأت فيها أموال "مايا" وأخذت بعضها.

صعدت السلم وارتدت معطفها. نفضت عنها وخز ضميرها، وصوت العقل الخافت الذي يحذرها. أولًا، ستدفع كل الفواتير. وثانيًا، توجد بعض الأشياء التي تحتاج إليها. إنه وقت الظهيرة. بعد ثلاث ساعات سينتهي "إلمر" من مناوبته وسيعود إلى سيارته. ارتدت "إيفا" نظارتها الشمسية ونظرت إلى نفسها في المرآة. شعر داكن، ونظارة داكنة، ومعطف. لا يمكن تعرُّفها بهذا الشكل.

كان في الميدان تاجر خردوات. لم تجرؤ على طلب عتلة حديدية، لكنها بحثت بين الرفوف عن شيء يصلح أن تحشره في شق الباب لتفتحه. وجدت إزميلًا صلبًا كبيرًا وذا نصلٍ حاد، ومطرقة ذات يد مغطاة بطبقة مطاطية. اضطرت إلى أن تسأله عن المصباح.

- فيم ستستخدمينه؟

ردَّت ببساطة:

- في الإضاءة.

نظرت إلى بطنه المنتفخة تحت المعطف، لدرجة أن الأزرار كانت مشدودة عن آخرها وعلى وشك أن تنقطع.

- نعم، أدرك هذا. لكنهم يصنعون المصابيح لأغراض مختلفة. أعني هل ستستخدمينه في العمل أم في السير ليلًا أم لإرساله إشارة؟

ردت بسرعة:

- في العمل.

أخرج لها مصباحًا ضد الماء والصدمات من ماركة "ماجلايت". كان طويلًا ونحيفًا، ويمكن تصغير وتكبير حلقة الضوء.

- هذا أفضل ما يمكنكِ شراؤه. عليه ضمان مدى الحياة. الشرطة الأمريكية تستخدمه. سعره أربعمائة وخمسون كرونة.

قالت بسرعة:

- يا إلهي! نعم، سآخذه.

- ثم إنه يصلح لضرب الناس على رؤوسهم. أقصد المقتحمين وما شابه.

عبست "إيفا". لم تكن واثقة إن كان جادًّا أم لا.

كلَّفتها المعدات كثيرًا، أكثر من سبعمائة كرونة. دفعت الحساب ووضعت المعدات في كيس رمادي من المحل. شعرت أنها مقتحمة منازل تقليدية. لا ينقصها إلا حذاء مطاطي وقناع للوجه. أدركت فجأة أنها لم تأكل. ذهبت إلى

المقهى الموجود في الطابق الأول من "ينسن مانوفاكتور". اشترت شطيرتين؛ واحدة سلمون مدخن وبيض، وواحدة جبن، وكوب لبن وقهوة. لم ترَ شخصًا تعرفه. في الواقع، لم تكن تعرف أحدًا أصلًا. لذلك كانت محاطة بالعديد من وجوه الناس الذين لا تعرفهم ولا يريدون منها شيئًا. وهذا أراحها كثيرًا. لديها الكثير لتفكر فيه. عندما انتهت ذهبت إلى المكتبة واشترت خريطة للطرق.

جلست على درجات سلم في منطقة مخصصة للمشاة، وإلى جانبها شاحنة "آيس كريم" وبدأت تبحث على الخريطة. وجدت الطريق بسرعة، وبدأت تحسب المسافة بشكل تقريبي. استنتجت أنها على الأقل مائتي كيلومتر، أي إنها تستغرق ساعتين ونصف من القيادة في كل الأحوال. لو غادرت في التاسعة، ستصل قبل منتصف الليل. هل تجرؤ أن تكون وحدها في كوخ في هضبة "هاردانجر" ومعها مطرقة وإزميل؟

نظرت إلى الوقت مجددًا. فلقد كانت تنتظر "إلمر" الذي تدوم مناوبته ستَّ ساعات، وبعدها سينتهي من أول يوم عمل له كقاتل. من الآن فصاعدًا سيعد الأيام ويراقب النتيجة في حين يمر الوقت. سيتنفس الصُّعداء في كل مساء عندما يذهب إلى سريره دون أن يُقبَض عليه. يومًا ما سترسل إليه تذكارًا لكي يفقد شعوره بالأمان ويظل مستيقظًا طوال الليل ينتظر وينتظر. سينهار تدريجيًّا، وربما يبدأ في الشرب حتى الثمالة، وأخيرًا يتغيب عن عمله. عندها ستنهار حياته بالكامل. ابتسمت "إيفا" بخبث. نهضت من مقعدها وذهبت إلى محل لأدوات الرياضة. اشترت سترة خضراء مقاومة للرياح وبها قلنسوة، وحذاءً رياضيًّا ماركة "نايك"، وحقيبة ظهر.

لم تشترِ هذه الأشياء من قبل قط. لكن إن كانت ستسير في الجبال ليلًا، فعليها على الأقل أن تبدو مثل مالكة كوخ. دفعت ما يقارب ألف وأربعمائة كرونة ثمنًا لهذه الأدوات بكل بساطة دون أن تتأثر ميزانيتها. كم تصبح الأمور سهلة حين لا تضطر إلى عدِّ كل كرونة تصرفها. فقط تُخرِج المال من جيبها

وتضعه على طاولة الدفع بكل بساطة. شعرت بمزيجٍ من الراحة والغرابة. وكأنها شخص آخر، لكنها كانت "إيفا" فعلًا، "إيفا" هيٍ من تصرف النقود بلا مبالاة. لم تكن تتوق إلى الرفاهية أو ما شابه، لم تهتم بها قط. كل ما أرادته هو العيش دون متاعب لكي ترسم في سلام. لم ترد أكثر من ذلك. أخيرًا ذهبت إلى البنك لتدفع الفواتير. الكهرباء والتليفون وضريبة السيارة والتأمين والضريبة العقارية. حشرت الإيصالات في حقيبتها وخرجت رافعةً رأسها.

عبرت الميدان وسارت إلى المقاعد المجاورة للنهر حيث شاهدت المياه القذرة وهي تندفع. كان التيار قويًّا. رأت علبة من الكرتون تندفع بسرعة مثل قارب بخاري مصغر، ربما كانت تحتوي على بقايا وجبة سريعة قبل رميها. ربما أصبح "إلمر" ينظر إلى الساعة الآن أكثر من عادته. لكن لم تسأل عنه الشرطة ولم تقبض عليه. لم يرَ أحد أي شيء. لذلك ظنَّ أنه سيفلت بفعلته. نهضت "إيفا" مجددًا وعادت إلى سيارتها. قادت إلى نادي السباحة وركنت في الجهة الأمامية لكي ترى بوابة المصنع. كان حارس الأمن ما زال يسير بين السيارات. خفضت رأسها وبدأت تتفحص خريطة الطرق. كانت الساعة الثالثة إلا ربعًا.

في النهاية، ظهرت مجموعة من ثلاثة رجال. توقف عند السيارة البيضاء ومرر يده في شعره. إنه غير مربوط الآن، لكنها ميزت جانبَ وجهِهِ وبطنَه الضخم. تحدث مع رفيقيه وهو يحرك يده ثم صافحهما بود.

وكأن شيئًا لم يكن.

كانوا يتحدثون عن السيارة. فهمت ذلك من إشارات أيديهم. كانوا يفحصون الإطارات. انحنى أحدهم وأشار تحت المبرد فيما هز "إلمر" رأسه بعدم الموافقة. وضع يده على سقف السيارة وكأنها إشارة لتأكيد ملكيته للسيارة. إنه من النوع المغرور الذي يستخدم لغة جسدٍ فظَّة. قادت "إيفا" السيارة ببطء وهي تفكر. ربما كان سريع القيادة وسيفلت منها بسهولة. فسيارته تبدو قوية وسيارتها متهالكة. لكنَّ المرور كان مزدحمًا في ذلك الوقت، فلا بأس. زأر محرك سيارته

بعنفٍ عندما أداره، فبدا المحرك قويًّا، ثم سرعان ما هدأ. لوَّح لرفاقه وهو يعبر البوابة ببطء. من حسن حظها أنه متجه يمينًا وسيمر إلى جانبها. لو أسرعت يمكنها أن تقود خلفه مباشرةً.

كان يرتدي نظارة شمس. نظر في المرآة عندما انطلقت خلفه. خالجها شعور بعدم الراحة، وحاولت الحفاظ على مسافة حذرة وقادت خلفه ببطء في الشارع الرئيسي المزدحم حتى خرجا من المدينة. مرَّ بالمستشفى والحانوتي، وانتقل إلى الحارة اليمنى من الطريق. كان يقود ببراعة وبسرعة. مرَّ بنادي الفيديو ودار السجلات. عندما اقتربا من "روزينكرانتزجايت"، نظر إلى المرآة ثم شغَّل الإضاءة الخاصة بالاتجاه نحو اليمين. لمحته في المرآة يتوقف عند مدخل بيت أخضر اللون، ثم خرج إليه ولد صغير. ربما ابنه. ثم دخلا إلى المنزل.

***

إذًا، هو يعيش في هذا البيت الأخضر في "روزينكرانتزجايت". ومن المحتمل أن لديه ابنًا في الخامسة أو السادسة. أي في عمر "إيما" نفسه.

هل يمكنه أن يواصل دور الأب بعد ما حدث؟ هل يمكنه أن يأخذ ابنه على حجره في المساء ويغني له؟ هل يمكنه أن يساعده في غسل أسنانه؟ بيده التي قتلت؟ لم تستطع الدوران حتى وصلت إلى المسار المخصص لممارسة الجري، فانعطفت بشكلٍ ساذج وعادت من الطريق الذي جاءت منه. أصبح البيت الأخضر على يسارها، وخارجه امرأة تقف وهي تحمل سلة غسيل. شعرها أشقر مصبوغ، كان مربوطًا ومرفوعًا على رأسها. امرأة بسيطة، من النوع الذي يفضله أمثاله. لقد نالت منه، وقريبًا ستحصل على مليوني كرونة.

الفصل الرابع والعشرون

كانت الساعة التاسعة مساءً عندما انطلقت بسيارتها. بعد ساعتين ونصف، كانت قد دخَّنت عشر سجائر لكنها لم تجد المحل الأصفر بعد. بدأت تشعر بالخدر في ساقيها وبالألم في ظهرها. فجأة تحولت الخطة إلى مخاطرة مجنونة، فالطريق حالك الظلام. مرت بقرية "فيجلي" وبالمقهى الذي يضع تمثال غول. عندما تركت المدن خلفها، بدأت أسماء الأماكن توقظ ذكرياتها تدريجيًّا. هذا صحيح، يجب أن يكون المحل على اليسار، ويجب أن يكون مضاءً طوال الليل كعادة المحلات. لكن كل شيء كان مظلمًا. لم ترَ منازل أو سيارات. الغابة تحيط بالطريق من الجانبين مثل جدران سوداء، وكأنها تقود في قاع وادٍ. كانت تشغل موسيقى على الراديو لكنها انزعجت منها بعد مدة. أين هذا المحل اللعين!

توقفت على جانب الطريق وأشعلت سيجارة أخرى وهي تفكر. لقد حلَّ منتصف الليل تقريبًا، وأصبحت متعبة جدًّا. ربما لن تجده. ربما كانت ذاكرتها تخدعها، فلقد مر وقتٌ طويل، أكثر من خمس وعشرين سنة. كانوا مجرد مراهقين آنذاك. لطالما كانت "مايا" هي قائدة العصابة، والآخرون يتبعونها كالأغنام. "إيفا" و"هاني" و"إينا" و"إلسا جرو". كانوا يسيرون وهم يحملون حقائب نوم قديمة خضراء اللون وعلب طعام محفوظ وسجائر وبيرة. ربما تهدَّم المحل القديم وبُنِي مكانه مركز تسوق. لكن ربما لن يبنوا مركز تسوق في قلب الغابة. عليها فقط أن تواصل القيادة.

أعطت نفسها فرصة للقيادة عشرين دقيقة إضافية، وإن لم تجد شيئًا ستعود. أو يمكنها أن تقضي الليلة في سيارتها وتواصل البحث في ضوء النهار. لكنها لم تحب فكرة النوم في المقعد الخلفي وسط هذا الخلاء. لم تكن واثقة من أنها تجرؤ على هذا. انطلقت بالسيارة مجددًا وأطفأت سيجارتها في الطفاية التي امتلأت عن آخرها. نظرت إلى الوقت مرة أخرى وأسرعت. تذكرت فجأة أن الطريق إلى هناك كان يمر على جسر، وكان يوجد الكثير من الماعز والأغنام. ثم كانوا يصعدون على منحدرٍ متعرج فيه منحنيات حادة. تُخلي هيئة الطرق في الشتاء الطريق حتى فندق السياح فقط، لذلك كانت "مايا" تضطر إلى مواصلة الطريق على الزلاجات. من حسن حظها أن الثلج لم يتساقط بعد، أو ربما تساقط أعلى الطريق فقط. ربما ستضطر إلى الخوض وسط الثلج في آخر الطريق. لم يخطر هذا على بالها. لم تكن "إيفا" كثيرة الخروج والتجوال، وشعرت بسخافة موقفها. أشعلت سيجارة أخرى على الرغم من أن كثرة التدخين أصابتها بالغثيان.

نظرت إلى الغابة الكئيبة بحثًا عن أي مصدر للنور، ثم شغَّلت مدفأة السيارة. كان الجو أكثر برودةً هنا بسبب الارتفاع الشديد! على الأرجح أن "إلمر" في السرير الآن وتهاجمه الكوابيس. أو ربما يجلس في غرفة المعيشة ويشرب ثالث كأس من "الويسكي" بعدما ذهبت زوجته إلى السرير منذ وقتٍ طويل لتنام بسلام تحت الغطاء. ليس سهلًا أن يستلقي في سريره وصورة "مايا" تطارده. بالتأكيد يتذكر حركة ساقيها وهي تركله وهو يكتم أنفاسها بالوسادة. بالتأكيد قاومته بشدة، فـ"مايا" كانت قوية. لكن الرجال أقوى بكثير، وهذا لم يتوقف عن إدهاشها قط. حتى إن لم يكونوا ضخام الجثة، يبدو الأمر وكأنهم مصنوعون من مادةٍ مختلفة.

أوقفت السيارة فجأة عندما لمحت نورًا في اليسار عن بعد. بعدها رأت اللافتة البرتقالية المألوفة للجمعية التعاونية.

ها هي الجمعية التعاونية، وهذا هو الطريق الذي يمر بالجسر. شغَّلت أضواء الإشارة في السيارة وعبرت الجسر، وقادت بحذر على الطريق الجبلي المنحدر على السرعة الثانية. بدأ نبضها يتسارع، وتخيلت الكوخ في عقلها. كوخ خشبي صغير، تصميمه بسيط ومتواضع، يضم ثروة لا تصدق. يا لها من قصةٍ خيالية. هذه الثروة هي السبيل لحياة الرفاهية. ليت "مايا" تراها الآن. لكانت وافقت على تصرُّفها. فهي تحب الأشخاص الذين يبادرون بالحصول على مباهج الحياة. بأي حال، ما كانت ترغب في أن يذهب مالها إلى الدولة. مليونان. أتساءل كم ستبلغ قيمة الضريبة المقدرة بستة أو سبعة في المائة من إجمالي المبلغ؟ لا، لن تضعه في بنك.

عضت شفتيها وهي تفكر أن عليها وضعه في القبو. لا يجب أن يعلم أحد عنه شيئًا. لا "إيما" أو أي شخص. ولا يجب أن تبدد المال من حولها بإسراف، أو حتى أن تتكلم وهي نائمة أو ثملة. فكرت في أن حياتها ستصبح أكثر تعقيدًا. واصلت سيارتها "الأسكونا" صعود المنحدرات دون أن تقابل "إيفا" أي سيارة أخرى. وكأنها أصبحت في كوكب آخر مهجور تمامًا. حتى الأغنام لم تكن موجودة. على الأرجح كان الجو شديد البرودة عليها، لكن "إيفا" لا تعرف الكثير عن هذه الأمور.

بعد خمس عشرة دقيقة، مرت بفندق السياح على يمينها. واصلت القيادة حتى أصبحت البحيرة على يمينها، وبحثت عن منعطف يأخذها نحو الشاطئ. لم تكن تثلج، والسماء كانت مشرقة وصافية، فبدت شاسعة جدًّا. وجدت على يمينها كوخًا كبيرًا، به نافذة مضاءة، فشعرت بالأمل. لكن عليها أن تحذر ما دام يوجد ناس. أصحاب الأكواخ الجبلية هم عادةً من سكان "أوسلو"، ويملكون هذه الأكواخ منذ عدة أجيال. وهم على تواصل مع بعضهم. "نعم، لقد رأينا سيارة تمر من هنا مساء أمس. في منتصف الليل تقريبًا. ليست سيارة مألوفة. "أماندسين" يقود "فولفو"، و"بيرتراندسين" لديه "مرسيدس ديزل". إنها سيارة غريبة عن المنطقة بالتأكيد. نحن واثقون".

قادت "إيفا" حول المنعطفات وهي تتبع البحيرة طوال الوقت. كانت هادئة وكأنها سطح زجاجي، وكانت تعكس النور بلمعان وكأنها مغطاة بالثلج. لمحت كوخًا صغيرًا بالقرب من الضفة، وافترضت وجود طريق يؤدي إليه. كان الطريق متعرجًا بشدة. اتجهت نحو البحيرة مباشرةً وهي تنظر حولها طوال الوقت، لكنها لم تستطع رؤية أنوار في أي مكان. لم تتوقف حتى وصلت إلى ضفة البحيرة. كان ممكنًا أن تدور حول الكوخ وتركن خلفه، وهذا ما فعلته؛ أطفأت المحرك والأنوار الأمامية، ثم جلست ساكنة بضع ثوانٍ في الظلام الحالك.

كانت على وشك أن تغلق باب السيارة بقوة لكنها انتبهت فجأة أن صوته سيدوي كالرصاصة وسط هذا الصمت التام. لذلك دفعته برفق، ولم تهتم حتى بإغلاقه بالقفل، ووضعت المفاتيح في جيبها. حملت حقيبة الظهر التي تحتوي على المطرقة والإزميل والمصباح. أغلقت سَحَّاب سترتها وأحكمت القلنسوة حول رأسها. لم تستطع أن تتذكر كم تستغرق المسافة من هنا إلى الكوخ سيرًا، لكنها قدرتها بخمس عشرة أو عشرين دقيقة. كادت تتجمد من البرد الذي لسع البرودة وجهها وهي تسير محنية الرأس في الطريق الوعر ثم تسير بمحاذاة الطريق الرئيسي. كانت تأمل أن تتعرَّف الكوخ حين تراه. كان خلفه نهر صغير حيث كانوا يغسلون أسنانهم فيه ويأخذون منه الماء لإعداد القهوة.

أحاطت الجبال بهم من كل مكان، ولقد تسلَّقوا أعلاها، إنه "يوهوفدا". نظرت عبر هضبة "هاردانجر" وشعرت بضآلتها، لكنها أحبَّت هذا الشعور؛ أن يكون كل ما في العالم أكبر منها. بينما تمشي في الظلام فكرت في أنه من الغريب أن يحاول البشر عيش الحياة بكل ما فيها على الرغم من يقينهم بالوفاة في النهاية. تأثرت بشدة من الفكرة.

تبعت منعطفًا ورأت بعض الأكواخ عن بعد. كان هناك أربعة أو خمسة، لكن بلا أنوار. فأسرعت الخطى وهي تتساءل: هل يمكن أن يكون من بينها؟ لكن ألم يكن قائمًا وحده عند النهر؟ أم إن ذاكرتها تخدعها؟ لا، على الأرجح أن

باقي الأكواخ بُنِيَتْ لاحقًا. لكن لا مشكلة، فلا توجد فيها أنوار ولا توجد حولها سيارات. لكنَّ ترتيبها كان غريبًا، وكأنها صناديق مؤن أنزِلَتْ من طائرة فهبطت بعشوائية. من مكانها بدت كل الأكواخ سوداء، لكن عندما اقتربت من أولها بدا بنيًّا بنوافذ بيضاء. وكانت على واجهته قرون معلقة. نظرت إلى الكوخ الذي على اليسار، إنه الأقرب للنهر لكنه لم يكن أحمر اللون. هذا لا يعني شيئًا، ربما أعادوا طلاءه. أبطأت سيرها ورأت لافتة خشبية معلقة على إحدى جدرانه. بدت جديدة. وعلى الرغم من أنها لم تتذكر اسم الكوخ من قبل، لكنها الآن متأكدة من أنه كوخ "مايا". مكتوب على اللافتة اسم "هيلتون".

دارت خلفه فوجدت النهر، لكنه كان أقرب مما تتذكر. تذكرت الصخور التي كانوا يجلسون عليها، والممر الصغير المؤدي إلى المدخل، والذي يشبه ثعبانًا نحيلًا. أخيرًا وصلت، وكانت وحدها. لا أحد يعرف شيئًا عن هذا السر، والليل ما زال طويلًا. "سأجد ذلك المال حتى لو حفرت الأرضية الخشبية بأظافري لأحصل عليه"!

لم تجرؤ على استخدام المصباح. تفحصت النوافذ بقدر ما تستطيع في الظلام. بدت متهالكة جدًّا، خاصةً نافذة المطبخ. لكنها كانت عالية، تحتاج إلى شيءٍ لتقف عليه. دارت حول الكوخ مجددًا، ووجدت صندوقًا خشبيًّا صغيرًا لجمع الحطب وكتلة للتقطيع. كانت كتلة التقطيع ثقيلة جدًّا، ويكاد يكون تحريكها مستحيلًا، لكنها مناسبة تمامًا للوقوف عليها كمنصة، فهي صلبة ومستوية. أحكمت قبضتها عليها وحاولت دحرجتها، ونجح الأمر.

خلعت الحقيبة وأخذت تدفع الكتلة الخشبية حتى وصلت تحت نافذة المطبخ. ثم أخذت الحقيبة وأخرجت منها الإزميل ووقفت فوق الكتلة. وهكذا أصبحت واقفة وسط ظلام الخريف وهي تمسك بالإزميل وقلبها ينتفض من فكرة أن المال على بعد شعرةٍ منها. هذا ليس كوخها، وليس مالها. نزلت على الأرض ووضعت يديها على صدرها بضع لحظات ثم أخذت تسحب أنفاسًا من الهواء البارد وتملأ

به رئتيها. رأت جبل "يوهوفدا" وهو يتجه إلى السماء وكأنه يحذرها. يمكنها أن تعود إلى البيت بضميرٍ مرتاح. ويمكنها مسامحة نفسها على الستين ألفًا التي أخذتها فعلًا لأنها لم تكن في وعيها وقتها، لقد فقدت السيطرة على نفسها تمامًا. أما هذا الوضع فيختلف. فهذه سرقة علنية واستغلال حقير لوفاة "مايا".

بدأ قلبها يهدأ تدريجيًّا، فصعدت مجددًا. دفعت الإزميل بين النافذة والإطار بتردد. كان الخشب طريًّا كالعجين، فدخل الإزميل بسهولة، لدرجة أنه عندما تركته لم يسقط وظل معلقًا. نزلت لتأخذ المطرقة ثم طرقت بها بحذر على الإزميل ليدخل أكثر. بعدها تركت المطرقة من يدها وأمالت الإزميل؛ تحرك الإطار كله من مكانه، وسمعت "إيفا" تحطم الخشب. انخلع القفل بصوتٍ مسموع لكن ليس عاليًا جدًّا. ثم اندفعت النافذة خارجًا عشرة أو خمسة عشر سنتيمترًا وتدلت قليلًا. نظرت "إيفا" حولها وأخذت حقيبة الظهر ثم فتحت النافذة عن آخرها. كانت مغطاة بستارة سميكة. ألقت الحقيبة وألقت الأدوات بعدها، ثم دفعت رأسها ومدت ذراعيها وحاولت أن ترفع نفسها. ليت الكتلة الخشبية كانت أطول قليلًا، لكنها اضطرت إلى القفز. كانت النافذة ضيقة جدًّا. ثنت ركبتيها وقفزت. أصبح رأسها وذراعاها في الداخل، وساقاها في الخارج. احتكت النافذة بظهرها. كان المطبخ غارقًا في ظلامٍ دامس، لكنها شعرت بطاولة المطبخ تحت يديها. وهكذا أخذت تتلوى بحذرٍ على حافة النافذة وتعلقت بساقيها في الإطار حتى عبرت ونزلت على الأرض. تسببت في وقوع عدة أوعية ومقالي، فأصدرت ضجة كبيرة. كما صدمت ذقنها بالأرض. تعثرت بسجادة وظلت مستلقية وهلةً. ثم جلست وسحبت نفسًا عميقًا. لقد دخلت أخيرًا.

كل النوافذ كانت مغطاة بعناية. مستحيل أن يلحظ أي شخص بالخارج ضوء المصباح، لذلك شغلته.

أرسل ضوءًا أبيض نحو المدفأة. حركت الضوء إلى منتصف الغرفة لكي تحدد اتجاهها وتحركاتها. كانت الأريكة مغطاة بغطاء كاروهات. جلست "مايا" هنا ذات

مرة وهي تحكي كل مغامراتها، وكم كانت كثيرة، على الرغم من أنهنَّ كنَّ في الثالثة عشر آنذاك. كنَّ ينظرن إليها برهبةٍ وإعجاب. بعضهنَّ أبعدن نظرهنَّ بحرج، و"إينا" زمَّت شفتيها بعدم رغبة في سماع المزيد، فلقد كانت مسيحية متدينة.

كانت تقف في المدفأة دمية غول بأنفٍ ضخم ويمسك بشجرة صنوبر. وهناك دمية لمشعوذة تتدلى من السقف وتنظر إليها بعينين لامعتين. رأت طاولة الطعام وخزانة صغيرة معلقة في زاوية الحائط وخزانة للأطباق والأكواب. توجد وحدة أدراج، على الأرجح تحتوي على قفازات وقبعات صوفية. وتوجد غرفتا نوم صغيرتان، وبابهما مفتوحان. وهذا هو المطبخ الصغير بأدراجه ودواليبه. لمحت الحلقة المعدنية الخاصة بباب القبو في الأرض. يا له من مخبأ مثالي، فهو بارد ومظلم. وهناك أيضًا مخزن الأدوات والحمام الخارجي الذي أُلحِق بالكوخ. كل ما كان عليهنَّ هو عبور الردهة أولًا للوصول إليه، لكنهنَّ كنَّ يذهبن كل اثنتين معًا بسبب الجرائم الواقعية المرعبة التي كانت ترويها "مايا". كنَّ يسرن بأكتافٍ منكمشة وبأيادٍ مرتعشة وهي تمسك بمصباح الجاز. ويوجد طبعًا الموقد.

كان والد "مايا" يحذرهنَّ قبل عودته إلى الشاحنة قائلًا: "لا تفجِّرن الكوخ!". يوجد رفًّا كتب كبيران فوق الأريكة، معظمها بأغلفة ورقية عادية وبعضها بأغلفة من الورق المقوَّى. أحضرت "مايا" أعدادًا كثيرة من مجلة "كوكتيل". كانت هي و"مايا" تقرآن لبعضهما بعد أن تنام "إينا".

شعرت "إيفا" بالبرد. لا فائدة من الجلوس بشرود، يجب أن تحضِّر خطة. يجب أن تضع نفسها مكان "مايا" وتفكر فيما كانت تفكر فيه في حين وقفت مع مالها في يديها وهي تفكر أين تخفيه بعيدًا عن الناس. كانت مخيلتها خصبة ويمكنها التفكير في أقل الأماكن احتمالًا. فكرت "إيفا" فورًا في القبو، وأن يكون المخبأ في قلب الأرض. يا إلهي، هل يمكن أن يكون مدفونًا في الحديقة بالخارج؟ نهضت وهي تحاول السيطرة على نفسها. وقتها محدود، عليها أن ترحل قبل أن

يحلَّ الصباح. ستتبع نظرية الاستبعاد، لتفكر في الأماكن التي لا تحتوي على المال بالتأكيد. أي الأماكن الواضحة، مثل المكتب والخزانة التي في الركن ووحدة الأدراج. لتفتش بهدوءٍ ونظام. قد يكون في أكياس بلاستيكية أو أظرف مربوطة بشرائط مطاطية، هكذا ستكون محمية من الرطوبة.

احتوت أول غرفة على وحدة أدراج، لكنها استبعدتها فورًا وركزت على الأماكن غير المعتادة. أولًا، القبو، إنه أقبح مكان. أمسكت الحلقة المعدنية ورفعت الباب، فوجدت نفسها تنظر إلى فجوة مظلمة، وشعرت بتيارٍ باردٍ يصعد إليها من الظلام. ربما توجد فئران بالأسفل. يمكن أن يُعلَّق بابُ القبو بحيث لا ينغلق خلفها. نزلت وهي تمسك بالمصباح. كان مستحيلًا أن تقف مستقيمة، فاضطرت إلى أن تنحني وهي توجه ضوء المصباح إلى الرفوف وبرطمانات المربى والمخلل وزجاجات النبيذ الأحمر والأبيض والنبيذ البرتغالي والإسباني والمزيد من البرطمانات. توجد علبة كيك معدنية عليها صور لـ"سنووايت" و"سندريلا". هزَّت العلبة لتعرف ما فيها، فسمعت قطع الكيك الصغيرة وهي تقفز بخوف.

رأت بطاطس مجمَّدة تنبت منها جذور طويلة موضوعة في علب معدنية، رفعتها وكانت ثقيلة وسليمة. توجد بعض زجاجات البيرة والكثير من زجاجات النبيذ. لم تستطع "مايا" أن تفرغ الكوخ في فصل الشتاء قط. تحرك ضوء المصباح على الأرض الحجرية المتعرجة. فاحت رائحة عفونة من القبو، لكن عدا ذلك كان خاليًا. أخيرًا جلست على أول درجة وسلطت المصباح على الغرفة الصغيرة مجددًا ببطءٍ وحذر. لا توجد علب أو صناديق مكدسة إلى جانب الحائط، ولا توجد فجوات في الجدران. هل يمكن لف الأوراق النقدية ووضعها في زجاجات النبيذ الفارغة؟ لا، يا إلهي.

نهضت، صعدت مجددًا، وأغلقت باب القبو بحذر، ثم بدأت تفتح دواليب المطبخ. ألقت نظرة سريعة على دواليب الأكواب والأطباق وأغلقتها سريعًا. لكنها أخذت وقتها في فحص دواليب المقالي. رفعت كل واحدة ونظرت تحتها، وسلطت

مصباحها داخل الدواليب. لا شيء. بحثت في الفرن، وذهبت إلى غرفة المعيشة وبحثت تحت الأريكة. ربما تكون مخفية في الكتب التي على الرفوف، ستكون مشقَّة أن تفتح كل كتاب. لكن من الواضح أنها لم تخفِ المال هناك. ربما في المدفأة، إلى أعلى قليلًا في المدخنة. وضعت قدمًا في المدفأة وسلطت ضوء مصباحها إلى الأعلى في المدخنة. لا شيء. ثم فكرت في الأريكة السرير إلى جانب طاولة الطعام. عادةً يحتوي هذا النوع على خزانة بداخله، والحال نفسه هنا. وجدت بالداخل خفًّا وحذاءَ تزلج قديمًا وسترةً سميكةً ومعطف مطر رثًّا وغطاءين. ثم لمحت راديو قديمًا، وخطر لها أن "مايا" ربما فتحته وأخرجت مكوناته وأخفت المال فيه. لكنها لم تكن لديها المعرفة التقنية الكافية لهذا العمل.

ربما في سلة الخبز على طاولة المطبخ، أو في الوعاء الكبير في الدولاب العلوي، أو في ساعة الحائط؟ ماذا عن الحقيبة القماشية القديمة المعلقة بمسمار على الجدار؟ بالتأكيد هي. أنزلت الحقيبة لكن وجدتها فارغة. سلطت "إيفا" الضوء على ساعتها فوجدتها الواحدة. ذهبت إلى غرف النوم، ورفعت الملاءات والمراتب، وتفقدت وحدات الأدراج ودولابين صغيرين يحتويان على سترات مقاومة للرياح وجواكت ثقيلة. توجد علبة قديمة مليئة بالأوشحة والجوارب الصوفية السميكة. عادت إلى المطبخ مجددًا حيث البرطمانات الخزفية الصغيرة وفتحتها. لكن لم تجد بها إلا ما هو مكتوب عليها؛ ملح، وحبوب الشعير، وقهوة. خرجت إلى الصالة حيث بحثت تحت مقعد خلف ستارة صغيرة، لكن لم تجد إلا سلة غسيل وفرشاة وزجاجة مطهر لزجة.

لم يبقَ إلا ملحق الكوخ، والذي يضم الورشة ومخزن الأدوات والحمام. أصدر الباب صريرًا مخيفًا وهي تفتحه. كانت الغرفة بلا نوافذ، والأرضية منخفضة إلى حدٍّ ما. استطاعت "إيفا" أن تسمع صوت احتكاك سترتها وهي تتحرك وسط هذا الصمت. توجد طاولة أدوات ممتدة بعرض الغرفة. ويوجد من رسم دائرة حول كل شيء موضوع عليها لكي تسهل إعادته إلى مكانه بعد

استخدامه. وتوجد كتلة خشبية للتقطيع، وأثاث حديقة قديم، ومرتبة فوم قرضتها الفئران، وأحذية وعصي للتزلج، وجاروف للثلج. لم تعرف من أين تبدأ.

بدأت من الحمام، سلطت ضوء المصباح عليه وفتحت الباب. كان حمامًا أرضيًّا ضيقًا، لكنَّ فيه مقعدين وبينه وبين التربة مسافة كافية من تحته. كان المقعدان مغطيين بلوحين من البلاستيك، ولا توجد رائحة كريهة. على الأرجح لم يُستخدم منذ مدةٍ طويلة. توجد صورة لولي العهد الأمير "هاكون" وهو يرتدي كنزة "بلوفر" زرقاء. أسنانه البيضاء تلمع في الظلام. تُرى، هل يعرف أن الناس يعلقون صورته في الحمام؟ كانت على الأرض قطعة سجاد. أزالت "إيفا" غطاءً بلاستيكيًّا من على أحد المقعدين وانحنت وهي تكتم أنفاسها لتنظر إلى جانب المقعد في حال كان المال مثبتًا هناك. لم ترَ شيئًا، فأزالت الغطاء الآخر وسلطت مصباحها. لكنها لم ترَ إلا مناديل بيضاء متفرقة. تُرَى هل يمكن أن يكون المال في صندوقٍ معدني تحت كومة المناديل؟ يا لها من مهمة شاقة.

نهضتْ وعادت تتنفس. ربما يمكنها أن تبحث باستخدام إحدى عصي التزلج، فهناك الكثير منها عند طاولة الأدوات. بعضها قديم جدًّا ومتهالك، وبعضها مصنوع من الألياف الزجاجية مع أسطوانات بلاستيكية بيضاء في الجزء السفلي. ثم شعرت بسخافة تفكيرها. بالتأكيد المال ليس مدفونًا في الحمام، فهناك حدود. وهلةً وقفت بتردد وهي تنظر حولها. رأت دلوًا بلاستيكيًّا قديمًا تحت طاولة الأدوات، وفيه زجاجتان من زيت التربنتين وعبوة طلاء. كانت عبوةً كبيرةً، ربما بسعة عشرة لترات. ذهبت إليها وانحنت وقرأت عليها "طلاء واقٍ لخشب الماهوجني". رجت العبوة وسمعت شيئًا يتحرك بداخلها. مدت أصابعها تحت طرف الغطاء المعدني وحاولت ثنيه، لكنه لم يتحرك. وجدت مفكًّا على طاولة الأدوات، فوضعت طرف تحت الغطاء ودفعت بالقوة. كانت العبوة مليئة بلفائف مسطحة مغلفة بورق ألومينيوم وكأنها لفائف ساندويتشات. شهقت

وأمسكت المصباح بذقنها لتمد يدها وتلتقط إحدى اللفائف. نزعت التغليف عنها فوجدت رزمة من النقود. لقد وجدت الثروة!

انهارت "إيفا" على الأرض وهي تمسك الدلو بإحكام. لقد خطرت لـ"مايا" فكرتها نفسها، أن تخبئ النقود في عبوة طلاء فارغة! دفنت وجهها في يديها لوهلةٍ في ذهول. المال الذي لا يعرف أحد عنه شيئًا ولا يملكه أحد أصبح يرقد في حجرها الآن. يا لها من ثروة ضخمة لتأمين حياتها. أخرجت باقي اللفائف، كانوا إحدى عشرة بالكامل. وكل لفيفة سميكة مثل أربع أو خمس شرائح من الخبز ملتصقة معًا. كدستهم واحدة تلو الأخرى على الأرض حتى بنت برجًا. لم تعد تشعر بالبرد، فدماؤها تغلي في عروقها. وكانت تلهث وكأنها في سباقٍ طويل. كادت تشعر بحبات العرق على جبينها. فتحت "سحَّابات" سترتها لكي تحشر الكنز في جيوبها الكثيرة. وضعت رزمتين في كل جيب في سترتها، ووضعت الباقي في جيوب بنطلونها، هذا يفي بالغرض. يجب أن تغلق "السحَّابات" جيدًا، فلا يمكن أن تخاطر بسقوط النقود منها وهي عائدة إلى السيارة. قررت أن تعود إلى السيارة جريًا، فهي في حاجةٍ إلى أن تستهلك الطاقة التي غمرتها على غير العادة. كل ما تحتاج إليه هو الركض في البراري بجموح. وقفت لتفرد جيوبها جيدًا لتتسع للمال. لكن في هذه اللحظة سمعت صوتًا. كان صوتًا مألوفًا تسمعه كل يوم فميزته فورًا. لكن قلبها انتفض عند سماعه هذه المرة وتجمدت مكانها بلا حَراك؛ إنه صوت سيارة.

اقتربت السيارة من الكوخ، وسمعتها تخفف من سرعتها وتدوس الأغصان الجافة والعشب المتجمد. اخترقت أضواؤها الساطعة جدران الكوخ المتشققة. وقفت متحجرة وهي تمسك برزم النقود وتعجز عن التفكير. لم تشعر إلا بالفزع الخالص. ثم تحرك جسدها من تلقاء نفسه قبل أن تبدأ بالتفكير. رأت نفسها بذهول تعيد النقود إلى علبة الطلاء وتضغط الغطاء وتتسلل على الأرضية التي

تصدر صريرًا، لكن من حسن الحظ كان محرك السيارة ما زال دائرًا. فتحت باب الحمام وأزالت غطاء المقعد ثم أسقطت العلبة في الفجوة وأطفأت المصباح.

سمعت باب سيارة ينغلق ثم خطوات سريعة وقرقعة مفاتيح تدور في القفل. يوجد من يدخل ببساطة إلى كوخ "مايا" في منتصف الليل! لا يمكن أن تكون نواياه شريفة. سمعت صوت المفصلات الصدئة. يوجد من يعبر المدخل الصغير. سرعان ما سيلاحظ هذا الشخص الغامض النافذة المفتوحة. سيفتش الكوخ بأكمله. عجزت "إيفا" عن التفكير، وقفت متجمدة مكانها وكأنها على سفينة تحترق قبل أن تختار القفز في البحر البارد. وضعت قدمًا في فجوة الحمام واستندت إلى إطار المقعد، ثم أدركت أنها لا تستطيع إدخال قدمها الأخرى لأن الفتحة ضيقة. رفعت قدمها مجددًا ثم قررت حشر قدميها الاثنتين في الوقت نفسه، وتركت نفسها تغوص في الظلام. ظلت تحرك قدميها حتى لمستا القاع أخيرًا وغاصتا في كومة الفضلات. سمعت الخطوات فوقها تدخل الكوخ، فأمسكت المصباح وألقته عند قدميها. ثم أخذت تتلوى حتى عبرت بكتفيها.

وقفت على أطراف قدميها ومدت يدها في الظلام لتعيد إغلاق الفجوة من فوقها بالغطاء البلاستيك بحذر. عندها غرقت في ظلامٍ دامس، بلا لمحة من الضوء. انخفضت أكثر لكنها لم تستطع التكور حولَ نفسها على الأرض، فاكتفت بالجلوس. غاصت أكثر في مكانها واتكأت برأسها على ركبتيها. لم تكن الرائحة بهذه العفونة عندما تفقدت الحمام أول مرة، أما الآن فالعفونة بدأت تزكمها لأن حرارة جسدها بدأت تسخن الفضلات. جلست تتنفس بحذر وهي تدفن أنفها بين ركبتيها. انزلق المصباح وابتعد عن يديها. قبعت العلبة ذات المليوني كرونة بين ساقيها. سمعت صوت إغلاق باب ثم صوت سباب غاضب. اتضح أن الشخص الغامض هو رجلٌ غاضب.

الفصل الخامس والعشرون

اضطرت إلى أن تتنفس من فمها. لم تجرؤ على فتح أنفها وإلا اختنقت من الرائحة. حاولت أن تستمع إليه لتعرف ما يفعله، إنه يبحث عن شيءٍ ما بالتأكيد. لم يحاول أن يلتزم الهدوء، وربما أشعل النور أيضًا. فجأة تذكرت حقيبة الظهر على أرضية غرفة المعيشة، فانتفض قلبها. هل يمكن أن يكون قد رأى ضوء مصباحها؟ لا تظن هذا. لكن لو رأى حقيبة الظهر، فهل سيدرك أنها ما زالت هنا؟ هل سيفتش الكوخ شبرًا شبرًا؟ ربما هذا ما يفعله الآن. قد يخطو إلى المبنى الملحق في أي لحظة ويفتح باب الحمام بعنف. لكن هل سيزيل الغطاء وينظر إلى الأسفل؟ دفنت أنفها بين ركبتيها أكثر وتنفست من فمها بحذر. كان الكوخ بين صمتٍ وضجيج من وهلةٍ إلى أخرى. بعد بضع دقائق سمعت خطواته تقترب حتى وصل إلى الردهة. سمعت أشياء تتخبط ثم المزيد من السباب. بعدها جاء إلى الورشة، وساد الصمت مجددًا.

تخيلته واقفًا ينظر إلى باب الحمام ويفكر إذا ما كان في الداخل من يختبئ، كما كان سيفعل أي شخص في مكانه. سمعت المزيد من الخطوات. انحنت "إيفا" أكثر وسمعت صوتَ صرير في حين يفتح الرجل الباب. شعرت أن الزمن توقف بها عدة ثوانٍ وهي ترتجف من الرعب وتشعر باندفاع الدم في جسدها. ثم تجمد كل شيء، أنفاسها ونبضات قلبها والدم الذي أصبح

كالسم في عروقها. ربما أصبح على بعد مترٍ واحد منها، ربما يمكنه سماع أنفاسها. لذلك توقفت عن التنفس حتى كادت رئتاها تنفجران. كل ثانية مرَّت كالدهر. ثم سمعت خطواته مجددًا، لكن هذه المرة وهو يتراجع ويبحث في شيء بالقرب من طاولة الأدوات. خطر لـ"إيفا" فجأة أنه قد يحتاج إلى استخدام الحمام. فلو ظل يبحث مدةً طويلة، سيحتاج أن يقضي حاجته. عندها سيدخل الحمام مجددًا ويرفع أحد الأغطية ويتبول في الفجوة مباشرةً. لو استخدم الفجوة المجاورة للجدار الخارجي، فسيتبول على قدميها. أما لو استخدم الفجوة الأخرى فسيتبول على رأسها. ولو أضاء النور، فسيرى امرأة جالسة تحت هذا الحمام البدائي وبين ساقيها علبة طلاء. لا فكرة لديها من هذا الشخص. لقد كذبت "مايا"؛ يوجد شخص يعرف بأمر الثروة.

"مايا" هي من ورطتها في هذا الموقف المجنون، كما فعلت ألف مرةٍ من قبل. و"مايا" هي من أتاحت لها فرصة الوصول إلى بعض المال، بل الكثير من المال، على الرغم من أنها لم تهتم قط إلا بما يكفي لشراء الطعام وسداد الفواتير. لم تحتج إلى أكثر من ذلك. في المعتاد كان يمكنها أن تترك المال لذلك الرجل، أو تتقاسمه معه. لكن لماذا يكون له حقٌّ فيه أكثر منها؟ إنه مال صديقة طفولتها، ولطالما تشاركتا كل شيء. ثم إن "مايا" جعلتها وريثتها شفهيًّا.

انتقل الرجل للبحث في أدراج الأدوات. بدا عنيفًا وغاضبًا. ونظرًا إلى الضجة التي يصدرها، سيبدو الكوخ كساحة معركة قبل حتى أن ينتهي من بحثه. تساءلت إن كان قد قرر قضاء الليل في الكوخ. ربما سينام في أحد الأسرَّة تحت لحافٍ ثقيل وهي تجلس هي وسط كومة من الفضلات حتى تتخدر قدماها. قد تصاب بقرصة صقيع. إن جلست هنا حتى الصباح، فقد تموت من البرد واليأس والعفونة. لكن ربما هو مجرد لص عادي مثلها وسيهرب قبل طلوع النهار. هذا ما تمنته. ظلت تتمنى وتدعو وهو يواصل بحثه العنيف بلا هوادة. بدأت تشعر بدوار. على الرغم من إدراكها أنه عليها ألا تنام، بدأت تفقد وعيها.

إما أن الرائحة لم تكن بهذه البشاعة، وإما أنها أصبحت مخدرة بالكامل فلا تشمها. كم تتمنى لو استطاعت النوم قليلًا. خطر لها فجأة أنها قد لا تتمكن من الخروج مجددًا. فمن الصعب أن تجد موطئ قدم ثابت لتتكئ عليه وسط مستنقع النفايات الذي تجلس فيه. ربما ستموت هنا مع المليوني كرونة. ربما عليها أن تطلب المساعدة، وتخرج وتخلع ثيابها ثم تتقاسم المال مع الوغد الذي كان يبحث بجنون دون أن يعرف المخبأ الصحيح. فكرت في هذا في حين يهاجمها النعاس تدريجيًّا، ثم لاحظت أن الصمت قد حلَّ فجأة. ربما ذهب إلى النوم على الأريكة تحت الغطاء الكاروهات. من المحتمل أنه نزل إلى القبو ووجد زجاجة نبيذ أحمر، ثم سخَّنها على البوتاجاز وأضاف إليها سكرًا ليحصل على نبيذ أحمر حلو وساخن، في حين ينام أمام المدفأة ويتغطى بالغطاء الصوفي.

حركت أصابعها فوجدتها متيبسة. لقد بدأت تفقد وعيها حقًّا وسط البرد والرائحة الكريهة. أغمضت عينيها وتوقفت عن التفكير، ولم تترك إلا ثغرة بسيطة في وعيها تحسبًا له إذا جاء ليتبول أو ليبحث أكثر. لكن تلك الثغرة بدأت تصغر وتضيق وتسحبها نحو الظلام. وآخر فكرة خطرت على بالها هي كيف وصلت إلى هذا الموقف بحق الجحيم؟!

أفزعها صوت ارتطامٍ عالٍ.

انتفضت "إيفا" وحركت ذراعيها بردة فعلٍ تلقائية، فارتطم مرفقها بقطعة خشب متعفنة جزئيًّا. ربما سمعها. كانت الجدران رفيعة والصمت يعم المكان. ثم أدركت أن الصوت الذي سمعته كان صوت إغلاق باب. لقد خرج من الكوخ وأصبح في الخارج إلى جانب الحمام. سار ثلاث أو أربع خطوات ثم توقف. انتظرت "إيفا" وأرهفت السمع لتحاول تخمين ما يفعله. كان جسدها متخشبًا كالعمود، وعجزت عن تحريك ذراعيها أو ساقيها. سمعته يسعل، وبعدها مباشرةً سمعته وهو يتبول على الأرض. إنه رجل تقليدي، أكسل من أن يذهب إلى الحمام حين يريد التبول، بل يخرج قضيبه ويقضي حاجته. وهذا ما

أنقذها من أن يكتشفها. كادت تضحك بارتياح. واصل التبول طويلًا، يبدو أنه كان يحبس نفسه مدةً طويلةً، وربما أكثر من شرب البيرة. ربما انتهى الآن وسيرحل. من الغريب أنه لم يخطر على باله البحث في فجوة الحمام، لكن يبدو أن خياله لم يصل به إلى هذا الحد. أما هي فكادت تبحث بين الفضلات بعصا التزلج، لولا أنها وجدت علبة الطلاء.

بدأت تأمل أن الأمر سينتهي على ما يرام في أي لحظةٍ الآن. لكن مع اطمئنانها عادت تشعر بالبرد والتيبس ورائحة العفونة التي باتت لا تطاق.

دخل الكوخ مجددًا. "ما الساعة الآن؟ منذ متى وأنا متخشبة هكذا"؟ عانت لتتنفس بهدوء. عادت أصوات البحث مجددًا. ربما طلع النهار فسحب الستائر وأَمِلَ أن يعيد البحث في النور. ربما سيدخل المبنى الملحق مجددًا وسيبحث أسفل الحمام. سيشعر بالصدمة لو رآها. حاولت أن تتخيل شعوره حين يرى رأسها ويدرك أنها ظلت جالسة هنا طوال الليل، بالتأكيد سيجتاحه الغضب والدهشة. أما لو كان رجلًا بريئًا في مهمةٍ قانونية، فسيشعر بالخوف والقلق. لكنها لم تعتمد على ذلك كثيرًا. سمعت الباب مجددًا ثم صوت المفتاح يدور في القفل. كادت لا تصدق أنه سيرحل حقًّا. لم تحرك ساكنًا، لكن خطواته على العشب كانت تتراجع فعلًا. وأخيرًا سمعت الصوت الذي كانت تتوق إليه حتى بدا حلمًا، صوت باب سيارة ينغلق. بدأت "إيفا" ترتجف بعنف. سمعت المحرك يدور فبكت بارتياح. ظل يدور مدةً لكنها لم تتحرك، بل انتظرت في حين تتحرك السيارة، ربما كانت تدور. سمعت أغصانًا جافة تتكسر لدى تخبطها بجسمٍ معدني، وصوت المحرك يبطئ وهلةً، ثم زادت السرعة. لقد خرج إلى الطريق بأمان الآن. زاد سرعته وانطلق وابتعد صوت المحرك ببطء حتى لم تعد تسمعه.

غمرها شعورٌ بالسلام.

وضعت يديها على العلبة وزفرت واستنشقت ثم حاولت أن تفرد ساقيها. كانتا متيبستين ومتخشبتين كجذور شجرةٍ عتيقة، ولم تشعر بهما. دفعت الغطاء

البلاستيكي فوجدت الظلام ما زال قائمًا وكأنها ما زالت في منتصف الليل. تذكرت المصباح فجأة. ماذا حدث للمصباح؟ ضمت قبضتيها واستعدت لتبحث رغمًا عنها بين الفضلات. بين ساقيها وفي الأركان. المكان ليس كبيرًا. يجب أن تجده. بحثت خلف ظهرها فلمست معدنًا باردًا. ربما كان باردًا. وجدت الزر وضغطت عليه. إنه يعمل. تنهدت براحة ونظرت إلى ساعتها. إنها الثالثة والنصف. ما زال الليل طويلًا، ولديها متسعٌ من الوقت. مررت المصباح عبر الفجوة ووضعته على طرف مقعد الحمام. ثم تشبثت بأطراف المقعد وحاولت أن ترفع نفسها. آلمها ظهرها، وساقاها بالكاد قويتا على حملها. لكنها مررت رأسها واعتصرت كتفيها. وفجأة بدت وكأنها تختنق ولا تستطيع الخروج بسرعة. أخذت تتخبط وتشهق وتركل بأقصى قوتها في كومة الفضلات بساقيها، وتتلوى بجسدها حتى عبرت الفجوة وسحبت ساقيها وخبطت المصباح فوقع على الأرض.

نظرت إلى السجادة المخططة التي أنارها ضوء المصباح، وسحبت قدميها. وضعت قدمًا على الأرض وشعرت وكأنها أصيبت بالشلل، لكنها على الأقل واقفة على قدميها. انحنت مجددًا وهي تسلط ضوء المصباح للمرة الأخيرة أسفل الحمام، ومدت يدها إلى العلبة. لقد كافحت للحصول عليها، وأصبحت الثروة لها. تركت المبنى الملحق وعادت إلى الكوخ. كان محطمًا تمامًا. كل شيء أفرِغ ورُمِيَ. حركت مصباحها في الأرجاء ولاحظت أنه لم يفتح الستائر السميكة. كل شيء كان مظلمًا، لكن الهواء كان منعشًا ومريحًا. كادت تنسى الهواء الطبيعي، وكأنها تتنفس مياهًا معدنية عبر أنفها. سارت إلى مقعدٍ بذراعين وهي تترنح وألقت بنفسها عليه. تجعدت ملابسها على جسدها. يجب أن ترمي كل قطعة منها. ربما عليها أن تقص شعرها أيضًا، وربما لن تستطيع التخلص من الرائحة أبدًا. ستضطر إلى أن تقود مسافة طويلة إلى البيت وهي مغطاة بالقذارة، لكن ربما توجد ملابس في الكوخ يمكنها أن تستعيرها.

نهضت بصعوبة وذهبت إلى إحدى غرف النوم. رفعت المصباح وأخرجت ثوبًا تلو الآخر من وحدة الأدراج. وجدت ملابس داخلية وجوارب وقميصًا تحتيًّا قديمًا وكنزة "بلوفر"، لكنها لم تجد بنطلونات. خرجت ومن حسن حظها تذكرت الدولاب الصغير الذي يضم ملابس الخروج. وجدت بذلة تزلج قديمة معلقة. كانت جميلة وناعمة لكنَّ مقاسها ضيق. سيكون ارتداؤها مثل محاولة حشر نفسها في جلد ثعبان، لكنها على الأقل نظيفة. وهذا ما يهم نظرًا إلى ما ترتديه الآن. ما زالت تفوح من البذلة رائحة الشمع المانع للاحتكاك الخاص بأدوات التزلج، ورائحة الخشب العالق بها. كانت رائحة يديها هي الأسوأ على الإطلاق، لذلك حاولت إبعادهما عن وجهها بقدر المستطاع. لم تحتمل رائحتهما. ربما يمكنها أن تضع عليهما بعض المطهر وتجففهما بمنشفة.

بدأت ترتجف من البرد مجددًا، لكن في الوقت نفسه كانت روحها المعنوية مرتفعة للغاية. ظلت تنظر إلى علبة الطلاء عادية المظهر، بدت بريئة جدًّا. من غيرها قد يظن أنها تحتوي على ثروة. لكنها تمتلك مخيلة خصبة طبعًا، لأنها فنانة.

أخيرًا وجدت حذاء تزلج داخل خزانة الأريكة السرير، وعانت لتربط الرباط. بدأت يداها تتخدران لكنها عملت ببطء. وضعت ملابسها القذرة في الحقيبة التي كانت موضوعة جانبًا، ثم حملت الحقيبة وأمسكت المصباح بيد وعلبة الطلاء باليد الأخرى. بعد كل ما حدث، لا داعي لمعاناة عبور نافذة المطبخ الصغيرة. كان الباب الأمامي مقفلًا من الخارج. لذلك دخلت غرفة النوم وأنزلت الستائر السميكة وفتحت النافذة عن آخرها. سحبت نفسًا من هواء الجبل وتسلقت الإطار ثم قفزت.

الفصل السادس والعشرون

كان الرجل يقود سيارة "ساب" لونها أزرق داكن، ويعلو وجهه تعبير شرير وتلمع عيناه بالغضب والغيظ. لقد ذهب المال. شخصٌ ما سبقه وحصل عليه، لكن لا يعرف من هو. قفزت السيارة واهتزت وهي تسير على الحصى، فأطلق الكثير من السباب. أصبحت البحيرة على يساره. كانت المنطقة صامتة كالقبور، والأكواخ مظلمة. شعر أنه خُدِعَ. يوجد ما حدث ولا يفهمه. بحث عقله عن أي تفسير لهذه المصيبة، أو الحقيقة المجنونة. شخصٌ ما اقتحم الكوخ وسرق المال. إنه ماله. هذا ما حدث بالتأكيد، فلم ينقص شيء آخر من المكان. كل شيء موجود؛ النظارات المكبرة والكاميرا والتليفزيون والراديو. حتى النبيذ في القبو لم يُمَس.

ضرب المقود بقبضته وخفض السرعة عند المنعطف. استدار يسارًا دون تفكير. لمح طريقًا متعرجًا ضيقًا يقود إلى شط البحيرة ثم إلى كوخ صغير. كان مهجورًا بكل وضوح، ولم يبدُ أن أحدًا سكنه منذ وقتٍ طويل. قاد سيارته إلى الشط وترك المحرك دائرًا. كان عليه أن يهدأ. أخرج سجائره من جيبه الداخلي وأخذ يدخن وهو ينظر إلى البحيرة الكبيرة اللامعة. كان وجهه صغيرًا، وعيناه قريبتين من بعضهما، وشعره وحاجباه بلونٍ داكن. كان وسيمًا، لكنَّ سلوكه يفسد شكله. لديه تعبير عدائي وخطيرٍ. وإذا ابتسم، وهو أمر نادر، تجد ابتسامته زائفة. لم يكن يبتسم الآن، بل كان يدخِّن بانفعال، وصوت المحرك وسط الصمت يزيده غضبًا، فأطفأه.

فتح الباب وخرج وسار بضع خطوات نحو الماء ليرى المنظر الجميل بشكلٍ أفضل. كان الظلام حالكًا عندما أطفأ أنوار السيارة، لكن بدأت الجبال تظهر تدريجيًّا وسط الظلام. وكأنها وحوش بدائية ضخمة تنام حول البحيرة. شعر برغبةٍ عارمة في الصراخ بأعلى صوته وسط الظلام، ربما تستيقظ الوحوش وترد عليه بالزئير. في تلك اللحظة رأى سيارة "أسكونا" قديمة متهالكة مركونة خلف الكوخ وخالية. غريب. هل يمكن أن يكون في الكوخ أحد؟ تسلل إلى السيارة وهو غير واثق من وجود أشخاصٍ في المكان. انحنى وحاول أن ينظر عبر النوافذ الجانبية. لم يكن الباب مقفلًا، وهذا أكثر غرابة. كانت السيارة خالية، لا شيء على المقاعد أو لوحة العدادات. اعتدل وخطرت له فكرة غريبة جعلته يعود إلى سيارته ويجلس ليفكر وهو يدخن. عندما أنهاها أطفأها في الطفاية بعنف وأشعل واحدة جديدة.

***

أدركت "إيفا" فجأة كم هي متعبة. مجرد رفع قدميها كان معاناة. ظلَّت تتعثر في العشب والحشائش. كانت العلبة ثقيلة على يديها المتعبتين، لكن بذلة التزلج لا يوجد بها جيوب، ولم ترغب في وضع المال في الحقيبة مع ملابسها القذرة. قد تلتصق بها الرائحة، من يدري. أصبح السير أسهل حين خرجت إلى الطريق. سارت بأسرع ما يمكنها، لكنَّ ساقيها كانتا تعجزان عن مجاراتها. كانت تشعر بعقبيها على الأرض، لكن لم تشعر بباطن قدميها، فهذا الجزء كان مخدرًا. بدت الهضبة مهجورة أمامها. بحثت عن الكوخ الذي كان مضيئًا في بداية وصولها لكنها وجدت كل شيءٍ مظلمًا. مجرد التفكير في قيادة السيارة إلى هذه المسافة الطويلة أضعف معنوياتها. لكن إن وصلت إلى هذا الحد، فيمكنها المواصلة إلى البيت. وربما تجد محطة بنزين بها متجر مفتوح في الطريق أيضًا. إنهم يبيعون سجقًا وبرجرًا وصودا وشوكولاتة، وربما مخبوزات مغلفة في أكياس، كل قطعتين في كيس. وقهوة ساخنة أيضًا. شعرت بجوعٍ رهيب. بمجرد أن بدأت التفكير في الطعام، لم تستطع التوقف. حتى إن وجدتٍ محطة مفتوحة الآن، من يدري ماذا

سيظن بها الناس عندما تدخل المكان برائحتها القذرة. على الأرجح رائحتها أقوى مما تظن، فربما اعتادتها أنفها مع الوقت.

استطاعت أن تتبين الطريق الصغير المؤدي إلى البحيرة. أمسكت العلبة في يدها اليسرى، والمصباح بيدها اليمنى. بدا كل شيء خاليًا ومهجورًا. لكنها لن تشعل المصباح إلا عندما تصل إلى السيارة وتستعد للرحيل. كلما ظلَّت متخفية، كان أفضل. لم تكن في شوق إلى سيارتها وسيجارتها من قبل أكثر من الآن. لكنها امتنعت عن التدخين لكيلا تترك خلفها أعقاب سجائر. شعرت بتأثرٍ مفاجئ من كل ما حدث فأسرعت الخطى. كان أمامها بضعة أمتار فحسب، حين أوقفها شيءٌ ما. زمجرة صاخبة شقت السكون، ثم فجأة وجدت نفسها غارقة في ضوءٍ قوي. تجمدت مكانها وهلة وهي تمسك بالعلبة والمصباح، وعجزت عن تحريك قدميها. ثم أدركت أن الصوت والضوء لسيارة تعمل أمامها مباشرةً. ركضت بعيدًا عن الضوء وجرت على العشب والحشائش. جرت لتنجو بحياتها وهي تتشبث بعلبة الطلاء. ما زالت تسمع صوت المحرك، وما دامت تسمعه ستواصل الركض. وإذا توقف ستختبئ. لكنها لم تصل إلى هذا الحد. لقد تعثرت ووقعت على بطنها، ولوت إحدى قدميها، وشعرت بالأغصان والحشائش تمزق وجهها. استلقت بسكون على الأرض.

توقف المحرك وانفتح باب سيارة. فهمت الأمر الآن. لقد وجد سيارتها، فجلس هناك ينتظرها. انتهى كل شيء. ربما معه مسدس. ربما ستنتهي حياتها بطلقةٍ في مؤخرة رأسها. فكرت فجأة في أن المال ليس بهذه الأهمية بالمقارنة مع كل التعب الذي عانته للحصول عليه. من الغريب أن تدرك الآن فقط أن كل ما يهم هي "إيما" ووالدها. يكفي أن يكون لديها بعض الخبز والنور والدفء. فكرت في كل هذا وهي تسمع خطواته عبر العشب، لكنها لم تعرف إذا كان يقترب منها أم يسير في الاتجاه الآخر.

أراحت رأسها على ذراعها ولم ترغب إلا في النوم. لم يكن المال مقدرًا لها بأي حال، لهذا ساءت الأمور. لم تعد تهتم به. لكنها تماسكت حين تذكرت

"إيما". عليها أن تهرب من هذا الرجل الذي يفتش عنها بجنون. بدأت تزحف على بطنها بحذر وهي مرتدية بذلة التزلج الناعمة. ما زالت تسمع خطواته. ما دام يتحرك، سيغطي صوت خطواته على حركاتها ولن يسمعها. ظلت تزحف وتتوقف بصفة متكررة. كان على مسافةٍ معقولة منها، فالهضبة شاسعة ولم يكن معه مصباح. قالت لنفسها إنه لا يجيد التحضير للمواقف.

عانت لتجرَّ العلبة دون أن تصدر صوتًا عاليًا. ثم سمعت محرك سيارته يدور مجددًا، ورأت المصابيح الأمامية تنير المكان. انخفضت والتصقت بالأرض قدر ما استطاعت. من حسن الحظ أن شعرها داكن، وأن بذلة التزلج كحلية، لكنَّ المشكلة في العلبة المعدنية التي تكاد تكون بيضاء. عليها أن تغطيها بجسدها وإلا انعكس عليها الضوء ولمعت. من السخافة أن تحضر العلبة الكبيرة معها، بالتأكيد رآها. سرعان ما سيخترق الحشائش بسيارته ويكشفها بأنواره. ربما سيدوسها بالإطارات الأربعة. ولن يعرف أحد ما أصابها ولماذا هي ملقاة هنا بعدما داستها سيارة في الجبال وهي ترتدي بذلة تزلج ضيقة وتفوح منها رائحة المجاري. لن يعرف أحد قصتها أبدًا. وربما.. ربما سيظل قاتل "ماريا" حرًّا طليقًا.

***

هز الرجل رأسه وزاد سرعة السيارة. لقد كان واثقًا من أنه لمح شيئًا في الظلام. شيءٌ أبيض وكأنه يطير في الهواء. نظر إلى جانبي الطريق وهو يقود فيه ببطء، لكنَّ حتى أنوار السيارة لم تتغلب على ظلمة الجبال المحيطة به. لا بدَّ أنه تخيل. ربما كان خروفًا. لا، على الأرجح لم تعد الأغنام ترعى هنا. لكن توجد طيور وثعالب وأرانب برية. توجد عدة تفسيرات. لقد أخذته المفاجأة وقد كان ينحني ليطفئ السيجارة فلم ينتبه جيدًا. لكنَّ السيارة هي ما تحيره. إلا إذا كان يوجد أحد في ذلك الكوخ القديم. لم يكن لديه الوقت للتفكير جيدًا. لا وقت للتفكير، فلديه الكثير ليفعله. عليه أن يأخذ المال، إنه له الآن. ولن يسمح لنفسه بالتفكير عكس ذلك. زاد سرعته وخرج إلى الطريق، ثم بدَّل إلى السرعة الثالثة وسرعان ما وصل إلى الفندق على يساره. وأخيرًا اختفت أنوار سيارته عندما انعطف.

الفصل السابع والعشرون

ذكرتها كتل الفقاقيع بجبال "هاردانجر"، وكان الماء شديد السخونة. وضعت "إيفا" قدمًا في الماء بحذر. كاد الماء يحرقها، لكنها رغبت في أن تنقع جسدها فيه حتى يملأ عروقها. وضعت كأسًا من النبيذ الأحمر على طرف حوض الاستحمام. ألقت بحقيبة الظهر في القمامة، وفصلت التليفون. استلقت في الماء الذي تحول لونه إلى "تركواز" بسبب أملاح الاستحمام. إنه النعيم بذاته. فردت أصابع يديها وقدميها واسترخت. أخذت رشفة من النبيذ وشعرت بألم قدمها يهدأ قليلًا. القيادة كانت كابوسًا، لأن قدمها تورمت بشدة.

أمسكت أنفها وغاصت تحت الماء لحظات. وعندما صعدت كانت هناك كتلة من الفقاعات على رأسها. نظرت إلى انعكاسها في المرآة المعلقة فوق حوض الاستحمام، وفكرت بدهشة في أنها هكذا تبدو كالمليونيرات. بدأت كتلة الفقاقيع تنزلق جانبًا حتى تدلت من أذنيها. استرخت في الماء مجددًا وقامت ببعض الحسابات. حاوت أن تحسب كم سيكفيها المال إن استخدمت مائتي ألف في السنة. النتيجة عشر سنوات. هذا لو أن المبلغ مليونا كرونة حقًا، فهي لم تعده بعد. لكنها ستفعل فور أن تستحم وتغتسل وتأكل. الشيء الوحيد الذي وجدته في طريقها إلى البيت هو آلة بيع الحلوى التي لا تحتوي إلا على بونبوني بطعم التوت وحبوب حلوى للحلق. أغمضت عينيها واستمعت لصوت الفقاقيع وهي تتفكك. بدأ

جلدها يعتاد الحرارة، بعدها سيتجعد ويتحول إلى اللون الوردي بسبب الماء الساخن والصابون، مثل بشرة الأطفال.

لقد مضى وقتٌ طويل منذ أخذت حمامًا طويلًا. عادةً تستحم بسرعة وهي واقفة، لذلك نسيت كيف يكون الاستلقاء في حوض الاستحمام. "إيما" هي الوحيدة التي تغطس دائمًا في الماء.

مدت يدها إلى كأس النبيذ وشربت عدة رشفات. بعد أن تستحم وتعد النقود، ستنام، ربما حتى المساء. شعرت بعينيها ثقيلتين من التعب، وكذلك رأسها الذي ظل ينخفض حتى استند على صدرها. وآخر ما تذكره هو طعم الصابون في فمها.

حلت الساعة التاسعة صباح الثالث من أكتوبر. نامت "إيفا" في ماء الاستحمام الذي برد. كانت تحلم بكابوس، لذلك ظلت تتحرك في الماء لتهرب منه، فانزلقت إلى الأمام قليلًا في الحوض وغرق وجهها. شهقت وابتلعت الماء بالصابون. أخذت تسعل وتبصق وهي تحاول الجلوس. لكن حواف الحوض السيراميك كانت زلقة. انزلقت مجددًا، فعادت تبصق ويسيل لعابها حتى سالت دموعها. أخيرًا استطاعت الجلوس، لكنها عادت تشعر بالبرد. فجأة رن جرس الباب.

فزعت فنهضت بسرعة وخرجت من حوض الاستحمام. لكنها نسيت بشأن إصابة قدمها، فصرخت وترنحت لأنها نهضت بسرعة، ثم أمسكت ثوب البيت. كانت ساعتها على رف تحت الساعة. نظرت إليها بسرعة وتساءلت من قد يكون في هذا الوقت. ما زال الوقت باكرًا على مندوبي المبيعات والمتسولين، ووالدها لا يخرج، و"إيما" لم تبلغها بعودتها. الشرطة! ربطت حزام ثوب البيت بإحكام وهي تفكر. إنها لم تستعد بعد. لم يكن لديها الوقت للتفكير فيما ستقوله إن جاء مجددًا. والآن ها هو. كانت واثقة من أنه هو. ذلك المحقق ذو النظرة الفاحصة. طبعًا هي ليست مضطرة إلى فتح الباب. فهي سيدة المنزل وتستحم الآن، في حين جاء هو في ساعةٍ مبكرة جدًّا ليطرح أسئلة. كل ما عليها هو البقاء في الحمام حتى يرحل. سيظن أنها لم تستيقظ بعد أو ربما خرجت. فيما عدا أن سيارتها موجودة بالخارج. لا مشكلة، ربما ركبت الحافة كما تفعل أحيانًا حين لا تملك ثمن الوقود.

ماذا يريد الآن؟ على الأقل لا يعرف شيئًا بخصوص مال "مايا"، إلا إذا كانت قد تركت وصية وهو وجدها؟ ربما أوصت بكل ثروتها لملجأ النساء! ترنحت من الفكرة. طبعًا كان يمكنها هذا. إنها لم تضع مالها في البنك، بل وضعت وصية. وهناك المفكرة الحمراء الصغيرة التي تحوي أسرار حياتها. رن الباب مجددًا. اتخذت "إيفا" قرارًا سريعًا. لا فائدة من الاختباء في الحمام، فهو لن يستسلم. لفَّت المنشفة حول رأسها وخرجت إلى الصالة حافية وهي تحجل وتلهث مع كل خطوة. قال الرجل مبتسمًا:

- سيدة "ماجنوس"، لقد أزعجتكِ أثناء الاستحمام. أعتذر بشدة. كان عليَّ القدوم في وقتٍ لاحق.

ردَّت باختصار وهي تقف على عتبة الباب:

- لقد انتهيت بأي حال.

كان يرتدي سترة جلدية وبنطلون جينز، وبدا رجلًا عاديًّا وليس عدوها. عدوها هو الرجل الذي طاردها عند البحيرة، أيًّا من كان. ربما أخذ رقم سيارتها. فزعت عندما خطرت لها هذه الفكرة. لو فعلها فسرعان ما ستجده على باب بيتها. لم تفكر في هذا من قبل، فعبست بشدة. سألها الرجل:

- هل يمكن أن أدخل دقيقةً؟

لم ترد، بل أومأت وتراجعت لتفسح له المجال. أشارت إليه بالجلوس على أريكة غرفة المعيشة. أما هي فوقفت بصلابة في استعدادٍ للمقاومة. هذا ما ظنه وهو يجلس على الأريكة السوداء بهدوءٍ مدروس. فحصت عيناه الخبيرتان فحصًا دقيقًا الغرفة المكونة من الأبيض والأسود. لاحظ كيس حلوى التوت على الطاولة، ومفاتيح السيارة وحقيبة يدها المفتوحة وعلبة سجائر. سألها فجأة:

- هل آذيت قدمكِ؟

- إنه التواء بسيط. هل هناك مشكلة؟

جلست على الكرسي المجاور له على مضض.

- موضوع بسيط. أردت مراجعة الأقوال التي أدليتِ بها في المرة الماضية، من البداية إلى النهاية. هناك بعض التفاصيل التي أحتاج إلى المزيد من المعلومات عنها.

شعرت "إيفا" بالتوتر. أخذت سيجارة فورًا وتساءلت إن كان يمكنها رفض الإجابة. لم تكن متهمةً بشيء بأي حال، أم هي كذلك؟ سألته بتبجح:

- أخبرني، هل أنا ملزمة بالإجابة؟

فتح "سيير" فمه وقال بدهشة:

- لا، بالتأكيد لا!

أعطت عيناه الرماديتان لمحةً بريئةً من الأزرق وهو يضيف:

- لكن هل هذا يعني أن لديك ما يمنعك؟ ظننت أنه لما كانت الضحية صديقتكِ، فإنك سترغبين في التعاون بكامل إرادتكِ لكي نجد الفاعل. لكن إن كان لديكِ اعتراضات...

استدركت بسرعة وهي نادمة على سؤالها:

- لا، لا. ليس هذا ما قصدته.

واصل:

- في الأول من أكتوبر، يوم الخميس. لنبدأ من البداية. ركبتِ سيارة أجرة إلى "توردينسكيولدزجايتت". ووصلت سيارة الأجرة إلى هناك في السادسة مساءً، صحيح؟

- نعم.

- مما أخبرتني من قبل، قضيتِ بالكاد ساعة في شقة سيدة "دوربان".

- نعم، هذا صحيح بالتأكيد. ليس أكثر من هذا.

فكرت في المدة التي بقيتها هناك فعلًا، ربما ساعتان؟

فتح مفكرة وقرأ منها. هذا فظيع. كل ما قالته مكتوب لديه، ويمكنه استخدامه ضدها.

- هل يمكن أن تخبريني ماذا فعلتِ في هذه الساعة؟ بكل التفاصيل الممكنة؟

نظرت إليه بقلقٍ وقالت:

- ماذا؟

- منذ لحظة دخولكِ وحتى أغلقت هي الباب خلفكِ. أخبريني كل ما حدث. من البداية.

- حسنًا، اممم.. شربت كوب قهوة.

- هل غسلته بعدما شربتِ فيه؟

- ماذا؟

شعرت برأسها يدور.

- سألتكِ لأننا لم نجد أكوابًا متسخة. لكن وجدنا كوبًا يحتوي على آثار صودا.

- نعم! طبعًا! صودا. لقد نسيت. هل هذا مهم حقًّا؟

نظر إليها بحدَّة، فسكتت مثل المرة الماضية. جلست "إيفا" تنظر إليه وتنتظر. شعرت بنفسها تغرق أكثر فأكثر. فهناك الكثير من التفاصيل التي لم تفكر فيها.

- نعم، تناولت شطيرة وصودا. أعدَّت لي "مايا" شطيرة.

- نعم. شطيرة تونة؟

هزت "إيفا" رأسها بتساؤل. لم تعد تستطيع مجاراته. إنه يتكلم وكأنه كان هناك. ربما كان يختبئ في دواليب المطبخ ورأى كل شيء.

غيَّر وضعيته على الأريكة وقد بدا عليه التفكير والتساؤل، وسألها فجأة:

- هل يمكن أن تخبريني لماذا تقيأتِ تلك الشطيرة؟

شعرت "إيفا" أنها ستفقد الوعي. أجابت بتلعثم:

- شعرت بتوعك. كنت قد شربت بعض البيرة، والسمك لا يناسب معدتي. سهرنا معًا في الأمسية السابقة لتلك الليلة، ولم أكن قد تناولت الكثير. أنا لا أهتم بالطعام عادةً لذلك لم آكل شيئًا. لكنها أصرت أن آكله. كانت ترى أنني نحيلة.

توقفت وسحبت نفسًا. ألم تقرر أن تقول أقل القليل. لماذا نسيت ذلك!

- ألهذا استحممتِ هناك؟ لأنكِ شعرتِ بتوعك؟
ردت بسرعة:
- نعم!
ثم التزمت الصمت. لمح في عينيها نظرة تحدٍّ، وأدرك أنها سرعان ما ستتوقف عن الإجابة تمامًا.
- لقد فعلتِ الكثير خلال ساعة. هل أخذتِ قيلولة أيضًا في غرفة الضيوف؟
سألته ببلادة:
- قيلولة؟
- شخصٌ ما استلقى على السرير. أم إن الحقيقة البسيطة يا سيدة "ماجنوس" هي أنكِ كنتِ حقًّا شريكة "دوربان" وأنكِ شاركتها الشقة؟ هل كنتِ مثلها، تعملين في الدعارة لتدبير المال؟
- لا!
صرخت "إيفا" وهبت واقفة بقوة لدرجة أن كرسيها رجع للخلف.
- لا، لم أفعل هذا! لم أرغب في التورط في هذا. حاولت "مايا" إقناعي لكنني رفضت!
كانت ترتجف، وشحب وجهها كالطباشير.
- لطالما حاولت "مايا" إقناعي بالكثير من الأفكار الغريبة. ذات مرة ونحن في الثالثة عشر...
قطعت كلامها بسبب البكاء.
تفاجأ "سير" من ردة فعلها. أدار نظره إلى الطاولة وانتظر لتهدأ. الانهيارات العصبية تشعره بالإحراج. بدت له مثيرة للشفقة فجأة. انحلَّت المنشفة عن رأسها، وانسدلت على كتفيها، فتركت شعرها المبلول.
سألته "إيفا" هامسة:
- بدأت أتساءل إن كنت تظنني الفاعلة.
رد بهدوء:

- بالتأكيد أخذنا هذا الاحتمال في الاعتبار. لكنني لا أفكر الآن في دافعكِ أو قدرتكِ على القتل. هذا يأتي لاحقًا. في البداية نبحث عمن كانوا في المكان وعلى اتصال مباشر مع الضحية ولديهم فرصة لارتكاب الجريمة. ثم نبحث عن أدلة براءة.

وأضاف وهو يومئ برأسه:

- وأخيرًا نبحث عن الدافع. في حالتكِ هذه، كنتِ مع الضحية قبل وفاتها بمدةٍ قصيرة. لكن دعيني أوضح لكِ شيئًا. نحن واثقون بأن قاتل سيدة "دوران" رجل.

- نعم.

- نعم؟

- أعني ألم يكن أحد زبائنها؟

- هل هذا ما تظنينه؟

- ألم يكن كذلك؟ هذا ما قالته الصحف!

أومأ ومال إلى الأمام. فكرت أن رائحته لطيفة، ذكرتها برائحة والدها حين كان أصغر سنًّا. قال لها:

- أخبريني ما حدث.

جلست مجددًا وبذلت جهدًا رهيبًا لتقول الحقيقة بحذر. يجب أن تخبره ما حدث تلك الليلة وهي جالسة على الكرسي الصغير. عندها سيتساءل لماذا لم تعترف بكل هذا فورًا. هذا لأنها شخصية متقلبة، ينقصها الالتزام والثقة، ولا يُعتمَد عليها، وجبانة، ومبادئها مشكوك فيها، ولم تساعد صديقتها العزيزة التي عنت لها الكثير، بل أخذت مالها. يصعب عليها التصديق بأنها فعلت كل هذا. يا له من شعور لا يُحتمَل. تمتمت:

- أناً و"إيما" لا نملك الكثير من المال. لطالما كان الحال هكذا منذ رحيل "يوستن". أخبرت "مايا" بالحال. أرادتني أن أحلَّ المشكلة بطريقتها. أخبرتني أن أستعمل الغرفة الإضافية. كنا في مطعم "هانا"

وشربنا حتى الثمالة. بدأت أفكر في عرضها. كنت متعبة ولم أعد أحتمل أرق الليالي والإنذارات في البريد والتليفون المقطوع. لذلك اتفقنا أن أذهب إليها وأجرب. وهي ستساعدني وتريني كيف.

- نعم؟

- كنت مستاءة قليلًا حين وصلت، ولم أحتمل أن أكون بكامل وعيي. فالقرار سيصبح جديًّا. لقد أتيت كما اتفقنا، وقررت..

توقفتْ لأنها أدركت فجأة إنها كادت تصبح عاهرة. وهو عرف هذا أيضًا.

- لكن لم أستطع فعلها. أعطتني "إيما" صودا، وشعرت بكامل وعيي وأنا أجلس هناك، وتبخرت شجاعتي. فكرت في أنهم قد يأخذون "إيما" مني إذا انكشف الأمر. شعرت بالغثيان، فهربت من الأمر. لكن قبل ذلك شرحت لي بعض الأمور.

- ماذا شرحت؟

- كيف تسير الأمر.

- هل أرتكِ السكين؟

تراجعت "إيفا" لحظةً ثم قالت بسرعة:

- نعم، أرتني السكين. قالت إنه لزرع الخوف والاحترام في نفوس الآخرين. كنت مستلقية على السرير. عندها خفت وقررت الانسحاب. لا أعرف كيف عرفت كل هذا. لا أفهم شيئًا.

قال بريبة:

- من الواضح أن السكين لم يساعدها كثيرًا، أليس كذلك؟

- لا، إنها...

قطعت كلامها فجأة بفزع.

- ماذا كنتِ ستقولين؟

- إنها لم تكن قوية كفاية على الأرجح.

- وجدنا بصماتكِ في الشقة كلها.

أضاف ببطء:

- حتى على التليفون. بمن اتصلتِ؟

بصمات؟

ضمت أصابعها وهي تتذكر. ربما جاؤوا إلى بيتها وهي في الجبال. ربما فتحوا القفل وتسللوا في أرجاء البيت بالفُرَش الصغيرة التي يستخدمونها لرفع البصمات.

- بمن اتصلتِ يا "إيفا"؟

كذبت قائلة:

- لا أحد! لكنني فكرت في الاتصال بـ"يوستن".

- "يوستن ماجنوس"؟

- نعم، طليقي ووالد "إيما".

- ولماذا لم تفعلي؟

- غيرت رأيي. لقد هجرني، ولم أرد سؤاله عن شيء. ارتديت ثيابي وغادرت. أخبرت "مايا" أن ما تفعله خطر، لكنها ابتسمت. لم تستمع "مايا" لأحدٍ قط.

- لماذا لم تخبريني بكل هذا حين أتيت أول مرة؟

- شعرت بالحرج. لقد فكرت أنني هكذا سأصبح عاهرة في نظر أحدهم، ولم أتحمل أن يعرف أحد بالأمر.

قال ببساطة:

- أنا لم أحتقر أبدًا في حياتي النساء اللواتي يعملن عاهرات.

نهض وكأنه اكتفى من الاستجواب، ولم تصدق عينيها.

وقف على السلم ينظر إلى الممشى وإلى السيارة وإلى دراجة "إيما" المستندة إلى جدار البيت. ثم نظر إلى الشارع والبيوت الأخرى، وكأنه يحاول تكوين فكرة عمن يسكنون بداخلها ويتساءل أي نوع من الأشخاص يعيشون هنا في هذا الحي وهذا البيت.

- هل شعرتِ أن سيدة "دوربان" كانت تملك مالًا وفيرًا؟
فاجأها السؤال، لكنها ردت:
- نعم، كل أغراضها كانت غالية. وكانت تأكل في مطاعم وما شابه.
- نحن نتساءل إن كانت لديها ثروة مخبأة في مكانٍ ما، وأنه يوجد من يعرف بشأنها.
ضربتها نظرته كصاعقة مباشرة فرمشت عيناها بفزع.
- وصل زوجها أمس من فرنسا بالطائرة. نأمل أن يخبرنا أي معلومات حين نستدعيه للاستجواب.
استندت إلى إطار الباب بذهول.
- ماذا؟
- زوج سيدة "دوربان". تبدين مرعوبة.
قالت بضعف:
- لم أعرف أنها متزوجة.
عبس وقال:
- حقًّا؟ ألم تخبركِ؟ لو أنكما صديقتان من الطفولة، فمن الغريب ألا تخبركِ.
لو. لو أننا كنا أصدقاء طفولة حقًّا. لو أنني أقول الحقيقة. يمكنها أن تتكلم حتى الفجر ولن يصدقها.
- أليس لديكِ ما تضيفينه يا سيدة "ماجنوس"؟
هزت "إيفا" رأسها نفيًا. لقد جمَّدها الخوف مكانها. قد يكون الرجل الذي ذهب إلى الكوخ هو زوج "مايا"، وجاء يبحث عن ميراثه. ربما سيظهر أمامها يومًا ما. ربما ليلًا وهي نائمة. ربما أخبرته "مايا" بأنهما تقابلتا. هذا لو كان لديها وقت. ربما اتصلت به بمكالمة دولية إلى فرنسا.
نزل "سيير" الدرجات الأربعة وتوقف على الممشى ثم قال:
- عليكِ أن تغمري كاحلكِ بماءٍ ساخن. وتأكدي من ربطه بضمادة.
ثم غادر.

الفصل الثامن والعشرون

يجب نقل المال من البيت. راقبت السيارة "البيجو" وهي تبتعد ببطء، ثم أغلقت الباب بعنفٍ وأسرعت إلى القبو. عادت تشعر بالخدر في قدمها. أزالت الغطاء عن العلبة بسكين، وأفرغت مغلفات المال على الأرض الخرسانية، ثم جلست وبدأت تفك التغليف. كانت المغلفات مربوطة بشرائط مطاطية. فهمت بسرعة أن رزم المال لها نظام معين. الأوراق من فئة الألف مربوطة معًا، وكذلك فئة المائة. كان عدهم سهلًا. كانت الأرضية باردة جدًّا، حتى إنها لم تعد تشعر بمؤخرتها. واصلت العد وهي تحتفظ بالأرقام في عقلها مع كل رزمة تنتهي منها وتنتقل إلى التالية. نبض قلبها بعنفٍ وهي تفكر أين يمكن أن تخفي مبلغًا ضخمًا كهذا. من الخطر استخدام خزنة بنك، فهي تشعر أنهم سيراقبونها الآن وسيتتبعون كل خطوة. "سيير" وجماعته، وزوج "مايا".

"مايا" كانت متزوجة. لماذا لم تخبرها؟ هل شعرت أن وجود زوج بصفته شريكًا مدى الحياة يُعتبر عائق لها؟ أم هل هو كان أقرب إلى شريك عمل ليساعدها في إدارة الفندق التي أرادته؟ أم هو مجرد رجل لم ترغب في الاعتراف به؟ الاحتمال الأخير هو الأقرب للتصديق.

كانت علبة الطلاء أفضل مكان لإخفاء النقود، لكن عليها إخفاءها في مكانٍ آخر حيث لا يفكر أحد في البحث، وحيث يمكنها الأخذ من المال بسهولة كلما احتاجت. في بيت والدها طبعًا، في القبو مع الخردة التي جمعها على مدار السنين. سرير "إيفا" القديم. التفاح المتعفن في أدراج الخزين القديمة. الغسالة المعطوبة. تعرقت يداها في أثناء العد فصار أسهل فصل الأوراق المالية الجديدة عن بعضها. سرعان ما جمعت نصف مليون في كومة كبيرة، وهناك المزيد من الأكوام.

زوج "مايا". ربما كان رجلًا مشبوهًا حقًّا. إن كانت "مايا" عاهرة، فأي نوع من الرجال قد تتزوج. تاجر مخدرات أو ما شابه. ربما هي وهو كانا مجرَّدين من المبادئ. تساءلت فجأة: "وهل لديَّ أنا مبادئ؟". كانت تقترب من المليون وزادت سرعتها في العد. هذا يساوي ميزانية المئات من منازل البلدة. تستطيع ربات البيوت شراء أطنان من الحفاضات والطعام بهذا المبلغ. يا لها من فكرة غريبة.

وصلت إلى فئة المائة وبدأ العد يستغرق وقتًا أطول. رأت أن ورقة الخمسمائة كرونة هي الأجمل من حيث اللون والشكل. لونها أزرق جميل. وصلت إلى مليون وستمائة ألف. تجمدت أصابعها من البرد وهي تعد فئة الخمسين. لو أنه رأى لوحة سيارتها، عندها يمكنه إيجاد عنوانها خلال دقائق لو اتصل بإدارة المرور. لو أنه لاحظ السيارة وفكر قليلًا، لألقى عليها نظرة وفكر في الاحتمالات، نظرًا إلى أنها كانت خالية ومفتوحة بين الجبال بالقرب من الكوخ. لكنه ليس ذكيًّا كفاية ليبحث في الحمام. مليون وسبعمائة ألف. بقي القليل من فئة الخمسين. لقد اقتربت "مايا" من هدفها. مليون وسبعمائة ألف كرونة. لمع ورق التغليف الملقى على الأرض تحت نور المصباح العاري المعلق في السقف.

أعادت المال إلى العلبة وصعدت السلم. سكن الألم في كاحلها قليلًا، بسبب برودة القبو. تجمد شعرها الداكن مثل أغصان جافة حول عنقها.

وضعت العلبة في غرفة الغسيل وعادت إلى الحمام. استحمَّت بسرعة بماءٍ ساخن وارتدت ملابسها.

نظرت المليونيرة إلى المرآة وشعرت بأعصابها مشدودة. عليها أن تشتري غطاء سيارة. أو تشتري سيارة جديدة. ربما من نوع "أودي". لا داعي أن تكون كبيرة، ولا بأس أن تكون مستعملة. فجأة أدركت أن هذا مستحيل. لا يمكنها أن تشتري إلا اللبن والخبز كما كانت تفعل. حتى "عمر" سيشك فيها إن زادت المشتريات في السلة. سارت وهي تعرج وأحضرت العلبة. يجب أن ترضى بهذا في الوقت الحالي. يمكنها الانتقال من المنزل مع ابنتها بأي حال. أحضرت بعض ورق الألومنيوم من درج المطبخ، وغلفت رزم النقود، ووضعتها في العلبة ما عدا واحدة لصقت عليها شريط وكتبت عليه "شرائح لحم" ووضعتها في "الفريزر". لا فائدة من الاستعجال الآن. لقد استنفدت قدرًا لا بأس به من الستين ألفًا الأولى.

ارتدت معطفها وخرجت، لكنها تفقدت البريد أولًا، لقد نسيت أمره تمامًا. وجدت ظرفًا أخضر من مجلس الفنون. ابتسمت من المفاجأة. لقد وافقوا على إعطائها منحة.

***

قال والدها مبتسمًا:

- لقد بدأتِ تخرجين ليلًا. هذا دليل جيد.

- وكيف عرفت ذلك؟

- ظللت أتصل بكِ بالأمس حتى الحادية عشرة.

- نعم، كنت في الخارج.

- هل وجدتِ من يدفئ لياليكِ أخيرًا؟

قالت لنفسها: "بل كدت أتجمد حتى الموت. كنت غارقة حتى خصري وسط الفضلات إلى بعد نصف الليل". ردَّت عليه:

- نوعًا ما. لن أقول المزيد.

التزمت الصمت وعانقته وخرجت. كانت العلبة في صندوق السيارة. أحضرتها لاحقًا وأخفتها في القبو.

سألته:

- هل حدث معك جديد؟

- انطلق إنذار الحريق ولم أستطع إطفاءه.

قالت بسرعة:

- وماذا فعلت؟

- اتصلت بالمطافئ وجاؤوا فورًا. إنهم لطفاء. اجلسي الآن وأخبريني إلى متى ستبقين. هل يمكن أن تبقي معي قليلًا؟ بالمناسبة، إلى متى ستبقى "إيما" عند "يوستن"؟ هل تفكرين في تركها له؟

- لا تكن سخيفًا، لن أفكر في هذا حتى. لكن يمكنني البقاء قليلًا بالتأكيد. سأحضر العشاء.

- لا أظنني أملك شيئًا في الثلاجة.

- إذًا، سأخرج لشراء الطعام.

- لا، ليس لديكِ المال لتطعميني. سأتناول فتة شعير.

سألته بابتسامة:

- ماذا عن شريحة لحم؟

ردَّ باستياء:

- أكره عندما تتحدثين بسخافة.

- لقد حصلت على المنحة اليوم. وليس لديَّ من أحتفل معه.

عندها استسلم. بدأت "إيفا" تتحرك في المنزل، فشعر براحةٍ وسكون. هذه هي الأصوات التي يفتقدها، أصوات شخص آخر يتنفس ويتحرك معه. إنها تختلف تمامًا عن أصوات الراديو والتليفزيون.

سألها بانزعاج:

- هل قرأتِ الصحف؟ توجد فتاة مسكينة ماتت خنقًا في سريرها. من يرتكب فعلًا كهذا يستحق الضرب على رأسه بالعصا. يا لها من مسكينة. كيف يعاملها بهذا الشكل وهي تقدم له خدمة وسريرًا وكل شيء. لم أسمع بشيءٍ كهذا. شعرت أن اسمها مألوف، لكن لا أذكرها. هل قرأتِ الخبر يا "إيفا"؟ هل نعرفها؟

قالت من المطبخ:

- لا.

عبس وقال:

- هذا مريح. فلو كنت أعرفها، لتعقبت الرجل وضربته على رأسه بعصا. لأن الشرطة ستعاقبه فقط بزنزانة فيها تليفزيون وثلاث وجبات يوميًّا. هل سيهتم أحد بسؤاله إن كان نادمًا؟

- سيفعل شخصٌ ما بالتأكيد.

ربطت "إيفا" كيس القمامة وذهبت إلى الباب.

عليها أن تكون حذرة الآن.

- إنهم يأخذون هذا في عين الاعتبار في أثناء تقرير الحكومة. أي يرون إذا كان المجرم يشعر بالندم أم لا.

- ها! إذًا يعتذرون عما فعلوا وينفدون بفعلتهم.

- ليس بهذه السهولة. لديهم خبراء لمعرفة إذا كان الشخص يكذب.

ارتجفت وهي تقول الجملة الأخيرة.

ثم اختفت في الخارج. سمعها وهي تغلق غطاء صندوق القمامة. انتظر قليلًا لكنها لم تدخل. "في الفتاة خطبٌ ما. وكأنها تحاول إخفاء شيءٍ عني. أعرفها جيدًا ولا يمكنها خداعي. تمامًا كما حدث في وفاة سيدة "سكولينبورج". لقد تصرفت بهيستريا. كان هذا غريبًا. فالسيدة قاربت

على التسعين، ولا أحد من الأطفال يحبها، وكانت سيئة الطباع. أثار الأمر ريبتي. والآن هي تفعل شيئًا في القبو. ماذا قد يكون بحق الجحيم؟".

أخذ يفكر وهو يحاول إشعال قداحة تقليدية ترفض الاشتعال. حكها بقوة بين يديه الخشنتين حتى ضبط ضغط الغاز واشتعلت أخيرًا. يمكنه أن يخرج اللهب من قداحة شبه فارغة حتى عشر مرات. فكر مع نفسه قائلًا إنه عندما تكون على المعاش عليك أن تتعلم الاقتصاد.

سألته "إيفا" التي عادت من القبو أخيرًا وهي تحمل طبقًا من النوع الذي يتحمل حرارة الفرن:

- كيف تريد شريحتك؟

- ماذا تفعلين بهذا الطبق؟

ردت بسرعة:

- لقد وجدته في القبو. سأشوي فيه بعض الخضار.

- ألا تسلقين الخضار؟

- نعم، أحيانًا. هل تحب البروكلي؟ طريًّا بالملح والزبد؟

- تأكدي إن كان لديَّ نبيذ كفاية.

- لديك الكثير. لم أعرف أن لديك مخزونًا احتياطيًّا في القبو.

- هذا في حال خسرت مال الإعانة. لا شيء مضمون. يحاول مجلس المدينة توفير المال. وهذا العام وحده يريد توفير عشرين مليونًا.

سحب نفسًا طويلًا من السيجارة ليمنع أي تعليقات منها، ثم سألها:

- منذ متى تهتمين بالطعام؟ في العادة تكتفين بالخبز.

- ربما بدأت أكبر. لا أعرف. رغبت في طعامٍ مناسب وحسب. فتة الشعير والنبيذ لا يتماشيان معًا.

- هذا هراءٌ تام. إن فتة الشعير المملحة المطبوخة بدهن الخنزير والنبيذ الأحمر هي وجبة مناسبة بلا شك.

- سأذهب إلى قسم اللحوم الطازجة في متجر "لورينتزين". هل تريد شيئًا آخر؟

زمجر قائلًا:

- الشباب الأبدي.

عبست "إيفا" لأنها تكرهه عندما يتحدث هكذا.

طلبت نصف كيلو من اللحم المخلي دون تردد. كانت الموظفة امرأة قوية وترتدي قفازات طبية. مدت يدها مباشرةً لقطعة كبيرة من اللحم كانت شديدة الحمرة مثل لون الكبد. هل هكذا تبدو قطعة اللحم؟

سألتها الموظفة وهي ترفع السكين:

- هل تريدينها كاملة أم شرائح؟

- أيهما أفضل؟

- شرائح رفيعة. انتظري حتى يتحول لون الزبد إلى البني ثم مرري اللحم على المقلاة بسرعة على الوجهين وكأنكِ تسيرين على أسفلت طري. إياكِ أن تقليها.

- لا أظن أن أبي سيحب اللحم النيئ.

- لا تسأليه عما يريده، فقط افعلي ما أقول.

ابتسمت فجأة وأحبت "إيفا" تلك المرأة البدينة بمعطفها الأبيض النايلون والقبعة الشبكية الصغيرة التي ترتديها على شعرها. ربما تلك القبعة علامة على النظافة لكنها تبدو مثل تاجٍ صغير. وقطع اللحم التي ترقد أمام البائعة هي المملكة التي تحكمها.

وزنت اللحم ووضعت ملصق السعر عليه برفق وكأنها تضمد جرحًا. مائة وثلاثون كرونة، يا له من سعر. تجولت بين الرفوف وهي تضع أشياء صغيرة في السلة. من الأفضل أن تضعها في الثلاجة دون أن تقول شيئًا لوالدها، وإلا لن يقبلها. جبن، كبد، كيسان من أجود أنواع القهوة، زبد، كريمة، بسكويت محشو. وبقرار مفاجئ أخذت ثلاثة أكياس من الملابس الداخلية لكي تضعها خلسة في

درج الملابس على أمل أن يستخدمها. قبل أن تحاسب مباشرةً، أضافت علبة من الشوكولاتة بالنوجة واللوز المطحون، ومجلتين، وعبوة من علب السجائر. كانت الفاتورة كبيرة. اندهشت لمعرفتها أن كبار السن يحتاجون إلى شراء سلة بقالة مرة في الأسبوع على الأقل لكي يرفهوا عن أنفسهم في آخر حياتهم. أما الشباب فيمكنهم أكل فتة الشعير.

دفعت الحساب وحملت الأكياس إلى سيارتها وعادت إلى والدها.

سألها وهو يمضغ اللحم الطري:

- لماذا فعلها في رأيكِ؟

- فعل ماذا؟

- قتلها في سريرها وكل هذا.

- لماذا تشعر بالفضول إلى هذا الحد؟

- ألستِ فضولية؟

انتظرت "إيفا" لحظةً ومضغت ببطء لتمنح نفسها وقتًا، مع أنها كانت تستطيع بلعها دون مضغٍ أصلًا. ثم قالت:

- نعم، قليلًا. لماذا تسأل؟

- أنا مهتم بالجانب المظلم من النفس البشرية. أنتِ فنانة، ألستِ مهتمة بالدراما الإنسانية؟

- عالمها كان غريبًا عني. لا أعرف شيئًا عنه.

- كانت في مثل سنكِ.

- نعم، وسخيفة أيضًا. الانخراط في عملٍ كهذا ليس عملًا ذكيًّا. على الأرجح كل همها كان الحصول على مالٍ وفير بأسرع وسيلة ومن دون ضرائب. لا بدَّ أنها تشاجرت مع الزبون مثلًا.

ملأت كأس والدها ووضعت بعض المرق على قطعة اللحم الخاصة بها.

قال بتفكير:

- لقد تعديا الحد. أتساءل لماذا يتجاوز بعض الناس حدودًا لا يفكر آخرون في بلوغها حتى.

قالت "إيفا":

- أي شخص يستطيع فعل ذلك على حسب الظروف. لا أحد يتعمَّد أن يتعدَّى حدوده، بل هو ينجرف. في الواقع هو لا يشعر بنفسه إلا بعد فوات الأوان.

ثم قالت لنفسها: "لقد فات الأوان فعلًا وسرقت ثروة".

قال والدها فجأة:

- لقد صفعتُ أحد زملائي في العمل ذات مرة، لأنه كان شريرًا وروحه متعفنة. بعدها عاملني باحترام وكأنه تقبل الحقيقة. لم أنسَ هذا الموقف قط. إنها أول مرة في حياتي أضرب فيها أحدًا، لكنه كان ضروريًّا. ما كان شيءٌ غير هذا سيخفف غضبي. شعرت أنني سأُجنُّ لو لم أصفعه، وكأن عقلي يغلي.

أخذ بضع رشفات من النبيذ ثم لعق شفتيه بتفكير. قالت "إيفا" فجأة:

- العدوانية ناجمة عن الخوف. إنها مجرد دفاع عن النفس بشكلٍ ما. وسيلة يدافع بها الشخص عن نفسه، جسده، تفكيره، شرفه.

- يوجد أشخاص يقتلون للمكسب فقط.

- نعم طبعًا. لكن هذا مختلف. الضحية في الصحيفة لم تُقتَل من أجل المال بالتأكيد.

- بأي حال، سيقبضون عليه قريبًا. أحد سكان المبنى رأى سيارته. من السخافة أن سياراتهم هي ما تكشفهم دومًا. إنهم ليسوا أذكياء بما فيه الكفاية لاستخدام أقدامهم اللعينة حين يذهبون لارتكاب جرائمهم الفظيعة.

- ماذا قلتَ؟

- ألم تقرأي هذا الخبر؟ لم يدرك الساكن أن للأمر أهمية. لقد كان بعيدًا عن البيت حتى هذا الصباح. لكنه رأى سيارة تستدير عند المنعطف بسرعةٍ كبيرة جدًّا. سيارة بيضاء، ليست جديدة بالضرورة. على الأرجح "رينو".

- ماذا؟

أفلت السكين منها على الطبق، فتناثر المرق.

- "رينو". موديل خاص، ليس شائعًا جدًّا. لذلك تظن الشرطة أن إيجاده سهل. سجلات المرور مفيدة حقًّا. كل ما عليهم هو البحث عن كل من يملك هذا النوع من السيارات ويحققون معهم واحدًا تلو الآخر. سيضطر كل واحد إلى تقديم دليل براءة. وليكن الله في عون من يعجز عن ذلك. خطة ذكية.

توقفت "إيفا" عن المضغ وهي تكرر:

- "رينو"؟

- نعم. الشاهد كان سائق أجرة شيخ يفهم في السيارات. من حسن الحظ أنها لم تكن سيدة. فهنَّ لا يفهمن الفرق بين "البورش" و"الفولكس فاجن".

أخذت "إيفا" تنغز قطعة البروكلي وشعرت بيديها ترتجفان. يا للأسف، مجهود بلا فائدة!

- ربما أخطأ في السيارة. فكر في الوقت الثمين الذي سيهدرونه!

قال والدها بدهشة:

- لكن ليس لديهم خيط آخر، صحيح؟ ولماذا قد يخطئ؟ إنه يفهم في السيارات، هذا ما قالوه على الراديو.

ابتلعت النبيذ بصوتٍ مسموع وحاولت إخفاء إحباطها. هل يمكن أن تتشابه "الرينو" مع "الأوبل"؟ لكن السيارات الفرنسية مختلفة تمامًا. ربما كان مجرد أحمق يسعى لجذب الانتباه. فكرت في "إلمر" وسعادته بهذه المعلومة السخيفة. بالتأكيد سمع الخبر، فهو على الأرجح ملتصق بالراديو وقت نشرات الأخبار. لا بدَّ أنه يفرك يديه بارتياح، ويكاد يبكي من الاطمئنان.

سألته باقتضاب:

- هل تريد مهلبية بالقشدة للتحلية؟
- نعم، هل يمكنني الحصول على قهوة أيضًا؟
- دائمًا تطلبها!

قال بلا مبالاة:

- نعم، نعم. كنت أمزح.

نهضت ونظفت الطاولة. أخذت تصدر أصواتًا بالأطباق وأدوات المائدة وهي تتخبط منها. عليها أن تفعل شيئًا، فهذه غلطتها أنه ما زال طليقًا. لو أخبرت الشرطة بالحقيقة، لقبضوا عليه فعلًا. والآن سيقبضون على رجلٍ بريء غالبًا. وضعت سيجارة إلى جانب كوب والدها، وأغرقت الأطباق بالماء. بعدها تناولا الحلوى بصمت. التصقت المهلبية بشفة والدها العليا مثل شارب أبيض من الرغوة. فلعقها باستمتاعٍ كبير. ظل ينظر إليها خفية بين لحظةٍ وأخرى. ظن أنها ربما تمر بدورتها الشهرية، لهذا تبدو غريبة.

أجلسته على الأريكة وذهبت لتغسل يديها. وضعت أربعمائة كرونة في برطمان النقود، وتمنت ألا يتحدث معها عن المال. بعدها جلسا معًا على الأريكة وهما يشعران بالنعاس من أثر الطعام والنبيذ، وقد هدأت "إيفا". قالت ببطء:

- سيقبضون عليه. يوجد دائمًا شاهد لكنه متردد قليلًا، وفي النهاية سيبلغ الشرطة. لا أحد يفلت بجريمةٍ كهذه. فالحياة ليست ظالمة إلى هذا الحد. من الصعب أن يظلَّ صامتًا. لا بدَّ أن يعترف لأحد وهو سكران مثلًا. الرجل الذي يقتل بسبب غضبه يكون غير متزن، ومن ثَمَّ لن يمكنه التحكم بنفسه طوال حياته دون كشف السر. سيضطر إلى ائتمان شخصٍ على سره، وهذ الشخص سيذهب إلى الشرطة. أو ستعرض الشركة مكافأةً، فسيبلغ عنه شخصٌ ما بسرعة، شخص طماع.

وقفت كلماتها كغصة في حلقها.

– ما أقصده هو أنه يوجد شخص ما بالتأكيد رأى التفاصيل الصحيحة ويشعر بالمسؤولية. لكنه متردد قليلًا، أو خائف.

تمتم والدها بنعاس:

– لا، بل هو جبان. البشر جبناء. هذه هي الحقيقة. يفكرون في الاختباء فقط، ولا يرغبون في التورط. من اللطيف أن يكون لديكِ إيمان بالعدالة يا عزيزتي، لكن هذا لا يساعد. أعني لا يساعد الضحية. لا أحدَ يمكنه مساعدتها بعد الآن.

لم ترد "إيفا". فلو ردت، لارتجف صوتها. لذلك سحبت نفسًا من سيجارتها. سألته فجأة:

– لماذا ضربت ذلك الرجل؟

– من؟

– زميلك في العمل، الذي كنت تتحدث عنه.

– قلت لكِ، لأنه كان شريرًا.

– هذه ليست إجابة شافية.

سألها:

– لماذا تصرفتِ بهيستريا حين ماتت سيدة "سكولينبورج"؟

– سأخبرك بهذا لاحقًا.

– وأنا أحتضر؟

– اسألني وقتها وسنرى.

بدأ الليل يحل. فكرت "إيفا" في "إلمر" وتساءلت ماذا يفعل. ربما كان يجلس محدقًا إلى الجدار أو في ورق الحائط. أو يتأمل يديه ويتساءل كيف تخرجان عن السيطرة بهذا الشكل. كل هذا في حين ترقد "مايا" في ثلاجة المشرحة دون وعي ولا أي فكرة في رأسها البارد. انتهت "إيفا" من أفكارها، وصبت المزيد من النبيذ. شعرت بأفكارها تختفي وسط ضبابٍ تعجز عن اختراقه بنظرها.

الفصل التاسع والعشرون

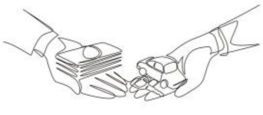

حل النهار بضبابه ونسيمه البارد. لكن الضباب انقشع سريعًا وقد كانا يفطران على صوت الراديو في الخلفية. استمعت "إيفا" بلا اهتمام قبل أن ترهف سمعها فجأة حين بدأت الأخبار. احتُجِز رجل على صلة بالجريمة. سائق حافلة في السابعة والخمسين، يملك سيارة "رينو" بيضاء. تجاهل الاثنان الطعام وركَّزا مع الأخبار. قال والدها:

- ها! لا يملك دليل براءة.

شعرت "إيفا" بقلبها ينقبض. اعترف المشتبه به بإقامة علاقة مع الضحية مقابل المال عدة مرات. لا عجب في ذلك، فقد كانوا كثر. لقد أحاطوا بـ"مايا" عامين. تخيلت مستقبل الرجل البريء وهو ينهار. ربما لديه عائلة. "إنها غلطتي". قال والدها بانتصار:

- ألم أقل لكِ؟ لقد قبضوا عليه فعلًا.

- الأمر يبدو بسيطًا جدًّا في نظري. لا يمكن أن يقبضوا عليه لمجرد أنه يمتلك هذا النوع من السيارات ولأنه لا يملك دليل براءة. ولا يوجد قانون يمنعه من النوم مع عاهرة مقابل المال.

رفعت صوتها وهي تضيف:

- في الماضي، ما كان يُعترَف بالرجل حتى يزور بيت دعارة.

- يا إلهي.

نظر والدها إليها بدهشة. كانت "إيفا" تتعرق.

- لماذا أنتِ متشائمة جدًّا؟ ألا يقبضون عليهم دائمًا؟ هذه بلدة صغيرة.

- أحيانًا يخطئون.

عانيت من القشرة الجافة لخبز القمح الكامل الخاص بوالدها، وهي تشعر بقرارٍ يفرض نفسه عليها. يجب أن تفعل شيئًا.

- لا بدَّ أنه يوجد الكثير من الرجال الذين زاروا هذه المرأة، ولديهم سيارات بيضاء وليست لديهم أدلة براءة.

انتهت من الأكل ونهضت ونظفت الطاولة. غسلت يديها ووضعت محفظتها بين صحيفتين في غرفة المعيشة ثم أخذت معطفها. عانقت والدها عناقًا سريعًا وقالت وهي تلوِّح له:

- أراكِ لاحقًا، قريبًا.

- أتمنى ذلك بكل تأكيد.

دفع أسنانه الصناعية التي ترتخي كلما ابتسم بشدة، ولوَّح لها. شاهد سيارة "الأسكونا" وهي تغادر، فشعر بالرجفة المعتادة التي تأتيه عندما يكون مع صحبة ثم يعود وحيدًا فجأة. ازدادت سرعة السيارة تدريجيًّا ووصلت إلى آخر الطريق باتجاه نفق "هوف". قالت لنفسها: "سأتجه إلى المنزل الأخضر في "روزينكرانتزجايت"، وأكتشف من هو". لديها حقيبة كتف في السيارة، لذلك يمكنها أن تتنكر في هوية مندوبة مبيعات أو ممثلة عن أي هيئة. ربما يمكنها أن تلمح زوجته أو تتحدث مع الولد إن كان ابنه. ربما تدعي أنها من أتباع طائفة "شهود يهوه". ألا يرتدون كلهم تنورات ويطيلون شعورهم؟ على الأقل كانوا يفعلون هذا وهي صغيرة. أم إنهم أتباع "المورمونية"؟ أليسوا الشيء نفسه؟

كانت بداخل النفق. ألقت نظرة سريعة إلى المرآة على وجهها الخالي من مساحيق التجميل، لكنها لم ترَ إلا ومضات برتقالية بسبب أضواء النفق المنعكسة عليها. بالكاد تعرَّفت نفسها وهي تمسك المقود وتشعر بحرارةٍ في جسدها. لم تشعر بهذه الحرارة منذ أيام طفولتها مع "مايا". إنها حرارة الشغف الذي مات بداخلها بسبب زواجها التعيس وأكوام الفواتير المستحقة والقلق حيال وزن "إيما" الزائد والإحباط من عدم نجاحها كفنانة.

اشتعلت الحرارة في جسدها، ثم انتشرت فيه تدريجيًّا. عادت إلى الحياة، وشعرت أنها تستطيع دخول مرسمها ورسم صورة تشع بالقوة البدائية وتسحق كل ما رسمته من قبل، ويحفزها على ذلك غضبها المبرر. شعرت بالحماس، وتسارع نبضها، وساعد الضوء البرتقالي الذي يوحي بالنيران في توهج شعلة الحماس في قلبها حتى عادت إلى وسط المدينة. عندها انتقلت إلى حارة القيادة اليمنى الخاصة بالسرعة القليلة نسبيًّا، وقادت إلى "روزينكرانتزجايت".

المنطقة المحيطة بالمنازل الملونة كانت مهجورة، فالوقت كان باكرًا. تخطت المنزل الأخضر قليلًا وركنت خلف مرآب لركن الدراجات في أطراف المنطقة السكنية. سارت بخفة بين المنازل وهي تحاول التظاهر بأنها متأنية وراضية، وكأنها تحمل رسالة مفرحة في حقيبة الكتف الكبيرة. لاحظت تفاصيل المكان، مثل مرآب الدراجات، والملعب الصغير بالأرجوحة وصندوق الرمل، وحبال الغسيل، وسور الشجيرات المزين بما تبقى من أزهار صفراء، ولعبة بلاستيكية قديمة بهت لونها ملقاة بإهمال على مساحة صغيرة من العشب. استدارت نحو البيت الأخضر، وتقدمت إلى المنزل. ستتعرف بسهولة المرأة الشقراء إن رأتها مجددًا. لن تنسى تلك المرأة الرشيقة بحركات جسدها السخيفة.

نظرت "إيفا" إلى الجرسين، واختارت الجرس العلوي المكتوب عليه "هيلاند". لكنها وقفت لحظةً تستجمع شجاعتها. نظرت عبر زجاج الباب المدعوم بشبكة معدنية، فلم تستطع رؤية شيء. وكذلك لم تستطع سماع شيء. لذلك فزعت حين انفتح الباب فجأة وظهر رجل ينظر إليها مباشرةً. لكنه ليس "إلمر". هناك منزلان ملتصقان من جدارٍ واحد ويتشاركان المدخل. أومأت بسرعة إلى الرجل وأفسحت له المجال ليمر. نظر إليها بريبة، فنظرت إلى الجرسين مجددًا وسألت الرجل:

- "هيلاند"؟
- نعم، هذا أنا.
- إذًا، "إينارسون" هو من أريد.

استدار لينظر إليها قبل أن يتجه إلى المرآب. فتسللت هي من الباب كاللصوص.

كانت اللافتة من البورسلين، ومرسوم عليها صورة بدائية تصور أمًّا وأبًا وطفلًا، وتحت كل منهم اسمه؛ "يوران"، و"إيجيل"، و"يان هنري". أومأت لنفسها وخرجت مجددًا. "أعرف من أنت وماذا فعلت. وقريبًا ستعرف أنني أعرف".

***

عادت إلى بيتها وهي تفكر بتركيز.

تجاهلت كل ما لديها من مهام. تبخرت كل فكرة بمجرد وصولها إلى عقلها الواعي. تحول كل غضبها إلى طاقة. تخيلت سائق الحافلة المسكين، الذي ربما يكون زائد الوزن وأصلع. تخيلته جالسًا في غرفة الاستجواب ويشرب قهوة سريعة التحضير ويدخن ما يريد من السجائر، أي الكثير منها في حالته هذه. لن يدخن من باب الاستمتاع، بل لإشغال يديه بأي شيء، فليس لديه ما يفعله بهما وهو محاط من كل جانب بضباط يراقبون يديه وهم يتساءلون إن كان قد قتل "مايا" بهما. بالتأكيد سيفحصون الحمض النووي "DNA"، لكن هذا

سيستغرق بعض الوقت، ربما أسابيع. وفي أثناء ذلك سيضطر إلى الانتظار. حتى لو لم يُقِم علاقة مع "مايا" تلك الليلة، ما زال يمكنه قتلها. هكذا سيفكرون. طبعًا سيعاملونه بإنسانية، على الرغم من اتهامه بالقتل، الذي يُعتبر أبشع الجرائم وأكثرها وحشية. لكن هذا لا يمنع من أن يأتي ضابط لئيم بعينين حادتين ويدمر أي بقايا من شعور هذا الرجل بالأمان أو الاحترام لذاته. حتى "سيير" بكل هدوئه وصبره قد يتحول إلى كابوس. هذا ليس مستحيلًا. وربما خلف كل هذا توجد زوجة منهارة من الخوف. في هذه المواقف يفقد الناس ثقتهم ببعضهم.

بحثت في دولابها عن ملابس لا ترتديها عادةً. بنطلون جيش قديم بجيوب على الجانبين. كان سميكًا وخشنًا وغير مريح وليس ذوقها مطلقًا، لذلك هو مناسب الآن. عليها أن تخرج عن طبيعتها لكي يكون الأمر أسهل. كنزة "بلوفر" باللون الأسود، وحذاء مطاطي برقبة قصيرة أبيض اللون. هكذا اكتمل تنكرها. جلست إلى طاولة الطعام ومعها قلم رصاص ومفكرة. أخذت تمضغ القلم وهي مستمتعة بطعم الخشب والكربون الناعم، كما تستمتع بلعق فرش الرسم بعد نقعها في زيت "التربنتين". لم تخبر أحدًا بهذا قط، إنها متعتها السرية.

بعد ثلاث محاولات، أصبحت الرسالة جاهزة. قصيرة وبسيطة، دون أي إضافات. فكرت في أن الأسلوب يصلح بأن يكون المرسل رجلًا، وهي تستمتع بشعورها بالقوة. إنه شعور جديد، قوة جديدة تدفعها. لم تختبر هذا الإحساس منذ زمنٍ طويل، لكنها تشبثت به وتبعته بكل بساطة ودون إجبار. إنها الآن تندفع بحماس، و"مايا" كانت لتوافقها. كتبت:

"سأعرض عليك سعرًا مرضيًا لو قبلت ببيع السيارة".

هكذا فقط، ووقعت. لكنها ترددت عند هذه النقطة. لا يجب أن تكتب اسمها الحقيقي، لكنها لم تستطع اختراع اسم. فكل ما فكرت فيه بدا سخيفًا.

في النهاية وجدت الحل. اختارت اسمًا حقيقيًّا لا يعرفه ورقم تليفون ليس لها. أضافت في النهاية "نتقابل بعد مناوبة السابعة مساءً". انتهى الأمر. تجاهلت الحقيبة والمعطف ووضعت الرسالة في جيب سترة بنية. وجدت وشاحًا قصيرًا وربطته حول رأسها من مؤخرة عنقها. توقفت أمام المرآة الطويلة في الصالة لتتفقد مظهرها، فلم ترَ إلا غريبة بأذنين بارزتين من تحت الوشاح. بدت مثل طفلة كبيرة الحجم. لكن لا يهم، فشكلها ليس سخيفًا جدًّا. أهم شيء هو أن مظهرها يجب أن يختلف عن المعتاد. أخيرًا نزلت إلى القبو وبحثت عن طاولة الأدوات، ووجدت إحدى حقائب الصيد الخاصة بـ"يوستن". ووجدت في قاعها سكينًا طويلًا ورفيعًا، وحجمه مناسبًا تمامًا لجيب بنطلونها الجانبي. مجرد وسيلة حماية بسيطة، لزرع الخوف والاحترام. في حال قرر "إيجيل إينارسون" ارتكاب حماقة.

ركنت السيارة عند حمامات السباحة. لم ترَ أثرًا لموظف الأمن، لا بدَّ أن لديه أماكن أخرى لتفقدها. ربما يتجول بين خزائن الموظفين أو الحمامات، أو يراقب صناديق البيرة والمياه المعدنية. فبالتأكيد يوجد موظفون لصوص هنا كما في أي محل عمل. عبرت الطريق ومرت بالحاجز. أدهشها مجددًا عدد السيارات البيضاء الهائل، لكنها بحثت تلقائيًّا عن سيارته مثل المرة الماضية. لم تجدها. انزعجت عندما خطر لها أنه قد لا يكون في العمل اليوم، وأنه انهار أخيرًا وهرب. تسللت الفكرة إلى عقلها وأخلَّت توازنها. ربما يعمل في المناوبة الليلية، لكنها واصلت البحث. ربما عرف بشأن شهادة سائق الأجرة وشعر بالأمان. كيف رآها "رينو"؟! أي غباءٍ هذا! ظلَّت تنظر خلفها بين لحظةٍ وأخرى، لكنها لم ترَ أحدًا.

تحركت بخفة العنكبوت بين السيارات حتى وجدت "الأوبل" على طرف المرآب. لم يركنها بوضع معتدل اليوم، وكأنه كان في عجلة. تمتمت في سرها: "ستزداد حياتك سوءًا". أخرجت الرسالة من جيبها وفردتها

ووضعتها تحت ماسحة الزجاج. وقفت وهلةً تتظاهر بالإعجاب بالسيارة في حال كان أحد يشاهدها من إحدى النوافذ. عادت إلى سيارتها مجددًا واتجهت إلى الشارع الرئيسي. شعرت وكأنها تبدأ سباقًا لم تتمرن عليه. شعرت بثقل مهمتها، لكنها شعرت أيضًا بأنها مرتاحة ومستعدة ومصممة على التنفيذ. ستتذكر هذا اليوم ما عاشت. الأحد، الرابع من أكتوبر، غائم قليلًا مع نسيم قوي.

***

ظلت تنظر إلى الساعة كل ربع ساعة.

عندما قاربت السادسة، ركبت سيارتها وقادت خمسة وعشرين كيلومترًا إلى بيت والدها. رأى سيارتها وهي تقترب عن بعد، وكان واقفًا على السلم بوجهٍ عابس عندما وصلت. "يا لها من ملابس غريبة، وكأنها ذاهبة للتجوال في الغابات، أو أسوأ". هز رأسه بتعجب.

- هل ستسرقين بنكًا؟
- صحيح، ما رأيكَ أن تقود سيارة الهروب؟
- لقد نسيتِ محفظتكِ.
- نعم، لهذا أتيت.

ربتت خده ودخلت وهي تُلقي نظرة سريعة على غرفة الأدوات حيث يضع التليفون. كان الباب مواربًا. لا أحد يتصل على هذا التليفون تقريبًا. نظرت إلى الساعة مجددًا، وفكرت في أنه قد لا يتصل أبدًا، أو قد يتصل آخر المساء. بين الرجال وسياراتهم علاقة خاصة. يتفاخرون بها، يناقشون ثباتها على الطريق وهيكلها وقوتها والمكابح وبراعة الصناعة الألمانية، كل هذا وهم يسيل لعابهم ويومئون برأسهم في فهم. هذه هي نقطة الضعف الأخطر لدى الرجال، هذا بناءً على المفهوم البسيط الذي لديها عنهم. هذه السيارة هي أقصى أولوياته، في حين تحتل زوجته وابنه المرتبة الثانية. لم تكن واثقة من رغبته في البيع، لكنها

لم تنوِ الشراء. عندما يدرك أنها امرأة، سيكون قد وقع في الفخ تمامًا. إنه رجل يرتاد بيوت الدعارة. مخادع يستخدم مرتبه في شراء الهوى في حين أنه متزوج ولديه ابن. إنه وغد. زبون مشبوه. وربما سكير أيضًا، ومن الواضح أنه مختل عقليًّا. أحمق و...

- لمَ وجهكِ أحمر؟

أخرجها والدها من أفكارها، فتمالكت نفسها وقالت:

- لديَّ ما أفكر به.

- هذا واضح. هل سمعتِ أخبارًا من "إيما"؟

- ستأتي قريبًا. هل تظن أنني أمٌ سيئة؟

تنحنح ثم قال وهو يذهب خلفها إلى المطبخ:

- ليس إلى هذا الحد. أنتِ تبذلين أقصى جهدكِ. لا أحدَ جيدٌ بما فيه الكفاية، بالأخص لـ"إيما".

قالت:

- يا إلهي، أنت مهتمٌّ بهذه الفتاة أكثر مما اهتممت بشأني طوال حياتي.

- هذا طبيعي. انتظري حتى تصبحين جدَّة. إنها بمنزلة فرصة ثانية للتعويض عن أخطاء أول مرة.

- لكنكَ كنتَ جيدًا معي بما فيه الكفاية.

- على الرغم من انتقالنا؟

استدارت له وهي تمسك بكيس قهوة وقالت:

- نعم.

- ظننتكِ لم تسامحيني.

- ربما لا. لكن كل شخص مسموح له بارتكاب نسبة من الأخطاء، حتى أنت.

قال بنبرة بريئة تمامًا:

- ألم يكن السبب هو رحيلكِ عن صديقتكِ المقربة. ماذا كان اسمها؟

- امم.. "ماي بريت".

- "ماي بريت"؟ هل كان هذا اسمها؟

وضعت القهوة في ماكينة التنقيط وهي تحبس أنفاسها. من حسن الحظ أنه رجل مسن الآن، وذاكرته لم تعد كالسابق. شعرت بالذنب لأن الأكاذيب تسيل من فمها بسهولة.

- أنتِ تفتقدين "إيما" أيضًا، لذلك أصبحتِ تأتين طوال الوقت. لو أقامت عند "يوستن" مدةً طويلةً ستضطرين إلى دفع جزء من نفقاتها. أتعرفين ذلك؟

- لن يحلم حتى بهذا. لا تكن ظالمًا.

- كل ما أقوله هو أن تكوني حذرة. هل تعرفين زوجته الجديدة جيدًا؟

- على الإطلاق. لست مهتمةً بها أصلًا. إنها شقراء ذات صدرٍ كبير.

- احذري، فقد تخطط لشيءٍ ما.

استدارت "إيفا" وقالت بغضب:

- أبي! لا تزد من مخاوفي.

نظر إلى الأرض بحزن وقال:

- آسف. أنا أحاول فقط أن أكتشف ما بكِ.

- شكرًا، لكنني أسيطر على حياتي تمامًا، صدقني. اجلس. عليك أن تبقي ساقيكَ مرفوعتين. أنت تهمل صحتك. هل تستخدم البطانية الكهربائية التي أعطيتها إياك؟

- دائمًا أنسى وضع القابس في المقبس. أنا شيخ، لا يمكن أن أتذكر كل التفاصيل. بأي حال، أخاف من أن تسبب ماسًا كهربائيًّا.

- علينا أن ننظم وقت تشغيلها مثلًا.

- هل حصلتِ على أموال مؤخرًا؟

ساد صمتٌ مطبق. نزلت أولى قطرات الماء المغلي في الماكينة، ففاحت رائحة القهوة في المطبخ. قال بخفوت:

- لا، لكن لن أدع نقص المال يحرمني من الحياة بسعادة.

- لا بدَّ أنكِ اشتريتِ آلةً لطبع النقود! ظننت هذا. أريد كحول "تيا ماريا" أيضًا.

- أعلم.

- هل تذكرتِ أن اليوم هو الرابع من أكتوبر؟

- نعم. لن أنسى هذا التاريخ. لن أنساه أبدًا. ستشرب "تيا ماريا" من أجل أمي كما طلبت منك.

- لا أريد كوبًا صغيرًا.

- لا تقلق، فأنا أعرفك.

حصل على الكحول الذي أراده، وشربا القهوة معًا وجلسا لينظرا عبر النافذة. لم يكن صعبًا عليهما الجلوس بصمت، فعادةً يفعلان هذا. نظرا إلى مخزن جارهما، وإلى شجرة "القيقب" بلونيها الأحمر والأصفر. لاحظا أن اللحاء كان يتساقط من أحد الجوانب. قال والدها بهدوء:

- سوف يَقطع هذه الشجرة قريبًا. انظري، تقريبًا لم تبقَ أي فروع على هذا الجانب.

- لكنها جميلة. سيبدو المكان خاليًا جدًّا من دونها.

- لكنها مريضة، وستموت بأي حال.

- هل علينا قطع الأشجار الكبيرة لمجرد أنها لم تعد مثالية؟

- لا، بل لأنها مريضة. لقد زرع بديلًا عنها فعلًا على الجانب الأيسر.

- تلك الشتلة الصغيرة؟

- كل شجرة تبدأ هكذا وتكبر بالتدريج، لكنها تستغرق من أربعين إلى خمسين عامًا.

شربت "إيفا" قهوتها ونظرت خلسة إلى الوقت. بالتأكيد عاد إلى بيته الآن، وطبعًا قرأ الرسالة. ربما يناقش مع زوجته مسألة بيع السيارة. لا، لن يفعل. بل سيقرر من تلقاء نفسه دون استشارتها. لكن ربما يتصل بأحد أصدقائه ليسأله عن سعر سيارة "مانتا" بحالة جيدة. تمنت ألا يطلب منها تقديم عرض، فلا فكرة لديها عن الأسعار. يمكنها أن تخبره بأن عليها السؤال أولًا. ربما هو يغسل سيارته الآن، وينظفها من الداخل بالمكنسة الكهربائية. ربما قرأ الرسالة لكنه لم يُعِرها أي اهتمام وألقاها. أو ربما طيَّرتها الرياح من تحت ماسحة الزجاج ولم يقرأها أصلًا. من المحتمل أنه يجلس ليشاهد التليفزيون ومعه بيرة ويسند ساقيه إلى الطاولة، في حين تقول زوجته للولد أن يظل هادئًا ريثما يشاهد والده الأخبار على الأقل. ربما ذهب مع أصحابه إلى المدينة ليلعب البولينج. فكرت في كل الاحتمالات وهي تشرب القهوة.

توجد آلاف الأسباب التي تمنعه من الاتصال حتى الآن. لكن يوجد أيضًا سبب ليتصل، وهو المال. ستكتشف إن كان جشعًا مثلها، وفي رأيها إنه كذلك فعلًا. ستكون فرصة مناسبة له ليتخلص من أي دليل يربطه بالجريمة. كانت ترفع الكوب إلى فمها وهي تنظر إلى الشجرة المحتضرة حين رنَّ التليفون فجأة. تناثرت القهوة على ذقنها عندما انتفضت.

سألها والدها بدهشة:

- ما الأمر؟

- تليفونك يرن. سأجيب.

أسرعت إلى غرفة الأدوات وأغلقت الباب بحذرٍ خلفها. ثم هدَّأت نفسها قليلًا قبل أن تمسك السماعة بيدٍ مرتجفة. قد لا يكون هو. ربما هي الممرضة تعتذر عن القدوم لأنها مريضة. ربما هي "إيما"، أو شخص اتصل بالخطأ.

قالت بهدوء:

- "ليلاند".

سادت لحظة صمت، وبدا صوته مترددًا وكأنه خائف من أن يبدو كالأحمق:

- أتحدث عن سيارة "أوبل مانتا". أريد التحدث مع "ليلاند".

وهلةً أرهبها صوته، لكنها تمالكت نفسها وأجابت:

- إنها أنا. هل أنت مهتم؟

- بل أنتِ المهتمة. لكنني ظننتكِ رجلًا.

- هل يوجد فرق؟

- لا، طبعًا لا. ما دمتِ تعرفين عما نتحدث.

أطلقت ضحكة قصيرة وتصنعت بسهولة نبرة مرحة:

- يا إلهي! نحن نتحدث عن المال، أليس كذلك؟ معظم الأشياء يمكن بيعها ما دام السعر مناسبًا.

- نعم، نعم. لكن يجب أن يكون مغريًا.

- سيكون كذلك إذا كانت السيارة جيدة كما تبدو.

كان قلبها يدق بعنف تحت ملابسها. بدا منزعجًا من التعليق. أما هي فأدركت أنها لا تطيقه حقًّا.

- السيارة ممتازة. ليس بها إلا تسريب بسيط في الزيت.

- حسنًا، هذا يمكن إصلاحه. هل يمكنني معاينتها؟

- طبعًا، يمكنكِ معاينتها الليلة إن أردتِ. لقد نظفتها ورتبتها. لكن يجب أن تجربي قيادتها.

- بالتأكيد ما كنت لأشتريها دون تجربة قيادة.

- وليس مضمونًا أنني سأبيعها.

صمت كلاهما وشعرت هي بهالة من العداوة تنتقل عبر سلك التليفون دون أن تعرف مصدرها. وكأنهما يكرهان بعضهما مدةً طويلةً.

قال لها:

- الساعة الآن السابعة وعشر دقائق. لديَّ بعض المهام أولًا، لكن هل يمكنكِ مقابلتي في المدينة في التاسعة والنصف مثلًا؟ هل تعيشين في المدينة؟

كذبت قائلة:

- نعم.

- نتقابل عند محطة الحافلات؟

- لا مشكلة. أقابلكَ في التاسعة والنصف. سأراكَ حين تصل. سأنتظر عند الكشك.

أغلق الخط، ووقفت هي تستمع لصوت الحرارة. كان والدها ينادي من المطبخ. نظرت إلى السماعة واندهشت من تماسكه لنفسه. إنه لم يتأثر، وكأن شيئًا لم يكن. لقد انتهى الأمر بالنسبة إليه. وضع الحادث خلف ظهره. والآن هو مهتم بالمال، وهي كانت كذلك أيضًا. ارتعش جسدها ثم خرجت ومرت خلف طاولة المطبخ. الخطة تسير بسرعة شديدة. يجب أن تستجمع ذكاءها، لكنها تعرف أن قلبها ينبض بعنف وأن وجهها احمرَّ من الانفعال. سألها والدها:

- ماذا؟ ألا يريد المتصل التحدث معي؟

- لقد اتصل برقمٍ خطأ.

- حقًّا، استغرقتِ وقتًا طويلًا لمعرفة ذلك.

- لا. لقد كان ثرثارًا. إنه رجل مرح. سألني إن كنت أريد شراء سيارته.

- لا، من الأفضل أن تتركي هذه المهمة للآخرين. إذا أردتِ شراء سيارة، اطلبي مساعدة "يوستن".

- سأتذكر هذا.

ملأت كوبها ونظرت إلى الشجرة مجددًا. كان الشق الموجود في اللحاء قبيحًا جدًّا. يشبه جرحًا كبيرًا متقيحًا.

الفصل الثلاثون

انتظرت في الظلام. لم يعد هناك نسيم، هبَّت رياح متقلبة أخذت تخبط على سطح محطة الحافلة وهي تعوي. ظلَّ شعرها يضرب أذنيها المتجمدتين من البرد، لأن شعرها كان مربوطًا كذيل حصان ولا يغطي أذنيها ليدفئهما كالعادة. تجوَّلت أفكارها هنا وهناك، وتذكرت طفولتهما. رأت صديقتها بعين الخيال، ربما هي ذكرى من إحدى إجازات الصيف، كانتا في الحادية عشرة تقريبًا وقتها. كانت "مايا" ترتدي ثوب سباحة أمريكي تفتخر به كثيرًا. اشتراه لها عمها الذي كان يعمل على مركب لصيد حيتان، ودائمًا يعود حاملًا هدايا عجيبة. أحيانًا كان يعطي هدايا لـ"إيفا" أيضًا؛ علب شوكولاتة ولبان أمريكي. كان ثوب السباحة أحمر لامع ومكشكش، وله حمالة مرنة على شكل حرف "إكس". كانت عندما تنزل به المياه، يمتلأ بالكثير من الفقاعات الصغيرة للغاية، فتبدو عندما تخرج من المياه وكأنها ثمرة توت كبيرة. لم تملك أي فتاة ثوبًا مثله. هذه هي الصورة التي تخيلتها "إيفا" الآن؛ "مايا" وهي تخرج من البحر والماء يجري على جسدها والقطرات تتناثر حول قدميها. شعرها يبدو داكنًا أكثر لأنه مبتل. وترتدي أفضل ثوب سباحة على الشاطئ. ظلت تتخيل "مايا" وهي تخرج من الماء مرارًا وتكرارًا. كانت تبتسم وتظهر أسنانها البيضاء لأنها لا تعرف شيئًا عن مستقبلها ونهايتها.

المال مخبأ بأمان الآن في قبو والدها. لقد وضعت العلبة في الزاوية حيث بدت بلا قيمة كما كانت تبدو في غرفة الأدوات في الكوخ. لا ينزل والدها إلى القبو أبدًا، فالسلالم تتعبه. لا أحد ينزل إلى هناك أصلًا، إلا إذا نزلت الخادمة لعمل شيء. لكن هذا غير محتمل. فالخدم الذين يساعدون كبار السن لا يقومون بأعمال الدور العلوي والقبو. هذا مكتوب في شروطهم الوظيفية.

كانت محطة الحافلات أقبح مبنى رأته "إيفا" في حياتها. تشبه صندوقًا رماديًّا طويلًا من الخرسانة، بنوافذ بلا شبابيك. ركنت سيارتها في الخلف، إلى جانب خطوط السكك الحديدية، ثم وقفت إلى جانب الكوخ ونظرت إلى الجسر الذي تعرف أنه سيأتي منه. سيتجه يمينًا، ويختفي خلف البنك لحظةً قبل أن يظهر أمام الكشك. لن يخرج ويظهر نفسه، فهو ليس من هذا النوع. بل سيبقى جالسًا في سيارته وسينظر إليها عبر الزجاج الأمامي، وربما يومئ إليها. إنها إشارة تعني السماح لها بالقدوم. ستجلس إلى جانبه ولن يفصل بينهما إلا عصا التروس. ستجلس بالقرب منه لدرجة أن رائحته ستتسلل لأنفها، وصوته سيخترق أذنها اليسرى. ذلك الصوت العدائي المقتضب. تنحنحت بتوتر وهي تفكر في الجملة التي ستبدأ بها الكلام. ربما تأتي بواحدة تجمد الدم في عروقه؟ رفضت الفكرة ونظرت إلى السيارات التي تمر بانتظامٍ وسرعة على الجسر. وكأن سائقيها لا يطيقون الانتظار حتى يهربوا من المدينة العاصفة. لكل شخصٍ هدف محدد. لا أحد يتمشى عشوائيًّا في ليلةٍ كهذه.

زمجرت محركات الحافلات في المحطة، وصعد الناس إليها محتمين بدفئها ونورها. كانت الحافلات الحمراء جميلة. السائق الماهر يتكئ على المقود، ويومئ برأسه بكسل كلما وضع أحد الركاب بضع عملاتٍ في يده. رأت وجوه الركاب عبر النوافذ، كانت شاحبة وتنظر إلى الفراغ. عندما تركب الحافلة، تصبح في أرضٍ معزولة، تكون وحيدًا مع أفكارك. كل ما عليك فعله هو الجلوس في دفء الحافلة وهي تهتز معها. لحظةً تمنت لو

ركبت خلف إحدى النوافذ وتجولت بالحافلة في المدينة لترى كل شخص وهو يعود إلى ملاذه الآمن. بدلًا من ذلك ها هي واقفة في البرد تفرك يديها المتجمدتين بسبب القفازات الخفيفة، وهي تنتظر قاتلًا.

زفرت "إيفا" بشدة لحظةَ أن رأت سيارته تقترب. ظلت تشهق وتزفر بإيقاعٍ ثابت لا يتغير، وكأنها متصلة بجهاز تنفسٍ صناعي. كان ضروريًّا أن تحافظ على تركيزها. لا يجب أن يفلت لسانها وتقول الكثير، يجب أن تتحدث بحذر. رأته يبطئ السيارة ويتوقف ثم يميل على الزجاج. كان يعتلي وجهه مزيجٌ من البلاهة والشك الخفيف. فتحت الباب وجلست. كان يمسك عصا التروس بقوة وكأنها لعبته التي لن يشاركها مع أحد، وكأنه يرسل إليها تحذيرًا. ثم أومأ لها بإيجاز. وضعت حزام الأمان وقالت:

- قد السيارة أنت قليلًا ثم سآخذ دوري.

لم يرد، بل تحرك بالسيارة وقاد عبر الحارات المخصصة للحافلات. عرفت أنه كان ينتظرها أن تبدأ بالكلام، فهي من بادرت ومن أرادت سيارة جديدة.

قالت "إيفا" لنفسها: "أنا لست جبانة لعينة". قالت له بلطف:

- ألا تخاف من دعوة الغرباء لركوب سيارتك؟

كانت الساعة العاشرة إلا ثلثًا. في الرابع من أكتوبر، وكان سجل "إيفا" الإجرامي نظيفًا ناصع البياض.

***

استقرت يده اليسرى على المقود بخمول، لكن تشبثت يده اليمنى بعصا التروس السميكة. نظرت إلى يديه. يداه قصيرتان مربعتان، أصابعه بدينة. كانتا ناعمتين وقليلتي الشعر. اليسرى مسترخية، واليمنى متشبثة. تشبهان شيئًا رأته في كتب "إيما"، كائن بحري أعمى وشفاف. فخذاه قصيرتان وبدينتان وعلى وشك تمزيق بنطلونه الجينز. بطنه بارز من تحت سترته الجلدية الضيقة البالية. وكأنه حامل في الشهر الخامس.

قال وهو يهتز في كرسيه:

- إذًا، تفكرين في شراء "مانتا"؟

قالت باختصار:

- أنا عاطفية قليلًا. كانت لديَّ واحدة واضطررت إلى بيعها. ما زلت أفتقدها.

قالت لنفسها: "أنا جالسة بجواره وأتحدث معه وكأن شيئًا لم يكن".

- ماذا لديكِ الآن إذًا؟

قالت مبتسمة:

- "أسكونا" قديمة، إنها مختلفة تمامًا.

- صحيح.

وصلا إلى منتصف الجسر، وشغَّل هو أضواء التنبيه اليسرى وهو يخرج إلى الشارع الرئيسي. قالت:

- اذهب إلى "فوسين". توجد أرض ريفية مستوية حيث يمكننا الإسراع قليلًا.

- حسنًا، تريدين بعض السرعة إذًا؟

ضحك واهتزَّ جسده مجددًا. كانت عادة طفولية جعلته يبدو غبيًّا وبدائيًّا، كما تذكره تمامًا. شعرت أنها مسنَّةً مقارنةً به، لكنهما في العمر نفسه تقريبًا أو ربما يصغرها بعامين. لم تهتز بطنه مع حركته، يبدو أنها صلبة كالصخر. انعكست مصابيح الطريق على وجهه الشاحب مع كل عمود يمران به. وجهه باهت بلا تعابير أو ملامح. قال:

- سأقود إلى المطار ويمكنكِ العودة من هناك. المسافة مناسبة، صحيح؟

- نعم، طبعًا.

حرَّك يده اليمنى ليهويها قليلًا بعدما تعرقت من إمساك مقبض ناقل الحركة، وزاد السرعة. ذكَّرها جسده المحشور في ملابسه الضيقة بإصبع السجق. إنه أقوى منها بالتأكيد. لقد كان أقوى من "مايا" بأي حال، لكنه كان جاثمًا فوقها. تخيلت لو أن "مايا" كانت أسرع منه وطعنته أولًا.

كانت ستصبح لديهما جثة. كان يمكن أن يسير الأمر هكذا بكل سهولة. غريب أن الحياة قائمة على الحظ والمصادفات. قال:

- هذا الموديل يعمل بنظام "GSI"، إن كنتِ لا تعلمين.

- هل تظنني هاوية؟

تمتم:

- لا، لا. كنت أقول فقط. لا يوجد أي عيب في المحرك. تنطلق من صفر إلى مائة في عشر ثوانٍ. قد تقترب سرعتها من مائتين حسب براعتكِ.

ثم أضاف ضاحكًا:

- لكنَّ للنساء طريقةً عجيبةً في القيادة. إنهنَّ يدعن السيارة تقرر. يجلسن مكانهنَّ ويتركن السيارة تتحرك بهنَّ.

أضافت:

- هذه السرعة تناسبني تمامًا. المقاعد مريحة أيضًا.

- إنها من "ريكارو".

- هل فتحة السقف كهربائية؟

- لا، بل يدوية. هذا أفضل، فالكهربائية تتعطل سريعًا وتكلفكِ الكثير لإصلاحها. سعة الصندوق 490 لترًا، ومزود بإضاءة. يكفي تمامًا أن تضعي فيه عربة طفل.

- شكرًا! هل تستهلك الكثير من البنزين؟

- لا، لا. المعدل العادي. تحتاج إلى 0.6 لتر. أحيانًا إلى لتر كامل إن كنتِ تقودين في المدن الكبيرة. عليكِ أن تحسبيها.

زلَّ لسانها وقالت:

- لقد عاينت السيارة كثيرًا فعلًا.

قال بارتياب:

- ولماذا؟

- كان عليَّ أن أجمع المال أولًا.

- السؤال هو؛ هل لديكِ ما يكفي فعلًا؟
- نعم.
- لم تسأليني عن السعر بعد.
- لم أفكر به بعد، لكن سأعطيكَ عرضًا لن يمكنكَ رفضه.
- "وااو"، تتحدثين كزعيم مافيا.
- نعم.
- لا أريد حقًّا بيعها.
- نعم، لكنكَ طماع كالجميع. ولا بأس بهذا.

ضحكت وشعرت بوخز السكين على فخذها. قالت لنفسها مجددًا: "أنا لست جبانة لعينة".

قال وهو يتنحنح:

- بالنسبة إلى عرضكِ المغري، كم السعر بالضبط؟
- انتظر حتى أقودها أولًا، وسأتفقد المحرك وهيكل السيارة في وضح النهار. سأحتاج أيضًا إلى شهادة فحص كامل للسيارة.
- هل تريدين شراء "المانتا" أم لا؟
- ظننتكَ قلتَ لن تبيع.

ساد الصمت في السيارة التي أصبحت حارة ورطبة حتى صارت النوافذ ضبابية. فشغَّل المروحة ليزيل بخار الماء المتجمع. استدارت "إيفا" مرة أخيرة ونظرت إلى البلدة خلفها. رأت شعلة اللحام التي تنطلق بشكل متقطع عند الجسر الذي تحت الإنشاء. أصبح المرور خاليًا تقريبًا، ووصلا إلى نهاية مصابيح الشارع. استدار يسارًا عند الطريق الدائري وواصل القيادة على الجانب الجنوبي للنهر. كان التيار أبطأ هنا، لكنه قوي بما فيه الكفاية. بعد بضع دقائق من الصمت، اتجه يمينًا فجأة. كان المطار على اليسار، في حين قاد هو في طريق متعرج عبر مجموعة من الأشجار، ثم توقف في منطقة مفتوحة على شط النهر. لم تشعر "إيفا" بالارتياح،

فالمنطقة كانت خالية من أي شخص. ما زال المحرك يدور، ومن صوته الهادئ فالسيارة في حالة جيدة جدًّا. قال وهو يسحب المكابح:

– هذه منطقة مثالية للصيد.

قالت بسرعة:

– سارت السيارة اثنين وتسعين ألف كيلو. هل هذا صحيح؟ ألم تلعب في العدادات؟

– يا إلهي، ألا يوجد حد لشكوكِكِ اللعينة!

– أنا فقط أرى أنه رقم قليل جدًّا. هذه سيارة رجل تقليدي، ومن عادة الرجال القيادة كثيرًا. حتى سيارتي "الأسكونا" موديل 1982 سارت مائة وستين ألف كيلو.

– حان الوقت لتشتري سيارة جديدة فعلًا. هل تريدين إلقاء نظرةٍ على المحرك؟

– الجو مظلم جدًّا.

– معي مصباح.

أطفأ المحرك وخرج من السيارة.

استجمعت "إيفا" شجاعتها ثم فتحت الباب. فاجأتها دفعة من الرياح كادت تطيح بها.

– هذا الطقس اللعين!

– لأنه الخريف.

رفع الغطاء وثبَّته وقال:

– أعترف أنني نظفت المحرك اليوم. وإلا ما كنتِ لتري شيئًا من تفاصيله.

وقفت "إيفا" إلى جانبه ونظرت إلى المحرك اللامع.

– يا إلهي، وكأنه قطعة من الجواهر الفضية.

– نعم، أليس كذلك؟

استدار إليها مبتسمًا، فلاحظت أنه ينقصه سن.

- "أوبل" يجيدون صنع السيارات. ستستمتعين بالعمل عليها.
قالت:
- ربما. لكن لن أعمل عليها بنفسي.
- لم أظن هذا. لديَّ بعض قطع الغيار. سأضعها في البيعة إن تمت.
- وماذا ستشتري بعدها؟
- لست واثقًا. أرغب في "BMW"، سنرى، على حسب عرضكِ المغري.

انحنى إلى الأمام تحت غطاء السيارة، ورأت "إيفا" مؤخرته الضخمة المحاطة بجينز ضيق. تحركت ثيابه، فظهر فاصل عريض من جلده بين السترة الجلدية وحزام البنطلون. كان جلده أبيض ومبتلًّا مثل عجينة الخبز.

قال:
- أظنني وجدت مصدر تسريب الزيت هنا. إنه "الجوان" طوق الرأس في المحرك. سيكلف نحو ثلاثين أو أربعين كرونة. أنا متأكد أن لديَّ واحدًا إضافيًّا في البيت.

لم تجب "إيفا". واصلت النظر إلى ظهره، إلى جلده الأبيض. لديه رقعة صلعاء في مؤخرة رأسه. نسيت أن تجيب. سمعت هدير النهر وسط الصمت، وكأنه يزأر. فكرت في سائق الحافلة المسكين. على الأرجح ما زال جالسًا في غرفة الاستجواب، وقد طفح كيله من القهوة سريعة التحضير ومن البحث عن دليل براءة. لا يملك الناس دائمًا دليل براءة. وربما لديه واحد لكن لا يرغب في استخدامه. ربما لديه عشيقة، ولو انكشف أمره سينهار زواجه، هذا إن لم يكن قد انهار فعلًا.

ستلعب الظنون بعقول جيرانه. وسيضطر أحفاده إلى التفكير في شيء يقولونه للأولاد الذين سيزعجونهم في الملعب عندما تنتشر الإشاعة بأن جدهم هو المشتبه به في قتل العاهرة في "توردينسكيولدزجايت". ربما يعاني مشكلات في القلب، وسيصاب بسكتةٍ قلبية ويموت في أثناء الاستجواب. فهو

في السابعة والخمسين، وهي سن شائع للإصابة. ربما ليست لديه عشيقة أصلًا، لكنه يرغب في واحدة، فظل يتجول بسيارته في المدينة لينفرد بنفسه بعض الوقت. وخلال ذلك توقف عند أي كشك على الطريق ليأكل شيئًا، أو أنه تمشى إلى جوار النهر طلبًا لبعض الهواء النقي. لكن لم يصدقه أحد لأنه لا يوجد رجل في عمر الجَد يقود سيارته بلا هدف إلا إذا كان منحرفًا أو لديه عشيقة. سيقولون له: "لن نصدق بأنك توقفت عند عربة سجق لتأكل. عليك أن تفكر في كذبة أفضل. والآن، متى آخر مرة زرت "مايا دوربان"؟".

اعتدل الرجل وقال:

- خذي المصباح.

دفعه إلى يدها فوقفت والمصباح يسلط ضوءه إلى الأسفل على العشب. فقال:

- يمكنني أن أحمله لكِ وأنتِ تتفقدين السيارة.

تمتمت:

- لا، لا داعي. لا بأس. أعني، أنني سأثق بكلامك. فشراء سيارة مسألة تعتمد على الثقة.

- أظن أنه عليكِ إلقاء نظرةٍ سريعة على الأقل. عليكِ رؤية كم هي رائعة. قلَّما تجدين رجلًا يحافظ على محرك سيارته مثلي. لا أسمح لأحد بقيادتها أيضًا، وزوجتي لا تملك رخصة. لهذا من الأفضل أن يكون عرضكِ مغريًا بحق. أريدكِ أن تتحققي من كل شيء قبل توقيع العقد حتى لا تعودي للشكوى من هذا وذاك. فأنا أكره مشكلات ما بعد البيع.

عارضته:

- أنا لست حمقاء. أظنني يمكنني الثقة بك بخصوص هذه السيارة.

- نعم، طبعًا. لكن أحيانًا تخطر للنساء أفكار غريبة. لهذا أخبركِ. أحيانًا يخفين أشياء عجيبة في جعبتهنَّ، كما يقول التشبيه.

قالت في سرها: "مثل السكاكين".

سحب نفسًا عميقًا بأنفه وواصل:

- أريد فقط التأكد من أنكِ ستعقدين معي صفقةً مناسبة.

ارتجفت ورفعت المصباح إلى وجهه وقالت:

- يمكنني ذلك وسأدفع لك مقابل ما سأحصل عليه. أليس رائعًا أنه يمكنك شراء كل شيء بالمال؟

- لم أحصل على أي مالٍ بعد.

- سأدفع بعد عمل اختبار رسمي للسيارة.

- ألم تقولي إنكِ تثقين بي؟

- فيما يتعلق بالسيارة فقط.

اعترض قائلًا:

- ما معنى هذا بحق الجحيم؟

- فكِّر قليلًا.

أطلق النهر دفعة قوية بصوتٍ مسموع ثم سكن مجددًا. هزَّ رأسه بدهشة وعاد ينحني على المحرك وهو يقول:

- نساء ملاعين؛ تجرُّ رجلًا بريئًا إلى هنا بعيدًا عن مرآبه الدافئ وسط هذه العاصفة لتتفوه بالهراء!

- بريء؟

شعرت "إيفا" بالأرض تميد بها، ثم أصابها مزيجٌ من الشعور بالدوار والاسترخاء والغرابة، لدرجة أنها اتكأت على السيارة. كانت تقف على اليسار، إلى جانب القضيب الصغير الذي يثبت غطاء المحرك وهو مفتوح.

رفع رأسه وسألها:

- ما أعنيه هو أنكِ من أردتِ السيارة. ولقد جئتُ كما اتفقنا. لا أفهم لماذا أنتِ بهذه الحساسية المزعجة.

انفجرت في وجهه:

- حساسية؟ هل تقول إنني أتصرف بحساسية؟ لقد رأيت ما هو أسوأ بكثير. رأيت أشخاصًا يفقدون صوابهم دون أي سبب!

التف ونظر إليها بريبة وقال:

- يا إلهي، هل أنتِ مصابة بانفصامٍ في الشخصية أو ما شابه؟

ثم عاد ينحني.

شهقت "إيفا" وشعرت بالغضب يتمكن منها. ويشتعل داخلها بسرعة وأراد الانطلاق. كان يغلي مثل نهرٍ من الحمم البركانية يسري في بطنها وصدرها وذراعيها. ارتجف جسدها بجنونٍ في الظلام، فجأة شعرت أنها صدمت شيئًا ما وسمعت صوتًا يشبه الخربشة. القضيب الذي يثبت غطاء المحرك تحرك، فوقع الغطاء المعدني الثقيل على الرجل. برزت مؤخرته وساقاه من تحت الغطاء، فيما اختفى نصفه العلوي.

تراجعت وصرخت. زمجر الرجل تحت الغطاء وأطلق سبابًا. نظرت إلى غطاء المحرِّك برعب. لا بدَّ أنه ثقيل. أخذ يرتفع قليلًا وينزل عدة مرات. انتفض قلب "إيفا" حتى شعرت أن صوت دقاته وصل إلى الرجل. لقد أشعلت غضبه، كما فعلت "مايا" من قبل. والآن سيطلق هذا الغضب الأعمى نحوها. خلال ثوانٍ سيُخرِج نفسه ويهاجمها بكل قوته. لذلك تقدمت بضع خطوات ووضعت يدها على فخذها ثم أدخلتها في جيب بنطلونها الجانبي وأخرجت السكين من جرابه.

- تبًّا، اللعنة!

أراد أن ينهض ويستدير، لكن "إيفا" انطلقت وقفزت فوق غطاء المحرك بكل ثقلها. خرج صراخه أجوف وكأنه يصرخ في علبةٍ معدنية.

- ماذا تفعلين بحق الجحيم؟

صرخت بصوتٍ مرتجف:

- أفقد صوابي!

- أنتِ مجنونة!

- بل أنت المجنون!
- يا إلهي، ماذا تريدين؟
التقطت "إيفا" أنفاسها وصرخت:
- أريد أن أعرف لماذا ماتت "مايا"!
ساد صمتٌ مطبق. حاول أن يتحرك، لكنه لم يستطع. سمعت صوت تنفسه، كان يلهث.
- كيف عرفتِ بحق الجحيم؟
- هل هذا ما تريد أن تعرفه!
كانت لا تزال تضغط على الغطاء. توقف عن الحركة وأخذ يلهث مثل كلبٍ منهكٍ. كان وجهه يضغط على جسم المحرك.
قال بصوتٍ متقطع:
- يمكنني أن أشرح.. كان حادثًا!
- لا، لم يكن!
- كان معها سكين بحق السماء!
دفع الغطاء بقوةٍ فجأة، فانزلقت "إيفا" ووقعت على العشب. لكنها ما زالت ممسكة بالسكين. رأت يديه اللتين قتلتا "مايا". رأتهما تنقبضان. قالت:
- وأنا لديَّ واحدة أيضًا!
نهضت وقفزت على السيارة مجددًا، فانهار تحت الثقل. طعنته في جانبه أولًا، وشق السكين الجلد بسهولة. كان غطاء السيارة يحتجزه مثل فأرٍ في مصيدة. سحبت السكين، فاندفع شيءٌ ساخن وتناثر على قفازها. لكنه لم يصرخ، بل أطلق حشرجة صغيرة مندهشة. كان يستجمع قوته ليدفع الغطاء وحرر إحدى ذراعيه، فعاجلته بطعنةٍ ثانية اخترقت أسفل ظهره. شعرت بشيءٍ يصد النصل، وكأنها أصابت عظمة. اضطرت إلى جذب السكين بقوةٍ

لتخرجه. عندها تراخت ركبتيه وانهار جسده مع بقاء نصفه العلوي عالقًا تحت الغطاء. لم تستطع التوقف، لأنه كان يئنُّ بصوتٍ عالٍ وعليها أن تسكته. وهلةً ظلت تغرز السكين وتخرجه بإيقاعٍ منتظم. طعنته في ظهره وجنبه، وأحيانًا تنزِل يدها إلى هيكل السيارة أو شبكة "الرادياتير" الأمامية أو المصد. واصلت إلى أن أدركت إنه توقف عن الحركة تمامًا، وتدلى جسده المثخن بالطعنات، مثل خنزير معلق على خطاف.

فجأة شعرت بقوةٍ باردة وبدائية تجذبها إلى الأمام حتى وقعت على بطنها على العشب. ما زال النهر يندفع بعنفٍ بلا مبالاة. الصمت يعم المكان. شعرت "إيفا" بالدهشة حين أحسَّت بشللٍ ينتشر ببطءٍ في جسدها، حتى عجزت عن تحريك أي عضلة، ولا حتى أصابعها. تمنت أن يجدهما شخصٌ ما قريبًا. فالأرض مبتلة وباردة. وفعلًا سرعان ما انتقلت البرودة إلى جسدها.

الفصل الواحد والثلاثون

رفعت رأسها فوجدت نفسها تنظر مباشرةً إلى حذاءٍ أبيض وأزرق، ثم إلى ساقه. تساءلت لماذا لم يسقط بعد. بدا منظره سخيفًا، وكأنه نام وهو يفحص المحرك. من الغريب أن الناس لم تتجمع في المكان، ولم تصل سيارات شرطة. لا يوجد سواهما في الظلام.

لم يرهما أحد. لم يعرف أحد مكانهما. بل ربما لم يعرف أحد أنهما معًا أصلًا.

نهضت لتقف بصعوبةٍ وهي تترنح. شعرت بجسدها لزجًا ومبتلًّا. كانت المسافة من السيارة إلى الماء نحو عشرة أو اثني عشر مترًا. لم يكن بالغ الضخامة، ربما سبعين كيلوجرامًا. أمَّا هي فستون كيلوجرامًا. يمكنها أن تجره. لو حمله التيار باتجاه البلدة قبل إيجاد الجثة بوقتٍ كافٍ، ولو حركت السيارة، إذًا لن يمكنهم تحديد الموقع الذي وقعت فيه الجريمة، وبالتأكيد تركت أدلةً فيه. فكرت قليلًا وتفاجأت من تفكيرها المنطقي، ثم اقتربت من السيارة. رفعت الغطاء بحذرٍ وثبتته. ظلت جثته معلقة. عليها أن تلمسه الآن. عليها أن تلمس السترة الجلدية الزلقة بسبب بقع الدماء التي تغرقها. كتمت أنفها تلقائيًّا حتى لا تشم شيئًا، ثم أمسكت كتفيه وجذبته. انزلق إلى الخلف وسقط مثل الشوال عند قدميها،

فسحبت قدميها من تحته. أصبح يستلقي على ظهره الآن. انحنت عليه وخطرت لها فجأة أن تأخذ محفظته من جيب سترته، وكأنَّ ذلك سيعيق الشرطة عن كشف شخصيته. هذا سخيف. وضعت يديها تحت كتفيه واستدارت لتنظر إلى ضفة النهر وبدأت تسحبه.

كان أثقل مما تخيَّلت، لكنَّ العشبَ المبتلَّ جعله ينزلق بسهولة مع كل دفعة، وساقاه متباعدتان. كانت تجذبه مرتين ثم ترتاح، حتى اقتربت ببطءٍ من الماء. توقفت ونظرت إلى جبهته الشاحبة قبل أن تواصل. أخيرًا أرقدته ووجهه مغمور بالماء. وضعت قدمها بحذرٍ في الماء، فوجدته ضحلًا. تقدمت بضع خطواتٍ وهي تكاد تنزلق على الصخور، لكن لم يكن الماء عميقًا. أخيرًا ارتفع الماء حتى وصل إلى حذائها الطويل وشعرت بقوة التيار وبرودته حول قدميها. تقدمت أكثر حتى ارتفع الماء إلى ما فوق ركبتيها، ثم عادت إلى الضفة. جذبته مجددًا نحو التيار القوي حتى بدأ يطفو ويخف وزنه. واصلت سحبه إلى النهر حتى شعرت بقوة التيار وخطورته. عندها أدارته على بطنه. أخذت المياه تهزه وتحركه ثم بدأت تسحبه. حمله التيار بسرعة. بدت مؤخرة رأسه مثل بقعة بيضاء وسط ظلام الماء. وقفت وراقبته والماء يصل إلى فخذيها، وكأنها مسحورة، وفجأة حدث شيءٌ ما. ارتفعت إحدى قدميه، وغاص رأسه في الماء. بدا وكأنه غاص بإرادته. سمعت صوت فقاعات هواء وسط الماء المندفع، ثم اختفى الرجل.

واصلت المشاهدة بثبات متوقعة منه أن يظهر على السطح، لكن النهر واصل جريانه حتى اختفى في الظلام. عادت إلى الضفة ببطء، واستدارت لتلقي نظرة أخيرة قبل أن تعود إلى السيارة. أغلقت الغطاء بحذر. أخذت المصباح والمحفظة، وفتحت الصندوق الذي كان مرتبًا ومنظمًا. لمحت بذلة ميكانيكي خضراء. ارتدتها، وكانت فعلًا ترتدي القفازات طوال الوقت.

ركبت في مقعد السائق، لكنها خرجت مجددًا بسرعة وبدأت تبحث بين العشب. وجدت جراب السكين أمام السيارة مباشرةً، فوضعته في جيبها.

سمعت صوت سيارات على الطريق، فانتظرت أن تمر قبل أن تضيء أنوار السيارة. بعدها أدارت المحرك وقادت ببطء عبر مجموعة الأشجار. شغلت التكييف على أعلى درجة حرارة وخرجت إلى الطريق. شعرت بقدميها ثقيلتين. ربما سيكتشفون الجثة مع طلوع النهار. أو ربما تعلق بشيءٍ ما وتنجذب إلى أسفل الماء، وهذا ما بدا لها. وكأن ثيابه أو ذراعه علقت بشيءٍ ما بارز من قاع النهر، كشجرة سقطت ووقعت في النهر. قد يكون أي شيء. ربما سيظل عالقًا في التيار حتى يزيل الماء والسمك اللحم عن عظامه.

قالت "إيفا" لنفسها إن حالة السيارة جيدة فعلًا، وقادت إلى المدينة بسرعةٍ ثابتة. كلما مرت سيارة بجانبها، تحبس أنفاسها وكأن ركابها سيرون الحقيقة عبر الزجاج الأمامي. عندما عبرت الجسر، استدارت إلى الطريق السريع وقادت نحو "هوفلاند" ومكب النفايات. ستترك السيارة هناك. سيجدونها بسرعة، ربما في اليوم التالي. لا فائدة من محاولة إخفائها إلى الأبد. لكن هكذا سيفتشون المكب ويضيعون وقتًا في البحث في القمامة. ربما طفت جثته مسافةً طويلةً. ربما وصل إلى البحر ورسا على شطٍّ آخر في مدينة أخرى. عندها سيبحثون في أماكن خاطئة، وسيمر الوقت حتى تهدأ القضية وتُنسَى.

الفصل الثاني والثلاثون

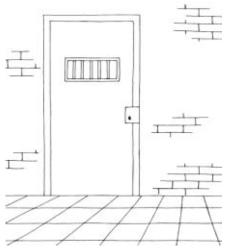

نهض "سيير" وسار إلى النافذة. بحث عن نجومٍ في السماء، لكنه لم يرَ شيئًا، السماء خالية. عادةً يشعر في هذا الوقت من السنة أن النجوم تختفي إلى الأبد، أو تغادر لتنير مكانًا آخر. أحزنته الفكرة؛ فقدان النجوم يشعره بعدم الأمان، وكأن الأرض فقدت سقفها، ومن دونها تمتد السماء بلا علامات إلى ما لا نهاية. هز رأسه لينفض أفكاره.

أخذت "إيفا" آخر سيجارة من العلبة. بدت متماسكة، بل تكاد تكون مرتاحة.

– متى عرفتَ أنها أنا؟

هز رأسه مجددًا وقال:

– لم أعرف. ظننت أنكِ متورطة مع الفاعل، وأنه دفع لكِ ليشتري سكوتكِ. لم أعرف علاقتكِ بـ"إينارسون" أصلًا.

واصل النظر من النافذة وأضاف:

– لكن الآن فهمت.

كان وجهها هادئًا وواضحًا. لم يرها هكذا من قبل. على الرغم من شفتها المتورمة وجرح ذقنها، كانت جميلة.

- ألم تظن أنني أبدو كقاتلة؟
قال وهو يجلس:
- لا أحد يبدو كقاتل.
- لم أخطِّط لقتله. أخذت السكين معي لأنني كنت خائفة. لكن لا أحد سيصدق ذلك.
- عليكِ أن تعذرينا، فلدينا أسبابنا.
- لقد كان دفاعًا عن النفس. كان سيقتلني. أنت تعرف ذلك.
لم يجبها. فجأة بدت كلماتها مألوفة لأذنيها.
- هذا الرجل الذي أوقعكِ في القبو، ما شكله؟
- أسمر، أجنبي. نحيل، يكاد يكون هزيلًا. لكنه تحدث اللغة النرويجية.
- يبدو مثل "كوردوبا".
سألته "إيفا" بدهشة:
- ماذا قلت؟
- اسمه "كوردوبا". إنه زوج سيدة "دوربان". "جان لوكاس كوردوبا". اسم عجيب، صحيح؟
ضحكت وهي تغطي وجهها بيديها وتمتمت:
- نعم، اسم يستحق أن تتزوجه المرأة من أجله، أليس كذلك؟
مسحت دموعها وسحبت نفسًا من السيجارة وهي تضيف:
- عرفت "مايا" جميع أنواع الرجال، حتى رجال الشرطة. هل كنت تعرف هذا؟
لم يستطع "سير" منع ابتسامةٍ مترددة ارتسمت على شفتيه وهو يقول:
- نعم، فنحن لا نختلف عن باقي الناس. لسنا أفضل ولا أسوأ. لا تخبريني أي أسماء.
سألته فجأة:

- هل يمكنهم رؤيتي عبر باب الزنزانة؟
- نعم.

سحبت نفسًا من أنفها ونظرت إلى يديها. ثم استخدمت أحد أظافرها لكشط الطلاء عن باقي الأظافر.

لم يعد لديها ما تقول. لذلك انتظرته ليفعل ما عليه فعله. ثم يمكنها أن ترتاح وتسترخي وتفعل ما يأمرونها به. هذا ما أرادته حقًّا.

***

رن التليفون فتململ "ماركوس لارسجارد" تحت البطانية وهو يستلقي على الأريكة. لو كان المتصل شخصًا يعرفه لظلَّ يرن وقتًا طويلًا. لأنه سيعرف أنه شيخ وبطيء ويضع التليفون في غرفة الأدوات ويضطر إلى عبور غرفة المعيشة الواسعة على قدميه المتورمتين حتى يصل إليه. أما لو كان غريبًا فلن يصل إلى التليفون قبل أن يغلق الخط بالتأكيد.

لا يتصل غرباء كثر بـ"ماركوس لارسجارد" الآن. فقط مندوبو التسويق، أو أرقام خاطئة، أو "إيفا". استطاع أن ينهض في وضع الجلوس أخيرًا. ما زال التليفون يرن. هذا يعني أنه شخص يعرفه. اتكأ على الطاولة لينهض بضيق، ثم أمسك عصاه. عبر الغرفة وهو يحمد الله على أنه ما زال يوجد من يهتم بالاتصال به ليزعجه في قيلولة الظهيرة. سار بصعوبةٍ حتى وصل ثم عانى ليسند عصاه إلى الطاولة، لكنه لم يستطع، حتى استسلم ووقعت. ردَّ على التليفون واندهش عندما سمع صوتًا غريبًا. إنه محامٍ يتحدث بالنيابة عن "إيفا ماري". وسأل إن كان يمكنه القدوم إلى مركز الشرطة، لأنها محتجزة.

مد يده إلى الكرسي لأنه في حاجةٍ إلى الجلوس. ربما كل هذا مجرد هراء، وهذه ليست إلا خدعة لإزعاجه. قرأ عن هذه الأشياء في الصحيفة. لكنَّ المكالمة لم تبدُ كذلك. بدا المتصل مهذبًا، ويكاد يكون لطيفًا. استمع له بتركيز، وطلب منه أن يعيد كلامه في محاولةٍ يائسة ليفهم ماذا يقصد. يوجد سوء فهم بالتأكيد،

وسيدركون ذلك سريعًا. لكنها مع ذلك تجربة مريعة للمسكينة "إيفا". يا لها من معاناة. في الحجز؟ عليه أن يذهب إلى هناك فورًا. سيطلب سيارة أجرة.

– لا، سنرسل إليك سيارة يا سيد "لارسجارد". فقط اجلس وارتَح إلى أن تصل.

جلس "لارسجارد"، لكنه نسي أن يعيد السماعة إلى مكانها. عليه أن يرتدي ملابس ثقيلة قبل وصول السيارة، ثم لم يهتم. لا يهم إن كان يشعر بالبرد أم لا. لقد قبضوا على "إيفا" واحتجزوها. لذلك من الأفضل أن يحضر الملابس لها، فالجو قد يكون باردًا هناك. وقف في الغرفة بعض الوقت وحاول أن يتذكر مكان كل شيء. في العادة ترتبها ممرضته. ربما عليه أن يأخذ لها زجاجة من النبيذ الأحمر؟ لكن قد يكون غير مسموح بها. ماذا عن المال؟ لديه الكثير من المال في برطمان النقود. يبدو كأنه لا ينضب أبدًا، أو يتكاثر. ثم استبعد الفكرة، فعلى الأرجح لا يوجد كشك لبيع الطعام في مركز الشرطة. لقد ذهب إلى هناك مرة في الخريف حين سُرِقت دراجته النارية، ولم يرَ أي أكشاك هناك. ثم إنها محتجزة، من ثَمَّ لن يمكنها الخروج لشراء أي شيء.

أراد أن ينهض ويعود إلى غرفة المعيشة، لكنه شعر بساقيه ضعيفتين ومتخاذلتين. لقد مر بمواقف جميلة وأخرى حزينة، لكنه الآن مصدوم. يحتاج إلى أن يجلس قليلًا، وربما يتصل بـ"يوستن". حاول أن ينهض مجددًا لكن جسده تراخى فورًا وشعر بدوار. غالبًا يشعر أنه على وشك فقدان الوعي. هذا بسبب تصلب الشرايين في مؤخرة عنقه، وهذا ما يمنع وصول ما يكفي من الدم إلى رأسه. هذا وضع طبيعي جدًّا بالنسبة إلى سنه، خاصةً في ظرفٍ كهذا. لكنه منزعج جدًّا الآن لأن الشعور مستمر. بدأ يشعر أن السقف يسقط فوقه، والجدران تنطبق عليه. ضاق المكان به وأظلمت رؤيته تدريجيًّا. "إيفا" رهن الاعتقال بتهمة القتل، واعترفت. تمالك نفسه، وحاول أن يدفع جسده إلى قدميه بقوة. لكن آخر ما شعر به هو ارتطام جبهته بركبتيه بعنف عندما انهار نصفه العلوي إلى الأمام.

الفصل الثالث والثلاثون

نظر "سيير" عبر النافذة إلى مرآب السيارات، وإلى البوابة الرديئة التي يقتحمها المجرمون من آنٍ إلى آخر ليخرِّبوا أو يسرقوا المعدات. وأخيرًا نظر إلى العشب الجاف الذي ينمو بمحاذاة السور. زرعت سيدة "برينيجن" أزهار "البيتونيا" هناك ذات مرة، لكن الحشائش الضارة قضت عليها. لا أحد لديه الوقت لاقتلاعها. جاءه تقرير أن السجينة "إيفا ماجنوس" لم تنم مطلقًا، وترفض الطعام والشراب. هذا ليس جيدًا. وبدت منزعجة جدًّا من قدرتهم على رؤيتها عبر نافذة الباب، ومن النور الذي يظل مضاءً طوال الليل.

كان عليه أن ينهض ويبلغها بآخر الأخبار، لكنه لم يرغب في ذلك على الإطلاق. لذلك شعر بالراحة حين سمع طرقًا على الباب. هذا سيؤجل مهمته قليلًا. انفتح الباب وأطل "كارلسين" برأسه.

جلس بتثاقلٍ وقال:

– سمعت أنك قضيت ليلةً عجيبة! جاءنا بلاغ عن شخصٍ مفقود.

– نعم!

هذا ما كان يحتاج إليه "سيير". قضية جديدة لتذكره أن كل هذا مجرد عمل يتلقى راتبًا عليه، وتنتهي ساعاته الرسمية في الرابعة، لو بذل جهده على الأقل. قال:

– سأقبل القضية إن كان المفقود ليس طفلًا.

تنهد "كارلسين"، ونظر هو أيضًا إلى مرآب سيارات الشرطة وكأنه يتأكد من وجودها. كانا مثل اثنين من رعاة البقر يجلسان في بار، وينظران إلى الخارج بين لحظةٍ وأخرى ليتأكدا من أن لا أحد سرق حصانيهما.

- هل أخبرت "إيفا ماجنوس" بما حدث؟

هز رأسه نفيًا وقال:

- بل أبحث عن أي عذر لتأجيل الأمر.

- لا فائدة من هذا.

- نعم. لكنني أمقت هذه المواجهة.

- يمكنني أن أفعلها بدلًا عنك.

- شكرًا، لكنه عملي. إما أن أفعله وإما أتقاعد.

ثم نظر إلى زميله وأضاف:

- حسنًا، من تغيَّب بالأمس؟

سحب "كارلسين" ورقةً من جيبه الداخلي وفردها. قرأها لنفسه أولًا وهو يبرم شاربه بضع كرات، ثم تنحنح على مضضٍ وقال:

- فتاة ذات ستة أعوام، تدعى "رانهيلد ألبوم". نامت عند صديقتها في الحي ليلة أمس، وكان من المفترض أن تسير إلى بيتها هذا الصباح. يستغرق المشوار عشرة أو اثنتي عشرة دقيقة سيرًا على الأقدام. كانت تدفع عربة لعبة وردية اللون من النوع الذي يحمل دمية تبكي. اسم الدمية "إليز".

- "إليز"؟

- إنها دمية تضع "لهاية" في فمها، وإذا نزعتها ستبكي. هذا النوع رائج جدًّا الآن. كل الفتيات لديهنَّ منها. لكن حفيدك ذكر، لذلك لم ترَ مثلها. أما أنا فأعرفها. هذه الدمية تبكي مثل طفلةٍ حقيقية في فيلم رعب. بأي حال، كانت تحمل في العربة رداء نوم وحقيبة صغيرة فيها فرشاة أسنان ومشط. لكن لم نجد أثرًا لأي شيء.

- منذ متى وهي مفقودة؟

- الثامنة صباحًا.
- الثامنة؟
نظر "سيير" إلى الساعة، فوجدها الحادية عشر.
- أرادت "رانهيلد" العودة إلى بيتها بمجرد أن استيقظت صباحًا. لم تتصل والدة صديقتها بوالدة "رانهيلد" لتخبرها بقدومها، لأنها كانت نائمة أصلًا. لكنها سمعت الفتاتين عندما استيقظتا، وشعرت بـ"رانهيلد" وهي تغادر في الثامنة. ذهبت بمفردها لأن المسافة ليست بعيدة. لم تعرف والدة صديقتها شيئًا إلا عندما اتصلت بها والدة "رانهيلد" لتطلب منها إرسال الفتاة إلى البيت لأنهم سيذهبون للتسوق. لقد اختفت تمامًا.
- أين تعيش؟
- في "فاجرلاندساسين"، في "لاندباي". الحي الجديد؟ لقد انتقلا إلى المنطقة مؤخرًا.
نقر "سيير" على خريطة العالم المرسومة على الورق النشاف الذي يمتص الحبر. استقرت يده على أمريكا الجنوبية وغطتها. قال:
- من الأفضل أن نذهب أنا وأنت إلى هناك.
- لقد أرسلنا سيارة دورية فعلًا.
- سأتحدث مع سيدة "ماجنوس" أولًا. سأنتهي من ذلك على الأقل. أخبر والديْ الفتاة أننا قادمون، لكن لا تحدد وقتًا.
- الوالدة فقط، فالوالد مسافر ولم يتمكنوا من الاتصال به.
ثم دفع "كارلسين" كرسيه ونهض.
سأله "سيير":
- ماذا فعلت بخصوص الملابس الداخلية الخاصة بزوجتك؟
لم يفهم "كارلسين"، فقال "سيير" مذكرًا إياه:
- أقصد البطانة التحتية التي طلبتها منك.

- ليست ملابس داخلية يا "كونراد". البطانة التحتية هي نوع من الفوط الصحية تلبسها النساء في وقتهنَّ الخاص من الشهر.

غادر "كارلسين" وترك "سيير" يقرض أظافره بتوتر.

يكره فكرة غياب الفتيات الصغيرات عن بيوتهنَّ في حين ينتظر الأهل، لكن قد توجد عدة أسباب لغياب الأطفال. بدايةً من الآباء المنفصلين عن الأمهات ورغبتهم في توضيح حقوقهم بأخذ الطفل، إلى الجراء التائهة التي ينشغل الأطفال بإعادتها إلى البيت، أو أطفال حمقى أكبر سنًّا يأخذونهم دون إخبار أي أحد. أحيانًا يجدون الأطفال نائمين وسط الأشجار ويمصون أصابعهم. لكن قلَّما يكونون في السادسة، فالأغلبية يكونون في الثانية والثالثة. أحيانًا يتوهون ببساطة ويواصلون التجوال ساعات. بعضهم يبكي فورًا حتى ينتبه إليه أحد. وبعضهم يواصل السير بصمتٍ وخوف دون جذب الأنظار. على الأقل كانت الطرقات خالية في الثامنة صباحًا. شعر ببعض الراحة من هذه الفكرة.

أغلق الزر العلوي من قميصه ونهض. أخذ سترته، وكأنها ستحميه مما هو قادم، ثم سار في الممر. ألقى النهار بضوئه الأخضر الخفيف على الجدران، فذكره بلون حمامات السباحة القديمة التي اعتاد الذهاب إليها في صغره.

تقع زنازين الاحتجاز في الطابق الخامس. استقل المصعد وشعر بالحماقة كعادته كلما ركب ذلك القفص ووقف بثبات دون فعل شيء في حين يصعد وينزل. لا يحب سرعته أيضًا، فالأمور يجب أن تأخذ وقتها الطبيعي. شعر أنه وصل بسرعة جدًّا. وجد نفسه فجأة واقفًا أمام باب الزنزانة. وهلةً أراد أن يقاوم رغبته في النظر عبر نافذة الباب أولًا، لكنه لم يستطع. اختلس النظر فوجدها جالسة على المقعد وحولها البطانية. كانت تنظر عبر النافذة المطلة على جزء صغير من السماء الغائمة. فزعت حين سمعت صوت القفل. قالت:

- لم أعد أحتمل هذا الانتظار!

أومأ لها بتفهم، فقالت:

- أنا أنتظر أبي. قالوا إنهم سيحضرونه. اتصل بي المحامي وقال إنهم أرسلوا إليه سيارة أجرة. لا أعرف سبب التأخير، فالمسافة تستغرق نصف ساعة فقط.

ظل "سيير" واقفًا، فلا مكان للجلوس. ولا يمكنه الجلوس إلى جانبها لأن هذا يبدو حميميًّا جدًّا.

- عليكِ تعود الانتظار فهو سيحدث كثيرًا.

قالت بيأس:

- لست معتادةً إياه. اعتدت فعل الكثير من الأشياء طوال الوقت. لطالما كان اليوم أقصر مما أحتاج إليه. اعتدت وجود "إيما" وهي تلح في طلب شيء. المكان هادئ جدًّا هنا.

- خذي نصيحتي وحاولي النوم ليلًا. كلي شيئًا. وإلا سيصبح الموقف أكثر صعوبةً عليكِ.

نظرت إليه فجأة وسألته بشكٍّ مفاجئ:

- لماذا جئت بأي حال؟

- هناك شيءٌ عليكِ معرفته.

سار بضع خطوات واستعدَّ للكلام:

- قد لا يكون مهمًّا بالنسبة إلى قضيتكِ والعقوبة. لكن قد يكون صادمًا من نواحي أخرى.

- لا أفهم ما...

- لقد تلقينا عدة تقارير من الطب الشرعي.

- حسنًا؟

- بخصوص "مايا دوربان" و"إيجيل إينارسون". أجرى الخبراء عدة فحوص، واكتشفوا شيئًا قد لا يكون مريحًا بالنسبة إليكِ.

- أخبرني إذًا!

- ماتت "مايا دوربان" اختناقًا عندما كتم القاتل وجهها بوسادة.
- نعم، هذا ما قلته. كنت جالسة ورأيت كل شيء.
- لكنهما أقاما علاقةً قبل ذلك. وهذا يعطينا عددًا من الأدلة الدامغة حول هوية القاتل. وفي الحقيقة...
سحب نفسًا عميقًا قبل أن يكمل:
- هذا الرجل لم يكن "إينارسون".
جلست "إيفا" تنظر إليه بوجهٍ خالٍ من التعابير، ثم ابتسمت. واصل كلامه:
- في الواقع يا سيدة "ماجنوس"، لقد قتلتِ الرجل الخطأ.
هزَّت رأسها بإصرار وفردت ذراعيها وهي تقول بابتسامتها التي بدأت تتجمد ببطء:
- عذرًا، لكنني واثقة من أمر السيارة. أنا و"يوستن" كان لدينا مثلها!
- أرجوكِ، انسي أمر السيارة لحظةً. ربما كنتِ محقة بشأنها، لكن لم يكن "إينارسون" هو من يقودها.
بدأ الشك يعربد في أعماقها فجأة، وتمتمت:
- لكنه لم يعِرها أي شخص.
- ربما استثنى هذه المرة، أو أن أحدًا استعارها دون إذنه.
- هذا غير صحيح!
- ما مقدار ما شاهدتِ بالضبط؟ كنت تختلسين النظر عبر شقٍّ صغير في الباب الموارب. وكانت الغرفة شبه مظلمة. ألم تغطِ وجهكِ بيديكِ معظم الوقت؟
قالت باكية:
- أريدك أن ترحل.
قال برفق:
- أنا آسف.
- منذ متى تعرف هذا؟
- منذ بعض الوقت.

- أين أبي!
- إنهم في الطريق بالتأكيد. حاولي أن ترتاحي قليلًا، ستحتاجين إلى قوتكِ.
وقف منتظرًا يقاوم رغبته في الهروب، وقال:
- هذا لا يغير من طبيعة الجريمة.
- لا!
- من الناحية القانونية، لقد ظننته هو.
- لا! أريدك أن تكون مخطئًا.
- أحيانًا نخطئ، لكن ليس هذه المرة.
جلست مدة طويلة تدفن وجهها في يديها، ثم نظرت إليه وقالت:
- ذات مرة حين كنا في الثالثة عشر...
حثَّها "سيير" على المواصلة:
- نعم؟
- هل تظن أن الإنسان قد يموت من الخوف؟
هز كتفيه وقال:
- أظن هذا. لكن فقط إن كان كبير السن ويعاني مشكلات قلبية. لماذا؟
- لا، لا شيء.
ساد الصمت قليلًا. مسحت جبهتها بيدها ونظرت إلى معصمها ثم تذكرت إنهم أخذوا ساعتها.
- لكن إن لم يكن "إينارسون"، فمن يكون؟
- هذا ما سأعرفه. على الأرجح أحد معارفه.
- أرجو أن تسأل عمَّا حدث لوالدي أيضًا.
- سأفعل.
ذهب إلى الباب وفتحه، ثم استدار وقال لها:
- لا تقلقي كثيرًا بخصوص النظر إليكِ عبر الباب. نحن نتفقدكِ فقط لنتأكد من أنكِ بخير. فنحن لسنا منحرفين.

- هذا التصرف يشعرني بذلك.

- إذًا غطي نفسكِ بالبطانية حتى رأسكِ. تذكري أنكِ واحدة من ضمن كثيرين هنا. لستِ محط الأنظار كما تظنين. لن يشعر أحد بالفضول حول وضعكِ إلا من هم خارج هذه الجدران. أليس كذلك؟

- أعرف ذلك.

- سآتي إليكِ لاحقًا.

أغلق الباب وقفله.

***

"روزينكرانتزجايت"، عقار رقم 16. طُلِيَ البيت حديثًا، فبدا أخضر أكثر من المعتاد. ركن سيارته إلى جانب المرآب وخرج من السيارة ثم لمح "يان هنري" على الأرجوحة. وهلةً انتظر الولد بحرج ثم ذهب إليه وقال:

- لم أظنك ستأتي مجددًا.

- وعدتك أنني سأفعل. كيف الحال؟

هزَّ كتفيه وحرَّك ساقيه وهو يرد:

- لا بأس.

- هل والدتك في البيت؟

- نعم.

- هل استمتعت بأي جولات على الدراجة النارية؟

- نعم. لكن سيارتك كانت أفضل. فالرياح كانت شديدة جدًّا على الدراجة.

- انتظرني هنا يا "يان هنري"، لديَّ شيءٌ من أجلك.

سار "سيير" إلى المدخل وعاد الولد إلى الأرجوحة. فتحت "يوران إينارسون" الباب. كانت ترتدي بنطلونًا ضيقًا، يمكن اعتباره من الملابس الداخلية، وعليه كنزة واسعة. أما شعرها فكان مصبوغًا بلونٍ فاتح جدًّا.

- أهذا أنت؟

أومأ بتهذيب، فتراجعت فورًا وأفسحت له المجال للدخول. توقف في غرفة المعيشة وسحب نفسًا عميقًا ثم نظر إليها بجديةٍ وقال:

- لديَّ سؤال واحد. سأسألكِ إياه وأغادر فورًا. فكري جيدًا قبل أن تجيبي لأن الأمر مهم.

أومأت بالإيجاب.

- أعرف أن زوجكِ كان يحب سيارته بشدة. لذلك اهتمَّ بها جيدًا وأحسن صيانتها. ثم إنه لم يحب إعارتها لأحد. هل هذا صحيح؟

- طبعًا! كان متملكًا جدًّا بشأنها. حتى إنهم أحيانًا كانوا يمازحونه حول ذلك في العمل.

- لكن هل أعارها إلى أي شخص في مراتٍ نادرة؟ هل تذكرين ذلك؟ حتى لو مرة واحدة؟

قالت بتردد:

- نعم، فعل ذلك لكن نادرًا جدًّا. أعارها إلى صديقٍ له كان يخرج معه كثيرًا. إنه زميله في المصنع، ولا يملك سيارة.

- هل تعرفين اسمه؟

- أشعر بالغرابة لقول اسمه هنا.

شعرت بخطرٍ لم تفهم سببه وهي تقول اسمه.

- كان يعيرها إلى "بيديك". اسمه بالكامل "بيتر فريدريك".

- "أهرون"؟

- نعم.

أومأ "سيير" ببطءٍ ونظر إلى صورة زفاف "إينارسون" بشعره الناعم، ثم قال برفق:

- سأعود مجددًا. اعذريني، لكن هذه القضايا تستغرق وقتًا طويلًا، وهناك بعض الأمور التي علينا تفسيرها.

أومأت سيدة "إينارسون" بتفهمٍ ورافقته إلى الخارج. قفز "يان هنري" وأسرع إليه بترقب.

- لم تتأخر في الداخل.

قال "سيير" بتفكير:

- لا، فهناك رجل عليَّ إيجاده بسرعة. رافقني إلى السيارة.

فتح صندوق السيارة وأخرج حقيبة عليها شعار محطة "فينا"، وقال:

- بذلة ميكانيكي من أجلك. أعرف أن مقاسها كبير جدًّا، لكنك ستكبر وتملأها.

لمعت عينا الولد وقال:

- واااو! فيها جيوب كثيرة! ستناسبني قريبًا، ويمكنني أن أشمرها.

- هذا صحيح.

- متى ستعود مجددًا؟

- لن أغيب.

- لا. أظن أن لديك مهامًّا كثيرة.

- نعم، هذا صحيح. لكن لديَّ أوقات فراغ أيضًا. ربما يمكننا الذهاب في جولة أخرى بالسيارة إن أردت.

لم يرد "يان هنري"، كان ينظر إلى الطريق حيث سمع هدير دراجة نارية قطع صمت المكان. إنها "بي إم دبليو".

- ها هو "بيديك".

لوَّح إليه "يان هنري" بفتور. استدار "سيير" ونظر إلى الرجل ذي السترة الجلدية الذي اتجه إلى مرآب الدراجات ثم توقف وخلع خوذته. شعره طويل وناعم، ويربطه خلف عنقه. فتح "سحَّاب" سترته فظهرت بطنه الكبيرة. في الواقع، لا يختلف كثيرًا عن "إينارسون". لا يمكن التمييز بينهما في الإضاءة الضعيفة.

نظر إليه "سيير" حتى بدأ يتحرك على كرسي الدراجة لينزل. ثم ابتسم وأومأ بإيجاز وذهب إلى سيارته.

الفصل الرابع والثلاثون

- أين كنت؟

كان "كارلسين" ينتظر في صالة الاستقبال، وينتظر وصول سيارة "سيير" منذ بعض الوقت. مرَّت الدقائق ولم يتصل أحد ليريحهم ويبلغهم أن الصغيرة "رانهيلد" عادت إلى بيتها منذ وقتٍ طويل وهي بأفضل حال. ما زالت مفقودة، و"كارلسين" يشعر بالضغط.

كان "سيير" عصبيًّا ومنفعلًا، وهو أمر نادر الحدوث. أجابه:

- كنت مع "يوران إينارسون". هيا، يجب أن أتحدث معك.

أومأ إلى سيدة "برينيجن" ثم سارا في الممر.

قال "سيير":

- علينا اعتقال رجلٍ للاستجواب فورًا. اسمه "بيتر فريدريك أهرون". إنه الشخص الوحيد من معارف "إينارسون" الذي كان يستعير سيارته "المانتا" أحيانًا. بشكل متكرر؟ إنه يعمل في مصنع الخمور، وهو يتقرب من زوجته "يوران". لقد استجوبناه من قبل عندما اختفى "إينارسون". قابلته للتو خارج المنزل في "روزينكرانتزجايت". ولعلمك، إنهما متشابهان جدًّا. من الصعب جدًّا التمييز بينهما في الإضاءة الضعيفة. هل تفهم قصدي؟

- أين هو الآن؟

- ما زال في البيت. على ما أرجو. على قضية "ألبوم" أن تنتظر قليلًا. يوجد فريق يعمل عليها بأي حال. خذ "سكاري" وأحضراه فورًا وأنا أنتظركما هنا.

أومأ "كارلسين" واستدار ليذهب، ثم توقف وقال:

- بالمناسبة، لديَّ رسالة لك من محامي "إيفا".

- نعم؟

- "لارسجارد" توفي.

- ماذا تعني؟

- لقد وجده سائق الأجرة ميتًا.

- هل تعرف بعد؟

- أرسلت إليها إحدى زميلاتنا لإخبارها.

أغمض "سيير" عينيه وهز رأسه بأسف. صعد السلم وهو يحاول استيعاب الخبر. لكن لا وقت لديه الآن للتفكير في معاناة نزيلة السجن الاحتياطي في الطابق الخامس. أغلق المكتب على نفسه، وفتح النافذة ليسمح بدخول الهواء النقي، ثم رتب مكتبه قليلًا. بعد ذلك ذهب إلى الحوض ليغسل يديه ويشرب بعض الماء. فتح درج الملفات وأخرج شريط تسجيل مدته 360 دقيقة. كان طويلًا ويحتوي على اعتراف "إيفا ماجنوس". وضعه في جهاز التسجيل على مكتبه، وسرَّعه. أخذ يوقفه بين لحظةٍ وأخرى ثم يعود لتسريعه حتى وجد الفقرة التي يبحث عنها أخيرًا. فأوقف الشريط وضبط مستوى الصوت. ثم جلس منتظرًا في حين تجولت أفكاره. ربما هرب "أهرون" فعلًا، لكن في هذه الحالة ستكون رحلة طويلة بالدراجة النارية. لكنه لم يفعل. لقد كان يجلس ويقرأ الصحيفة على أريكة "يوران"، وإلى جانبه علبة سجائر. أما هي فكانت تقف في منتصف الغرفة خلف طاولة المكواة وإلى جانبها كومة من الملابس المغسولة. نظرت بشكٍّ إلى

الشرطيين ثم إلى الرجل الجالس على الأريكة، والذي رفع حاجبه وكأنهم يأخذونه في وقتٍ غير مناسبٍ تمامًا. نهض من على الأريكة باستسلامٍ واضح وتبعهما. شاهدهم "يان هنري" وهم يسيرون نحو السيارة. لم يقلْ شيئًا، لأنه لا يهتم بما يحدث لــ"بيديك".

***

- اسمك "بيتر فريدريك أهرون"؟

أجاب وهو يلف سيجارة دون طلب إذن:

- نعم.

- ولدت في السابع من مارس 1956؟

- لماذا تسأل وأنت تعلم كل هذا؟

نظر إليه "سيير" وقال:

- أنصحك بأن تنتبه لكلامك.

- هل تهددني؟

ابتسم "سيير" بتلطيفٍ زائف وقال:

- بالتأكيد لا. نحن لا نهدد هنا، بل ننصح وحسب. عنوانك؟

- "تولبوجاتا"، العقار رقم 4. ولدت وتربيت في "ترومسو". أنا أصغر إخوتي الأربعة. قضيت خدمتي بالجيش. لا أمانع مساعدتك، لكنني قلت كل ما لديَّ فعلًا.

- سنعيد ما قلناه سابقًا إذًا.

واصل الكتابة بلا انزعاج في حين دخن "أهرون" بغضب، لكنه تمالك نفسه في الوقت الراهن. مال إلى الأمام على المكتب وقال باستسلام:

- أعطني سببًا واحدًا يجعلني أقتل أعز أصدقائي!

ترك "سيير" قلمه ونظر إليه بدهشةٍ وقال:

- عزيزي "أهرون"، لا يوجد من يظنك قاتله. لست هنا لهذا السبب. هل هذا ما ظننته؟

نظر إليه بإمعان وراقب الشك يرتسم في عينيه الزرقاوين الباهتتين. قال بتردد:

- طبيعي أن أظنَّ هذا، فآخر مرة ظهرت فيها كنت تتكلم عن "إيجيل".

- أنت مخطئ تمامًا. لقد طلبناك لموضوعٍ مختلف كليًّا.

ساد الصمت في حين تجمعت سحب الدُّخان من سيجارة "أهرون" في دوائر بيضاء وارتفعت إلى السقف. قال "سيير" بترقب:

- إذًا؟

- إذًا ماذا؟ لا أفهم قصدك؟

طوى "سيير" ذراعيه على المكتب ولم يبعد عينيه عن عيني "أهرون"، ثم قال:

- ألن تسألني عن الموضوع المنشود، لماذا لم يخص "إينارسون"؟

- لا فكرة لديَّ أبدًا.

- بالضبط. لهذا ظننت أنك ستريد أن تسأل.

ثم أضاف "سيير" بصراحة:

- لو مكانكَ لفعلتُ. أعني لو استُدعِيتُ بالقوة في حين أقرأ أخبار الرياضة، لسألت عن السبب. لكن ربما أنت لست من النوع الفضولي. لهذا سأخبرك شيئًا فشيئًا. لكن دعني أسألك سؤالًا بسيطًا أولًا؛ كيف تعامل النساء عادةً يا سيد "أهرون"؟

أجابه بتجهم:

- عليك أن تسألهنَّ.

- نعم، أنت محق. من أسأل في رأيك؟ هل تعرف الكثير منهنَّ؟

لم يرد، فلقد وجه طاقته كلها للحفاظ على رباطة جأشه.

- ربما يجب أن أسأل "مايا دوربان". هل هذه فكرة سديدة؟

- لست بارعًا في المزاح.

– ربما. لم يكن لديها الكثير لتقوله حين وجدناها في سريرها. لكنها أعطتنا شيئًا. لقد ترك القاتل أثرًا. ولا أقصد بطاقة اسمه ورقمه مثلًا، بل أقصد بصمته الجينية الفريدة. كل واحد من بين الأربعة مليار إنسان لديه بصمة جينية مختلفة. حاول أن تفهم يا سيد "أهرون". عندما نُكبِّرها، تبدو مثل لوحةٍ مجنونة من الفن الحديث، باللونين الأبيض والأسود. لكنك تعرف كل هذا طبعًا، فأنت تقرأ الصحف.

– هذا محض تخمين. فأنت تحتاج إلى أمرٍ من المحكمة لتحصل على عينةٍ مني. أنا لستُ أحمق. أريد محاميًا. لن أقول كلمةً أخرى دون محامٍ، ولا كلمة!

تراجع "سيير" في كرسيه:

– لا بأس. أستطيع مواصلة الحديث وحدي. لكن دعني أخبرك أن أمر المحكمة للحصول على عينة دم هو آخر ما يقلقني.

زمَّ "أهرون" شفتيه وواصل التدخين، وقال "سيير":

– في الأول من أكتوبر، كنت في بار "كينجز أرمز" مع عدة زملاء، بما فيهم "أرفيسين" و"إينارسون".

– لم أنكر هذا قط.

– متى غادرت البار؟

– أفترض أنك تعرف هذا فعلًا، فأنتم من جئتم وأخذتموني!

– أعني قبل هذا. عندما أخذت سيارة "إينارسون" وغادرت. في الساعة السابعة والنصف، أليس كذلك؟

– سيارة "إينارسون"؟ هل تمزح؟ لا أحد كان مسموحًا له باستعارة سيارة "إينارسون". هذا هراءٌ تام. ثم إنني كنت ثملًا.

– هذا لم يمنعك من قبل. لقد أُدِنتَ سابقًا بسبب القيادة تحت تأثير الكحول. وحسب أقوال "يوران"، كنت الشخص الوحيد المسموح له باستعارة السيارة. كنت استثناء القاعدة. فأنت صديقه العزيز ولا تملك سيارة.

سحب نفسين من السيجارة ونفث الدخان وقال:

- لم أذهب إلى أي مكان، بل جلست أشرب طوال المساء.

- بلا شك. لقد كنت ثملًا تمامًا حسب أقوال الطباخ. لا تنسَ أنه كان في البار وفي كامل وعيه، ومن عمله مراقبة الزبائن. من يدخل ومن يخرج، ومتى.

صمت.

- لقد دفعت، وطالبت بما اشتريته. بعدها...

أومأ "سيير" قليلًا ونظر إليه ثم أضاف:

- بعدها بدأت تتجادل معها.

خفض "سيير" صوته في حين خفض "أهرون" رأسه، وكأنه ينظر إلى شيءٍ مهم في حجره.

- لديك طبعٌ خطر يا سيد "أهرون". لقد قتلتها قبل أن تشعر بنفسك. ثم أسرعت بالعودة إلى البار، أملًا أن يكون دليل براءتك وأن لا أحد لاحظ غيابك. بعدها بدأت تشرب حتى الثمالة.

هز "أهرون" رأسه باستخفاف.

- وتحت تأثير الثمالة، أدركت ما فعلته واعترفت لـ"إينارسون". ظننته سيساعدك بتلفيق دليل براءة. لقد كان صديقك قبل كل شيء، وأنتما تحميان بعضكما. ثم إنها كانت حادثة، أليس كذلك؟ كنت مجرد شيطان مسكين يمر بوقتٍ صعب، وطبعًا "إيجيل" سيتفهم. لذلك خاطرت وأخبرته. كان الوحيد الذي لم يثمل في المجموعة، لذلك ستكون لكلمته مصداقية.

نفض "أهرون" السيجارة خارج المنفضة، ربما عن قصد.

- لكن من الواضح أن الموقف كان أقوى منك. تصرفت بحماقةٍ وافتعلت شجارًا. اتصل بنا المالك آخر الليل وطلب منا اعتقالك بتهمة السكر والشغب. تبعك "إينارسون" بسيارته. ربما كان خائفًا من أن تعترف في سيارة الشرطة أو في الزنزانة. لم يكن يحاول فقط إنقاذك من الحجز المؤقت، بل أيضًا من

تهمة القتل. والمدهش أنه نجح! ربما لم تدرك خطورة الموقف إلا في اليوم التالي. بالتأكيد ارتجفت من فكرة الحبس في زنزانةٍ مغلقة.

أشعل "أهرون" سيجارة أخرى.

- لا بدَّ أنك تفاجأت حين اختفى "إينارسون". هل تساءلت ولو مرة عن سبب موته؟ أعني، هل فكرت بجدية؟ لقد كان سوء تفاهم كما قلت في الواقع.

تمالك "أهرون" نفسه وتراجع في كرسيه، في حين واصل "سيير":

- ثم بدأت تزور "يوران". كنت تعرف أننا نستجوبها. ربما خشيت من أن يكون "إيجيل" قد أخبرها بالسر.

- من الواضح أنك تؤلف هذه القصة منذ وقتٍ طويل.

- اسمع هذا إذًا، فلديَّ خبرٌ مثير من أجلك. لقد تمت رؤيتك. رأتك شاهدة. ولا أقصد شاهدتك وأنت تغادر مسرح الجريمة بسيارة "أوبل" الخاصة بـ"إينارسون"، بل رأتك تقتل "مايا دوربان".

كان تصريحًا في غاية العجب لدرجة أن "أهرون" ابتسم.

- أحيانًا يخاف الناس من القدوم إلينا مباشرةً. أحيانًا تكون لديهم أسباب مُسوِّغة للامتناع، لذلك يتأخرون. لكنها جاءت في النهاية. كانت جالسة على كرسي في الغرفة المجاورة، تنظر إليك مباشرةً عبر شقٍّ صغير في الباب. ولقد أدلت بشهادتها للتو.

زاغت عينا "بيديك" قليلًا ثم ابتسم مجددًا.

قال "سيير":

- يا له من ادعاء، أليس كذلك؟ أوافق. لكنني لا أخدعك هذه المرة. لقد قتلتَها، وتمت رؤيتك. كانت جريمة مقززة وغير مُسوَّغة أبدًا. إنه ظلمٌ بيِّن.

نهض "سيير" وسار بضع خطواتٍ ثم واصل:

- لقد كانت امرأة. امرأة ضئيلة الحجم لا تساوي شيئًا أمام حجمك وقوتك. وفقًا لتقرير الطب الشرعي، فطولها متر وخمسة وخمسين سم، ووزنها أربعة وخمسين كيلوجرامًا. كانت عارية وأنت كنت فوقها. بمعنى آخر...

جلس مجددًا وهو يضيف:

- كانت عاجزة تمامًا عن الدفاع عن نفسها.

- اللعنة، لم تكن عاجزة بل كان معها سكين!

دوى صوت صرخته بعنفٍ في الغرفة، ثم صوت بكاء. دفن "أهرون" وجهه في يديه وحاول أن يهدأ لأنه بدأ يرتجف بعنف. قال:

- أريد المحامي الآن!

- إنه قادم في الطريق.

- أريده حالًا! اللعنة!

مال "سيير" على مشغل الشرائط وشغله. خرج صوت "إيفا ماجنوس" حادًّا وواضحًا، وإن كان بنبرةٍ واحدة. كانت متعبة في ذلك الوقت، لكنه صوتها بالتأكيد. كانت تكرر ما قاله وقتها:

- "أنتن العاهرات جشعات. لقد دفعت ألف كرونة مقابل خمس دقائق؟! هل تعرفين كم أستغرِق لكسب هذا المبلغ في مصنع الخمور؟".

قال "سيير":

- هل عرفت الآن لماذا مات "إيجيل"؟ أنتما متشابهان جدًّا في الإضاءة الخافتة.

صرخ بصوتٍ مبحوح:

- أريد المحامي!

الفصل الخامس والثلاثون

كان "يان هنري" مختبئًا في المرآب، يحاول تشمير ساق البذلة بصعوبة. حاول أن ينظر إلى مظهره في زجاج نافذةٍ قديم ومشروخ، كان مستندًا إلى الجدار.

أما "إيما ماجنوس" فكانت جالسة في الغرفة الإضافية في بيت والدها، حيث جلب لها سريرًا. اعتلى على وجهها تعبير الدهشة، وقالت بتملق:

– أفضل النوم معكما.

قال لها بأسف:

– لا تكفي الغرفة لوضع سريركِ فيها.

قالت بحزن:

– يمكنني النوم على السرير معكما. لا أمانع النوم بينكما في الوسط.

أخذوا "ماركوس لارسجارد" إلى المستشفى في سيارة إسعاف. بحث الفريق سريعًا في بيته، في حال كان لديه كلب أو قط، حتى لا يُحبَس. بحثوا في كل غرفة. حتى في القبو الذي لم يحتوِ إلا على خردة قديمة، وغسالة معطوبة، وتفاح متعفن، وعلب طلاء قديمة.

سحبت "إيفا" البطانية على رأسها. أظلمت الدنيا تحت الغطاء، وسرعان ما سيصبح الجو حارًّا. فرغ عقلها تمامًا من أي أفكار.

سار "كارلسين" و"سيير" في الممر بصمت. سارا إلى المرآب الخلفي، واتجه "كارلسين" إلى سيارة "فورد مونديو".

نظر إلى "سيير" وسأله:

- ماذا ستكون تهمة "ماجنوس" في رأيك؟

- القتل العمد على ما أخشى.

تنهد "سيير" بعمق وشعر بالقلق. يتصرف الأطفال بغرابة. فهم ينسون الوقت، ولا يشعرون بالمسؤولية، ويمكن أن يحدث لهم أي شيء. أمِلا ألا يكون قد وقع مكروه للطفلة المفقودة، وأن يمر الأمر على خير. سارا إلى السيارة وهما يتمنيان ذلك. لكنهما أسرعا الخطى فجأة وكأن غريزتهما تحثُّهما.

صدر من سلسلة كتب مختلفة:

1. المدينة الخفية	أوندياكي	أنجولا
2. اسمي نور	إلسا أوسوريو	الأرجنتين
3. كلي لك	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
4. أرامل الخميس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
5. جريمة في بوينس آيرس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
6. شرخ في الحائط	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
7. نقطة الصفر	ناريج ماليان	أرمينيا
8. مشروع روزي	جرايم سيمسيون	أستراليا
9. سأنتقم لموتك	كارما ريرا	أسبانيا
10. الدبلوماسى	إليت أليشكا	ألبانيا
11. قصص بسيطة: رواية من ألمانيا الشرقية	إنجو شولتسة	ألمانيا
12. لأننا في مكان آخر	رشا الخيَّاط	ألمانيا
13. سيلفي مع الشيخ	كريستوف بيترز	ألمانيا
14. يومًا ما سنقول لبعضنا كل شيء	دانييلا كراين	ألمانيا
15. الحب في خمسة فصول	دانييلا كراين	ألمانيا
16. طريق الوحدة	بينيدكت ويلز	ألمانيا
17. حب كالأفلام	فيكتوريا فان تيم	أمريكا
18. أفلام في قصص	مجموعة مؤلفين	أمريكا
19. مصنع الأحذية	چيفري لويس	أمريكا
20. عندما كنتُ أنتِ	مينكا كينت	أمريكا
21. جريمة في المنزل المفتوح	كاتى سايس	أمريكا
22. الثلاثة	سارة لوتز	إنجلترا
23. اليوم الرابع	سارة لوتز	إنجلترا
24. حياة على باب الثلاجة	أليس كويبرز	إنجلترا
25. ثم ابتلعه الحوت	أمير أحمدي أريان	إيران
26. لا صديق سوى الجبال	بهروز بوتشاني	إيران/ كردستان
27. خالدو طهران	على ريزا طاهرى أراغى	إيران
28. الموت والبطريق	أندرى كوركوف	أوكرانيا
29. تاتي	كريستين دوير هيكي	أيرلندا
30. بقايا يوم صيفي	كريستين دوير هيكي	أيرلندا
31. بيت من زجاج	ويندي إرسكين	أيرلندا
32. عملية البنك الأيرلندي	ريتشارد أوراو	أيرلندا
33. مشعلو الحرائق	جان كارسون	أيرلندا
34. قصص من أيرلندا	مجموعة مؤلفين	أيرلندا
35. الوردة البيضاء.. الغابة السوداء	إوين دمبسى	أيرلندا
36. جريمة الساحر	أرنى ثورارينسون	أيسلندا

37. شركة الحب المحدودة	أندريه سنار ماجنسون	أيسلندا
38. عاصفة الشمال	إينار كاراسون	أيسلندا
39. الفخ	ليليا سيجورادوتير	أيسلندا
40. المصيدة	ليليا سيجورادوتير	أيسلندا
41. القفص	ليليا سيجورادوتير	أيسلندا
42. امرأة على حافة العالم	ستينون سيجورذاردوتير	أيسلندا
43. رسائل إلى هيلجا	بريجيسفين بيريسون	أيسلندا
44. الحب لم يعد مناسبًا	ميلا فينتوريني	إيطاليا
45. أسود صقلية	ستيفانيا أوشى	إيطاليا
46. حذارِ من جوعي	لوتشانا كاستيلينا	إيطاليا
47. منٍ هو لو؟	أوتافيو كابيلاني	إيطاليا
48. أحلام سعيدة يا صغيري	ماسيمو جارميلليني	إيطاليا
49. العزلة	كلاوديو مورانديني	إيطاليا
50. يومًا ما	ماسيمو جارميلليني	إيطاليا
51. سيارة اسمها نصر	إيلمار تاسكا	إستونيا
52. الرجل الذي تحدث الثعبانية	أندروس كيريفاك	إستونيا
53. أرق من الجلد	أوزما إسلام خان	باكستان
54. مرثيات وطن	أياد أختار	باكستان
55. سارق الجثث	باتريسيا ميلو	البرازيل
56. امرأة في حقيبة	رافاييل مونتيز	البرازيل
57. بيتنا في إزمير	تاتيانا سالم ليفي	البرازيل
58. كابوس ساو باولو	أنطونيو شيرشينيسكي	البرازيل
59. الروليت الروسي	رافاييل مونتيز	البرازيل
60. عائدة إلى الشمس	آنا ماريا ماتشادو	البرازيل
61. امرأة في الظلام	رافاييل مونتيز	البرازيل
62. مقبرة البيانو	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
63. نيزك في جالفايش	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
64. الأثر المقدس	إيسا دي كيروش	البرتغال
65. ماذا فعلت غدًا؟	برونو فييرا أمارال	البرتغال
66. بين يديك	إينيس بيدروسا	البرتغال
67. أن تأتي متأخرًا	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
68. فندق الغرباء	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
69. التعساء	ديميترى فيرهولست	بلجيكا
70. صانع الملائكة	شتيفان بريجس	بلجيكا
71. مخاوفي السبعة	سلافيدين أفيدتش	البوسنة
72. جامع الكتب	جوستابو فابيرون باترياو	بيرو
73. أبسنت	أيفر تونش	تركيا
74. أحلام محطمة	بيولنت سينوكاك	تركيا

75. ارحل قبل أن أنهار	تونا كيرميتشي	تركيا
76. امرأة صديقى	تونا كيرميتشي	تركيا
77. توباز	هاكان جنيد	تركيا
78. ثلاثة على الطريق	تونا كيرميتشي	تركيا
79. جريمة في البوسفور	أسمهان أيكول	تركيا
80. جريمة في إسطنبول	أسمهان أيكول	تركيا
81. الطلاق على الطريقة التركية	أسمهان أيكول	تركيا
82. تانجو إسطنبول	أسمهان أيكول	تركيا
83. خطايا الأبرياء	برهان سونميز	تركيا
84. ديستينا	ماين كيركانات	تركيا
85. الشيطان امرأة	هاندى ألتايلى	تركيا
86. الصلوات تبقى واحدة	تونا كيرميتشي	تركيا
87. لون الغواية	هاندى ألتايلى	تركيا
88. مينتا	سولماز كاموران	تركيا
89. نساء إسطنبول	مجموعة قصصية	تركيا
90. سحر	صلاح الدين دميرتاش	تركيا
91. جريمة أبي	هاكان جنيد	تركيا
92. الرجل الذي باع العالم	ألبير چانيجوز	تركيا
93. المدينة ذات العباءة القرمزية	أصلي إردوغان	تركيا
94. الدرويش	صلاح الدين دميرتاش	تركيا
95. حكايات العمة روزا	سيفجي سويسال	تركيا
96. الوكالة السرية	ألبير جانيجوز	تركيا
97. نجم المساء	إسكندر بالا	تركيا
98. ذات ظهيرة في يني شهير	سيفجي سويسال	تركيا
99. نيران الجحيم	ألبير چانيجوز	تركيا
100. جرائم براج	ميلوش أوربان	التشيك
101. معسكرات الشيطان	ياخيم توبول	التشيك
102. حدث في كراكوف	بيترا هولوفا	التشيك
103. حُفِظت القضية	باتريك أورشانديك	التشيك
104. الجريمة المنسية	فيكتوريا هانيشوفا	التشيك
105. ديتوكس	سوزانا برابتسوفا	التشيك
106. سرادق طائر البطريق	إميل هاكل	التشيك
107. كافكا	فرانز كافكا	التشيك
108. المواطن فانيك	فاتسلاف هافل	التشيك
109. احذري يا آنا	ماريك سينديلكا	التشيك
110. الحب في زمن الاحتباس الحراري	جوزيف بانيك	التشيك
111. القضية لم تنتهِ بعد	ميخال سيكورا	التشيك
112. المبعدون	أوجنين سباهيتش	الجبل الأسود

113. العقل المدبر	ديفيد أوجنر	جواتيمالا
114. آزوري	ك. سيلو دويكر	جنوب أفريقيا
115. المنتحر	أولجا سلافينكوفا	روسيا
116. في انتظار الطوفان	رومان سنشين	روسيا
117. عودة السوفيتي	زيبلسكي باسترناك وفيريماي بيا	روسيا
118. رسائل سبتمبر	برايونى رحيم	زيمبابوى
119. امرأة للبيع	أورشولا كوفاليك	سلوفاكيا
120. خلف طاحونة الجبل	مجموعة قصصية	سلوفاكيا
121. يوغوسلافيا.. أرض أبي	جوران فوينوفيتش	سلوفينيا
122. شجرة التين	جوران فوينوفيتش	سلوفينيا
123. الحياة هنا	ميرال قريشى	سويسرا
124. ربيع البربر	يوناس لوشر	سويسرا
125. كرافت	يوناس لوشر	سويسرا
126. كاتبة وكاتب	فيولا رونر	سويسرا
127. المتلعثم	تشارلز ليفينيسكي	سويسرا
128. لصوص المقابر	فرانسين ماري ديفيد	سويسرا
129. كالمان	تشارلز ليفينيسكي	سويسرا
130. جريمة عيد الميلاد	أندريه روزلاند	السويد
131. جريمة الذئب الوحيد	هينينج مانكل	السويد
132. جريمة تفجير الأولمبياد	ليزا ماركلوند	السويد
133. عُرف مدى الحياة	إيميلى شيب	السويد
134. بكين.. بكين	شيو تسى تشين	الصين
135. بنات الصين	يى مِاى	الصين
136. الربع الأخير من القمر	تشيه زيه جيان	الصين
137. رحلة الانتقام	جوو دا شين	الصين
138. سبع ليال في حدائق الورد	يى مِاى	الصين
139. النجمة الحمراء	يركسي هولمانبيك	الصين
140. رقصة الكاهنة	جين رن شون	الصين
141. أيام.. شهور.. سنوات	يان ليان كه	الصين
142. المبنى 21	تشو داشين	الصين
143. الألفية في بلجراد	فلاديمير بيستالو	صربيا
144. حمام البلقان	فلاديسلاف باياس	صربيا
145. المغفلون	إريك نويوف	فرنسا
146. جريمة في باريس	صوفي إيناف	فرنسا
147. أخي الكبير	ماهر جوفن	فرنسا
148. ندبات	دالي ميشا توريه	فرنسا
149. فرقة غريبة الأطوار	صوفي إيناف	فرنسا
150. المجاعة البيضاء	آكى أوليكانين	فنلندا

151. التطهير	صوفي أوكسانين	فنلندا
152. حديقة الكلاب	صوفي أوكسانين	فنلندا
153. جريمتي الأولى	لينا ليهتولاينين	فنلندا
154. من عدوها؟	لينا ليهتولاينين	فنلندا
155. اعترافات مؤجلة	ماجيلا بودوين	فنزويلا
156. الكاتدرائية السوداء	مارسيال جالا	كوبا
157. النسيان	إيكتور آباد	كولومبيا
158. أين أنتِ؟	سانتياجو جامبوا	كولومبيا
159. العودة إلى الوادي المظلم	سانتياجو جامبوا	كولومبيا
160. فتاة كازابلانكا	إن كولي جان بوفان	الكونغو
161. حارس الشانزليزيه	جُوز	كوت ديفوار
162. فنانو الذاكرة	چيفري مور	كندا
163. حتى تذوب الثلوج	كريستيان قواي بوليكوين	كندا
164. جريمة الابن الصالح	جونج يو جونج	كوريا
165. العملية "سمكة الفيل"	أوتو أوزولس	لاتفيا
166. الثامن عشر من نوفمبر	باولز بانكوفيكيس	لاتفيا
167. رسائل من امرأة مجهولة	زيجموندز سكوينش	لاتفيا
168. أمى عميلة سرية	أوندراش فورجاتش	المجر
169. صانع الزجاج	إرميس لافازانوفسكى	مقدونيا
170. القنَّاص	بلايز مينيفيسكى	مقدونيا
171. الواحد والعشرون	توميسلاف عثمانلي	مقدونيا
172. القزم	أليكساندر بروبوكيف	مقدونيا
173. د. مينجوس.. الأخ الأكبر	خيسوس ريكاردو فيليكس	المكسيك
174. الجريمة المكسيكية	إكتور آجيلار كامين	المكسيك
175. إلينج	إنجفار أمبيورنسون	النرويج
176. صيف بارد جدًّا	روي ياكوبسن	النرويج
177. جريمة العروس الهندي	كارين فوسوم	النرويج
178. جريمة على حافة البحيرة	كارين فوسوم	النرويج
179. سميته كرافتة	ميلينا ميشيكو فلاشر	النمسا
180. حرية حزينة	فريدريكه جيزفاينر	النمسا
181. ف.و.م.و	ألموت تينا شميت	النمسا
182. منزل وسياراتان وطفل	تانيا رايخ	النمسا
183. حزن غير محتمل	بيتر هاندكه	النمسا
184. ثقل العالم	بيتر هاندكه	النمسا
185. في ليلة مظلمة تركت منزلي الصامت	بيتر هاندكه	النمسا
186. عودة مطولة إلى الوطن	بيتر هاندكه	النمسا
187. أعيش مع شبح	لورا فرويدنتالر	النمسا
188. أختى قاتلة متسلسلة	أوينكان بريثويت	نيجيريا

189. فتاة نيبال الثرية	شيوانى نيبانى	نيبال
190. دگّان الساري	عبدالله خان	الهند
191. أحزان هندية	روبا باجوا	الهند
192. جوى سبيدبوت	تومى فيرينيجا	هولندا
193. العشاء	هيرمان كوخ	هولندا
194. المنزل الصيفي	هيرمان كوخ	هولندا
195. عمدة أمستردام	هيرمان كوخ	هولندا
196. تلك الأسماء	تومي فيرينيجا	هولندا
197. أجمل فتاة في چنوة	إيليا ليونارد فايفر	هولندا
198. قلق الأمسيات	ماريكا لوكاس رينفيلد	هولندا
199. عقيدة الأغنياء	ماريا تاسلر	كرواتيا
200. توماييني	كلارا موماني	كينيا
201. بذلة فضاء برتقالية اللون	لويد ماركهام	ويلز
202. المدينة الخاوية	جاري رايموند	ويلز
203. كتاب نيبو الأزرق	مانون ستيفان روس	ويلز
204. لماذا قتلت أعز صديقاتي؟	أماندا ميكالوبولو	اليونان
205. جزيرة الفئران	كريستوس إيكونومو	اليونان
206. شيء ما سيحدث	كريستوس إيكونومو	اليونان

صدر من كتب عامَّة:

207. الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟	جيرالد هوتر	ألمانيا
208. قانون التسامح	هوبرتس هوفمان	ألمانيا
209. هاربون من الموت	فولفجانج باور	ألمانيا
210. المختطفات: شهادات من فتيات بوكو حرام	فولفجانج باور	ألمانيا
211. الشاي: ثقافات.. طقوس.. حكايات	كريستوف بيترز	ألمانيا
212. لماذا تنتفض الشعوب؟	جيرو فون راندوف	ألمانيا
213. الرمان: تاريخ وحكايات من حول العالم	بيرند برونر	ألمانيا
214. القمر	بيرند برونر	ألمانيا
215. السادات.. شميت: حوار الأزمات	كارل جوزيف كوشيل	ألمانيا
216. مستقبل النسوية	مجموعة مؤلفين	إنجلترا
217. إسكتشات مصرية	جيريمايا لينش	إنجلترا
218. شذرات من التاريخ المصري	آرثر بروم	إنجلترا
219. تشرنوبل: 01:23:40 الحقيقة كما حدثت	أندرو ليذربارو	إنجلترا
220. الهاشميون وحلم العرب	روبرت ماكنمارا	أمريكا
221. الهندى الأحمر الأيسلندى	جون جنار	أيسلندا
222. القرصان الأيسلندى	جون جنار	أيسلندا

223. البيئة: لغز المستقبل	أندري سنار ماجنسون	أيسلندا
224. مختصر تاريخ الصين	مايكل ديلون	الصين
225. زيارة لمكتبات العالم: أشهر مكتبات بيع الكتب	خورخي كاريون	إسبانيا
226. ضد أمازون	خورخى كاريون	إسبانيا
227. يوميات صحفية إيطالية	جوفانا لوكاتيلي	إيطاليا
228. الذكاء الأخضر	ستيفانو مانكوسو	إيطاليا
229. خيالات الشرق	إيسا دى كيروش	البرتغال
230. ضد الانتخابات: دفاعًا عن الديمقراطية	ديفيد فان ريبروك	بلجيكا
231. علم كرة القدم	مجموعة محررين	البرازيل
232. أوروبيانا	باتريك أورشادنيك	التشيك
233. قوة المستضعفين	فاتسلاف هافل	التشيك
234. كيفية حساب بصمتك الكربونية	دويين باهتشجى	تركيا
235. النشوة المادية	جى. إم. لو كلوزيو	فرنسا
236. لن أمنحكم كراهيتي	أنطوان لاريس	فرنسا
237. الأسماك.. ما لا نعرفه عن عالم البحار	بيل فرانسوا	فرنسا
238. جابو	أوسكار بانتوخا	كولومبيا
239. ماركيز: لن أموت أبدًا.. حكايات كتبه	كونرادو زولواجو	كولومبيا
240. متسلقو الجبال	لويس كونساليز سارمينتو	كولومبيا
241. الخبز	بردراج ماتفيجيتفيتش	كرواتيا
242. دليلك إلى لعبة الحبار	بارك مين جون	كوريا
243. الجري	ثور جوتاس	النرويج
244. سوفيتستان	إيريكا فاتلاند	النرويج
245. الحدود	إيريكا فاتلاند	النرويج
246. النيل	تاريى تفيت	النرويج
247. عقول مريضة	دوي درايسما	هولندا
248. اللعب مع الكبار	يوريس لونديك	هولندا
249. النسوية للرجال	ينس فان تريخت	هولندا
250. ذلك المريض: عن مرضى غيروا حياة أطبائهم إلى الأبد	إلين دي فيسر	هولندا
251. الدهون: العضو السرى	مارييت بون وليزبيت فان روسوم	هولندا